أنتيخريستوس

رواية

د.أحمد خالد مصطفى

الطبعة الثانية

أنتيخريستوس

رواية

د.أحمد خالد مصطفى

إن لديك عادة بشرية سخيفة .. تحب أن تقرأ تلك السطور القليلة خلف كل رواية .. ثم تقرر لو كنت ستأخذها معك أو تتركها على الرف .. أنا لا تهمني رغباتك البشرية هذه ولا يهمني لو أخذت الرواية أو تركتها .. لكن طالما أنت هنا .. فمن واجبي أن أنقل لك رسالة هامة .. تذكر دائما أيها البشري .. إن أنتيخريستوس ليس هو ربك .. مهما رأيته يميت أناسا ثم يحييهم .. حتى وإن رأيته يشير إلى السماء فتمطر .. ويشير إلى الأرض فتنبت .. تذكر دائما .. إن أنتيخريستوس .. ليس هو ربك .







الكتاب: أنتيخريستوس

المؤلف: أحمد خالد مصطفى

الغلاف: إسلام مجاهد

المراجعة اللغوية والتنسيق الداخلي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 2014/22410

الترقيم الدولي: 978-977-6502-07-9

مدير النشر: عمر عودة: 01111529029

مدير التوزيع: 01153339390

الإشراف العام: محمد المصري



العنوان: 50 شارع عثمان محرم، الطالبية، هرم.

ت: 01111529029/ 01221064663/ 0225622743

https//www.facebook.com/dar.elrsm.blklema

أنتيخريستوس

رواية

د.أحمد خالد مصطفى



دار الرسم بالكلمات

تنويه

جميع الشخصيات المذكورة في هذه الرواية هي شخصيات حقيقية.. بإنسها وجنّها وشياطينها.. وجميع الأحداث المحكية مبنية على أحداثٍ ووقائع حقيقية مُثبَتة.

إهداء

إلى أخي الصغير محمود.. الذي رحلَ للقاءِ ربه في السادسة عشرة من عمره .. طِبتَ حيًّا وميتاً يا محمود.. لم أجد من هو أكثر منك شوقاً لقراءة هذه الرواية .. فلا يوجد مَن هو أحق منك أهديها إليه..

لقد أصبحنا وحدنا أخيرًا. . أنا وأنت..

أخيرًا انفردت بك..

وصرت أملكك.. وأملك عينيك.. في كل مرة تنظر فيها إلى كلماتي.. وتقرأ فيها سطوري..

ستكون هذه هي آخر رواية تقرأها لي في حياتك.. فأنا على شفا حفرة من الموت..

ولم يتبقَ لي في هذه الحياة إلا سويعات لا أدري عددها.. لكنني أعرف أنها قليلة.. وبرغم ذلك فهي كافية لأسقيك بما أريد أن أسقيك إياه من الحديث.

قبل أن أبدأ أقول لك :يجب أن تقرأ هذا الكتاب وتحرقه.. فسيحاولون التخلص منه ومن كل من قرأه.. كما فعلوا مع كل الكتب التي شابهته.

لا تجزع.. فقط تذكر كلماتي جيدًا.. ولو أنهم قتلوك بعد أن أعلمتك كلماتي هذه فستموت راضيًا.. ومن ذا الذي يحلم أن يموت راضيًا في هذا العصر؟ فلا تجزع يا صديقي.

مَن أنا؟ وأين؟ ولماذا؟ وكيف؟ كلها أسئلة أعرف أنها تراودك.. وربما تود أن ترمي هذا الكتاب الآن وتمضي إلى حياتك .. ولكني أؤكد لك.. ليس هناك فارق بالنسبة لهم بين من اقتناه وقرأه.. ومن اقتناه ورماه في أقرب قمامة.. إنهم يبيدون الجميع ..

لكن قد تكون لقارئه فرصة في النجاة.. لا تنظر لي هكذا.. فرغم أنني كاتبه.. إلا أنني ميّت لا محالة.. وسيقتحمون عليَّ غرفتي هذه بعد قليل ويبيدونني من على وجه الأرض كأن لم أكن عليها يومًا..

لا تضع وقتي في الشرح والكلام الفارغ.. ودعني أبدأ معك على الفور.. فلم يعد هناك وقت نضيعه أنا وأنت..

ستعرف في حديثي هذا أمورًا.. وستُنكر أمورًا أكثر.. ستعجبك فيه أمورًا.. وستكره أمورًا.. لكن دعني أخبرك بأمرٍ هام: أنا لن أكذب عليك أبدًا.. أنا فقط سأخبرك بالحقيقة التي لم يخبرك إياها قبلي أحدٌ.. سأعلمك أسرارًا لم يكن ينبغي على من مثلك معرفتها.. ولو أنني كذبت عليك ما قتلوني.. بل لكافؤوني واحتفوا بي كما يفعلون مع الجميع..

أعرف أنك شخص ملول.. إما أنك لست من هواة القراءة.. وإما أنت من هواتها لكنك لا تُلقي بالًا للكتب التي لا تزيّنها أسماء لكتاب كبار.. لذلك وحتى أجعلك تقرأ كتابي هذا كاملًا كما يجب أن تقرأه.. ابتكرت لك لعبة سنلعبها أنا وأنت.. ولن يشاركنا فيها أحد.

لعبة الأوراق.. ليست أوراق البصرة.. ولا أوراق التاروت.. بل هي أوراق من طراز آخر.. طراز ملعون.. وأهم شيء فيها الترتيب.. فلو رُتّبَت على غير ما أراد لها صانعها أن تُرتَّب ستكون مجرد أوراقٍ بلا قيمة.. أما لو رُتّبت الترتيب الصحيح.. كما سنفعل بها أنا وأنت.. فستفتح لك أبوابًا من الأسرار لم يخبرك إياها أحد.. ولن يخبرك إياها أحد.. أسرار خطرة.. يُقتل كل من يعرفها.. ويُحرق كل من يتعلمها ويُعَلِمها..

سألقي أمامك ثلاث عشرة مجموعة من الأوراق.. كل مجموعة منها تحكي قصة.. وتحكي سِرًا يريدون أن يخفوه عن أمثالك.. وسيلاحقونك لأنك عرفته.. ولأنك شخص ملول وأنا أقدِّر هذا؛ فكل حكاية من تلك الحكايات الثلاث عشر ستُعرَض لك بطريقة تختلف عن سابقتها.. هل رأيت كيف أنني

حريصٌ على لفت نظرك.. وليس هذا إلا لأن ما بقى لي في الحياة قليل.. وأود ألا أضيع لحظة واحدة منها في شرودٍ يشرده عقلك الملول.

ولكن يمكنك أن تشرد كما يحلو لك بين كل حكاية وحكاية.. لأنني سأثرثر قليلًا.. ورغم أنها ثرثرة مهمة جدًا إلا أنه لو كان لابد لك أن تشرد فلتشرد في هذه المساحة فقط ولا تتعدَاها.

وكلما تقدمنا أنا وأنت في اللعب خطوة.. سأخبرك أكثر عن نفسي.. ومن أين أتيت.. وكيف وصلت إليك.. ومن هُم الذين سيقتلونك ويحرقونك بعد أن يقتلوني ويحرقوني.. وكيف تنجو بنفسك منهم.. أما الآن فلن أخبرك سوى باسمي.. أنا "بوبي فرانك".. أراك قد استنتجت من اسمي أنني أمريكي.. هذا صحيح.

في النهاية وقبل أن نبدأ..أريد أن أنبّهك إلى أمرٍ هام؛ لا تظن أنه يمكنك أن تقرأ هذا الكتاب على مرة واحدة في جلسة رائقة في مكانك المفضل.. عليك أن تقرأ هذا الكتاب على ثلاث عشرة مرة؛ حتى تستطيع استيعابه جيدًا.

والآن دعنا نبدأ لعبتنا التي لن أخبرك باسمها إلا فيما بعد.. يكفيك الآن أن تعرف أنها لعبة أوراق.. أوراق لعينة.. والآن فلتجلس أمامي في هدوء.. ولتنظر إلى المجموعة الأولى من الأوراق التي سأضعها لك الآن بالترتيب على الطاولة.. أعرف أن النور الخافت الذي أستخدمه في غرفتي يسبِّب الصداع لكن لا عليك.. إنه ضروري.. والآن فلنبدأ..

لقد وضعت أمامك الآن سِتَّ ورقات مقلوبة.. وسأكشفها لك واحدة واحدة بالترتيب الصحيح المطلوب.. الترتيب الذي سيحكي القصة الأولى.. ويكشف السر الأول.. تابع معي..

الورقة الأولى عليها صورة شيطان رجيم له قرنان.. ويبدو في أشد حالاته غضبًا..

الورقة الثانية هي ورقة السحر .. سحر الأرض وعليها صورة نور ينبثق من باطن الأرض محطمًا عدة صخور حوله..

والثالثة هي ورقة سحر الهواء وفيها رجل ساحر يُلقي بتعويذة ما في الهواء..

الورقة الرابعة هي ورقة القوة المطلقة.. وعليها صورة قبضة رجل قوي يرتدي خاتمًا ذهبيًا كبيرًا..

الورقة الخامسة عليها صور أصنام وتبدو وكأن أحدهم قد حطمها..

الورقة السادسة والأخيرة هي ورقة المطرقة.. وعليها صورة رجل قوي.. حدَّاد يمسك بمطرقة عظيمة ويلوح بها في غِلٍ.

حتى وإن نسيت هذه الصور والأوراق الآن فستومض في ذاكرتك بوضوح وأنا أتلو على مسامعك الحكاية الأولى.. والسر الأول..

***

أمير النور يوم خلق النور .

2500 قبل الميلاد – 2000 قبل الميلاد

"سأغنّي هذه الأغنية للإله.. عندما يأتي المخلص العظيم.. وهذه الفتاة البريئة القلقة الجميلة.. هيا تعال وحررها الآن " أغنية بابلية قديمة بصوت عجوز ولغة بابلية قديمة كان يغنيها.. ويحرِّك رأسه طربًا.. كان صوته رخيمًا جميلًا.. لكن موسيقى الخلفية لم تكن متوافقة مع جمال صوته.. لقد كان يغني على صوت أغنام تسرح في المرعى.. أغنام يهش بعصاه عليها من آنٍ لآخر.. لقد كان سعيدًا.. ومن ذا الذي يمشي في مثل هذه الطبيعة الساحرة ولا يكون سعيدًا.. نحن في مملكة آشور القديمة قُرب مدينة بابل.. أعظم مدينة رأتها عين إنس أو جن في التاريخ.. وهذا الراعي ذو الصوت الرخيم هو العجوز "إيشما".

"ولمّا يأتي المخلص العظيم.. ستتحررين بالتأكيد "

قبل أكثر من أربعة آلاف عام.. كانت الأرض غير الأرض.. والسماء غير السماء.. كان "إيشما" يمكنه أن ينظر إلى البركة التي يمشي بجوارها فيرى كل أسماكها وأصدافها وكأنه ينظر إلى الطيور في السماء.. قبل أكثر من أربعة آلاف عام .. كل شيء كان طاهرا شديد النقاء.. ويبدو أن "إيشما" العجوز قد قرر أن يستريح قليلًا.. فتوجه إلى شجرة قريبة اعتاد أن يترك عندها طعامه.. ولما وصل إلى طعامه نظر إليه بدهشة.. لقد كان مفتوحًا.

هؤلاء اللصوص الفقراء لن يتعلموا أبدًا.. لو أنهم سألوه طعامًا لأعطاهم.. لكنهم يؤثرون السرقة.. تأبى نفوسهم مسألة الناس وترتضي سرقتهم.. لكن "إيشما" قد استغرب جدًا لما أعاد النظر إلى الطعام.. فبرغم أن الكيس مفتوح.. إلا أن الطعام موجود والحليب موجود.. لكن الجُبن مأكولة منه قطعًا صغيرة جدًا.. والحليب ناقص نقصًا يسيرًا لا يُسمِن ولا يُغني من جوع.. جلس "إيشما" وأكل وشرب واستراح في ظل الشجرة.. ثم قرر أن ينزل

ليغتسل في البركة.. وكما يفعل الرعاة الذين يستحمون في البرك في كل الممالك القديمة.. خلع ملابسه كلها ونزل إلى الماء.

بينما "إيشما" العجوز يستحم.. كان ينظر إلى متاعه من آنٍ لآخر نظرات لا شعورية.. وفجأة أتى سِرب من الحمام جميل المنظر وحط عند طعامه.. وأخذ الحمام ينقرون الجبن نقرات صغيرة ويملأون مناقيرهم الصغيرة بالحليب في مشهد غريب ثم يطيرون ويحطون في مكان غير بعيد.. ويمكثون بضع دقائق هناك ثم يطيرون عائدين إلى طعامه.. فينقرون ويملأون مناقيرهم ثم يطيرون إلى المكان ذاته.

خرج "إيشما" من البركة وارتدى ملابسه البابلية القديمة.: لكنه لم يتجه إلى متاعه.. بل اتجه إلى ذلك المكان الذي تطير إليه الحمائم بهذا الحماس الغريب.. وهناك وجد شيئًا اتسعت له عيناه العجوزتان في دهشة وانبهار؛ وجد طفلة جميلة ابنة التسع سنوات لم ترَ عيناه بمثل جمالها.. لكن ليس هذا ما أدهشه.. ما اتسعت عيناه له انبهارًا هو أن الحمائم كانت تحيط بها وتطعمها وتسقيها من مناقيرها لبنا.

كانت الطفلة تضحك وتحرك يديها بسعادة.. ولما اقترب منها "إيشما" ضحكت له ضحكة نزلت لبراءتها دموعه الحانية.. وبعقلية راعٍ بابليّ قديم كان ما يشاهده يعني شيئًا أسطوريًا ما.. حملها "إيشما" برفقٍ ورفعها إلى السماء.. وكانت الحمائم تطير من حولهما بسعادة لم يجد لها تفسيرًا.. نظر "إيشما" إلى عينها الصغيرتين الجميلتين.. إنها المرة الأولى التي يرى فيها طفلة لديها هذه الرموش الرائعة.. قرر "إيشما" أن يأخذ هذه الطفلة معه ليربيها.. وقرر أيضًا أن يسميها اسمًا أوحاه إليه الموقف.. سمَّاها "محبوبة الحمائم".. الاسم الذي كان لما ينطق بالبابلية القديمة يبدو مألوفًا.. كان يُنطَق بالبابلية "سميراميس".

"عندما يأتي المخلص العظيم.. وهذه الفتاة البريئة القلقة الجميلة.. هيا تعال وحررها الآن"

* * *

إنه الاحتفال العظيم في بابل.. وعندما تحتفل بابل فزِد على جمالها ألف جمال ومتّع ناظريك.. عندما تلتقي الجبال الخضراء والسهول والأنهار الصافية بالرخام الأبيض والأزرق المميز للقصور البابلية والرسومات الكبيرة التي تغطي الجدران.. عندما يلتقي كل هذا بالأطفال الذين ينثرون أوراق الزعفران في الهواء والخيول التي ترقص والبشر الذين يحتفلون في أكثر لباسهم وصروحهم أناقة في التاريخ.. عندما تعرف أن هناك حدثًا مهمًا جدًا يمر عليهم.. عندما ترى الزعفران يغطي الأرض بهذا الشكل تعرف أن هناك مولودًا جديدًا للملك "كوش" والملكة "أوداج".. مولود ذكر.. فهذه الاحتفالات لا تقام لو كان المولود أنثى.

هاهو المولود موضوع في الهودج تحيط به الولأدات أو المايات كما يطلقون عليهم هنا (جمع مايا).. وهم الذين سهروا على رعاية الأم حتى تمت الولادة.. اقترب أكثر من الهودج وألقِ نظرة على هذا الصغير.. ستسمع أثناء اقترابك الكثير من الكلمات على طراز "يالروعة هاتين العينين" أو "إنه أروع طفل رأته عيناي".. هذا يحفزك أكثر للنظر إلى الطفل.. هاهو أمامك.. الجمال مجسَّد في رأسٍ صغيرٍ وعينين حادتين.. لكن هناك مشهدًا آخر سيقلقك.. فمثلما تحيط بهذا الطفل الولّادات ذوات الأيادي الناعمات وأوراق الزعفران المتناثرة في الهواء.. فأنت ترى أشياء أخرى تحيط به.. ليست أشياء في الواقع.. بل كانت شياطين.. نعم شياطين.. كانوا يبتسمون بشيطانية تجيدها كل الشياطين.. وكانوا يتلون شيئًا ما.. برغم كل الحقائب

المطرزة يدويًا والمليئة بالودع الأزرق والثوم والموضوعة حول الهودج في كل مكان لطرد الأرواح الشريرة.. وبرغم أن المايات وضعن أصابعهن في الزعفران وبصموا به على جبهة الملكة "أوداج" لحفظ الطفل من الشياطين.

وفجأة سكت الجميع وتكلم الشيخ الكبير أو الموهيل كما يلقبونه في بابل.. قال الشيخ:

- اليوم أتشرف وتتشرف البشرية وتتشرف الأرض كلها بولادة الابن الذَّكَر الذي سيحمل اسم الملك العظيم كوش.. الابن العظيم الذي قررت العائلة أن تسميه "زاهاك".

وهنا ضج الجمع بصيحات السعادة.. لكن اسم "زاهاك" لم يكن ذا معنى محبب على أي حال.. لقد كان الاسم يعني باللغة البابلية الثعبان اللاسع.. وعلى ذِكر الثعابين اللاسعة كان لضحكات الشياطين من بين أنيابها فحيح سعيد.. فحيح شيطاني سعيد.

* * *

نظر الراعي العجوز "إيشما" إلى تلك التحفة الأنثوية النائمة التي بدا أنها نزلت من السماء إليه وحده.. تلك التحفة الصغيرة التي سمَّاها "سميراميس".. إنه مجرد راعٍ فقير يجوع أكثر اليوم.. إن مكان هذه الجوهرة الصغيرة ليس بالتأكيد بين تلك الجدران المتهالكة التي يعيش وسطها.. لابد أن الآلهة تدخر لجمالها مكانًا أكثر أناقة.. وهنا فاجأت دماغه العجوز فكرة عظيمة بشأن "سميراميس".

غدًا سيُقَام سوق "نينوى" العظيم.. والذي يتفق مع موسم الزواج الذي يُقَام كل عام في بابل؛ حيث يجتمع الشبان والفتيات من كل أرجاء مملكة أشور العظيمة فينتقي كل شاب عروسًا تناسبه.. ويشتري الكهول الفتيات الصغار لتربيتهن حتى يبلغن سن الزواج فيتزوجوهن أو يقدموهن لأحد أبنائهم كزوجات. . نظر إلى عيني "سميراميس" الجميلتين وعقد العزم أن يمضي غدًا إلى "نينوى".

ومضى "إيشما" العجوز حاملًا "سميراميس" الصغيرة على كتفه إلى "نينوى".. ولو تحدثت الأناقة يومًا لقالت "نينوى".. كان "إيشما" قد لبس أفضل ما عنده لكنه بدا متسوِّلًا بالطبع وسط هذا السوق الذي يتنافس فيه كل ذي جمال للحصول على كل ذات حسن.. كانت "سميراميس" تضحك ضحكتها الساحرة التي خطفت أعين الكل وأثارت تساؤلاتهم عن هية ذلك المتسول الذي يحمل لؤلؤة بين ذراعيه.

في نفس الوقت الذي كان "سيما" ناظر خيول الملك يمر في السوق.. كان يبحث عن خيول جديدة يشتريها للملك.. وحانت منه نظرة التقطت فيها عيناه صورة "سميراميس" الصغيرة.. نسي "سيما" الخيول ونسي الملك ونسي كل شيء وتذكَّر شيئًا واحدًا.. تذكر أنه عقيم لا يلد.. نظر مرة أخرى إلى الصغيرة.. شعرٌ بُنيّ كأنه الذهب.. كيف يصير البُنيّ ذهبًا؟ هذا لا يمكن شرحه إلا لو رأيت شعر هذه الفتاة.. عينان تختصران كلمة أنثى إذا نظرتَ إليهما.. شفتان دقيقتان.. ترك "سيما" كل شيء وتوجه إلى الراعي العجوز.. إلى "إيشما".

نظر "إيشما" إلى ملابسه الملكية في حذرٍ.. وابتسمت له الفتاة الصغيرة في سحرٍ.. دقت له كل دقات الأبوة الباقية في قلبه.. وجرت لتلقي نفسها بين ذراعيه.. التقطها ورفعها إلى السماء بسعادة.. وأخرج من جيبه كيسًا من

العملات الذهبية كان سيشتري به أغلى خيل في السوق.. نظر "إيشما" إلى الكيس بلهفة وسعادة.. ثم إنه قبل يد "سيما".. ومضى في طريقه يغني:

"ولما يأتي المخلّص العظيم.. ستتحررين بالتأكيد "

***

كانت هناك منصة كبيرة دائرية ذات رخام أبيض وذهبي.. تحيط بها التماثيل البابلية الموحية.. وفي منتصف المنصة نافورة مزخرفة تسحب الماء من النهر وتضخه بشكلٍ خيالي لا يمكنك أن تصدق أنه كان موجودًا بهذه الدقة قبل أكثر من أربعة آلاف عام.. غضَّ بصرك عن كل الفتيات العاريات الممددات أو الواقفات هنا وهناك بجوار فتى في غاية الوسامة يجلس وسطهن بهدوء.. انظر إلى قوة وفتوة ووسامة هذا الفتى.. انظر إلى سحر الطبيعة وسحر البناء البابلي من حوله.. أنت في أحد القصور الملكية ببابل.. وهذا الوسيم هو "زاهاك" ابن الملك كوش بعد مرور مئة سنة على ولادته.. لا ترفع حاجبيك في استغراب.. فأعمار البشر حينها كانت مابين خمسمئة وألف.

ها أنت تدير عينيك يمينًا ويسارًا لتملأهما بجمال هذا المنظر الساحر.. إن أجمل منتجع في هاوي يبدو بشعًا مقارنة بهذا السحر.. لكن عينيك توقفتا فجأة على شيء أفسد استمتاع عينيك؛ رجل عجوز كسيح.. أكثر أسنانه ليست في فمه.. تخرج من ذقنه شعرات معدودة مجعدة طويلة بشكل عجيب لم تَرَه في أشد الصور غباء.. يرتدي عباءة سوداء ممزقة من هنا وهناك.. وهاهو يقترب من المنصة بخطوات عرجاء.

صعد الرجل العجوز إلى المنصة الرخامية.. قابلته نظرات امتعاض أنثوي من العاريات.. ضيَّق "زاهاك" عينيه الوسيمتين ونظر إليه بهدوء.. وبادره بلهجة ساخرة واثقة:

- كيف دخلت هنا أيها المسخ الأجرب؟

نظر له العجوز بعينين فيهما بريق وحيوية مريبين.. وقال بصوتٍ هو أقرب لصوت الحية:

- مررت بعرجتي هذه عبر مسوخ جُرب كثيرين يرتدون قلنسوات مضحكة ويقفون كأن على كروشهم الطير.. يحرسون ما يلقبونه بابن "كوش" العظيم.. فتملكني فضول لرؤية ابن "كوش" هذا.. وإذ بي أجده مستلقيًا كأنه البغل وسط الإناث حتى صار واحدة منهن.. لا سيف يُسن.. ولا رمح يُعد.

وضعت العاريات أياديهن على قلوبهن.. وتحفز الحرس حول "زاهاك".. وتوجهت كل الأنظار إلى "زاهاك" الذي قام معتدلًا من مجلسه بسرعة كالمارد واختطف أحد الرماح من أحد حُرَّاسه وألقاه بيد خبيرة حتى انغرست في قلب العجوز الذي سقط كالحجر.. قال "زاهاك" بغضبٍ شديدٍ:

- ألقوا هذا الحثالة إلى الأسود.. واعتذروا لها عن هذا اللحم العفن الذي سنطعمها إياه اليوم.

حمل الحراس العجوز الذي بدا وكأنه مات من فوره كالجلمود وألقوا به إلى حفرة قريبة واسعة مزيَّنة جدرانها برسومات الأسود الماشية التي تعتبر رمزًا من رموز الحضارة البابلية.. وهي أيضًا مليئة بالأسود الحقيقية التي تزأر في

غضبٍ جائعِ الأسود التي بدا وكأنها مئة أسد جائع مزقوا جثة العجوز قبل حتى أن تحط على الأرض.. قال "زاهاك" بغضب:

- ألقوا حراس المنصة كلهم وراءه.. يبدو أن أبي "كوش" العظيم لايعرف كيف يختار رجاله.

غادر "زاهاك" المنصة واتجه إلى داخل القصر البابلي العظيم.. ومشى فيه بغضب هادر يُعنف كل من يجده أمامه من الحراس.. حتى وصل إلى غرفته المزين بابها بالعديد من الألوان والزخارف.. فتح بابها وأغلقه بغضبٍ.. ثم إنه..

- لم أعد أذكر أن لك اسمًا ما يابن "كوش" العظيم.

نظر "زاهاك" إلى مصدر الصوت بعينين متسعتين.. كان رجلًا أكثر من نصف أسنانه مفقودة.. ولديه عشر شعرات غريبات في ذقنه العجوز.. يرتدي عباءة سوداء ممزقة أطرافها.. ولديه صوت أشبه ما يكون بصوت الحية.

***

هانحن مرة أخرى في بابل.. ولكن بعيدًا عن القصور الملكية.. في ضواحي المدينة التي لم تكن مبانيها العادية أقل جمالًا من قصورها.. كان هناك رجل بملابس تبدو ملكية يمتطي صهوة جواد أصيل ويحيط به الكثير من الرجال ذوو الملابس المتشابهة والجياد المتشابهة.. كان هذا هو "أونس" مستشار الملك.. وقد أتى للمدينة بفوجٍ ملكي حتى يُبلغ أهلها بأوامر الملك التي لا تنتهي.. كان الأهالي محتشدين أمامه في قلقٍ وملل.. وكان "سيما" ناظر خيول الملك واحدًا من المحيطين بالمستشار "أونس".

ومن بين جنبات صمت الأهالي ومللهم شق الهواء صوت جواد آتٍ من بعيدٍ بسرعة مجنونة.. التفتت إليه رؤوس كل الأهالي في دهشة وتبعتهم رؤوس الوفد الملكي في غضب.. وتحولت كل دهشة إلى إعجاب وكل غضب إلى دهشة.. لقد شقَّ جمود المشهد جواد أسود قوي يمتطيه ما بدا في الأفق وكأنه فارس مغوار.. وليس هذا ما غيَّر تعابير القوم بهذا الشكل.. لقد تغيرت تعابيرهم لأن القادم لم يكن فارسًا.. بل كانت "سميراميس".

- هل فاتني الشيء الكثير؟

قالتها بمرح وثقة لا يجتمعان إلا لديها.. دعك من الصمت الذي قابل عبارتها.. دعك من نظرات الأهالي إلى بعضهم والتي تحمل معانى أشبه بـ - انظروا إلى هذا الفرس الذي يمتطي فرسا - .. دعك من كل هذا وانظر إلى الفوج الملكي.. وتحديدًا إلى "أونس" الذي سقط منه لباس الصرامة الذي كان يضعه على وجهه.. سقط إلى أسفل قدمي جواده.. وسرحت عيناه في عالم لم يرَه من قبل.. تاهت عيناه في زحام من الجمال والرقة والأنوثة و...

- كيف تركضين بالفرس بهذا الجنون في ضواحي المدينة يا "سميراميس"؟ وكيف تتخلفين عن حشد الملك؟

- لقد أمرتني أن أحاول ترويض الحصان "ليجيش" يا أبي.. وهاهو أمامك كالمهر.

قالتها بنظرة أنثوية إلى المستشار "أونس" الذي كانت هذه النظرة كافية لتقضي على كل ما تبقى من رزانته. . فقال بصوت خافت للحشد:

- فلينصرف كل منكم إلى متاعه.

تحرك الحشد مستديرين مهمهمين واستدارت "سميراميس" بجوادها لكن صوت "سيما" الهادر أوقفها قائلًا:

- "شميرام" تعالي إلى هنا وقبلي يد المستشار واعتذري له.. فقد أفسد قدومك حديثه.

نزلت "سميراميس" من على صهوة جوادها كفارسة حقيقية.. وتوجهت ناحية "أونس" ناظرة إليه تلك النظرة الأنثوية إياها.. والتي زلزلته هذه المرة فبدا وكأنه هو الذي أخطأ ويريد الاعتذار على شيء ما.. مدت "سميراميس" يدها الجميلة إليه ببطء حتى أمسكت بيده ببطء.. لكن يده جذبت يدها فجأة إليه ليُقبل هو يدها ويقول في خفوتٍ. .

- سيدة شميرام".. أن تقبلي أن تكوني لي زوجة هو الطريق الوحيد الذي سيجعل قلبي يسامحك على ما فعلته به.

نظرت "سميراميس" إلى "سيما" الذي كان ينظر لها نظرة أبوية مبتسمة مشجعة.. ثم نظرت إلى "أونس".. رجل قوي ذو منصب هو الأعلى في الدولة.. تنحى قلبها جانبا وتحدث عقلها بالموافقة.. وأصبحت "شميرام" في الليلة التالية زوجة "أونس".. المستشار الأعلى للملك "كوش" العظيم.. ملك المملكة البابلية كلها.

* * *

ورغم أنَّ عينيْ "زاهاك" الوسيم قد اتسعتا لثانية.. إلا أنهما غضبتا في الثانية التالية واستعاد قلبه جأشه وتحفزت عضلات ساعديه وهجم على العجوز البشع هجمة ثائرة.. لم يتحرك العجوز من مكانه قيد أنمله ولم تطرف عيناه طرفة.. بل كان ينظر بسخرية إلى هجمة "زاهاك" التي مدَّ فيها يده ليمسك بتلابيب العجوز ويرديه حيث يرديه.. لكن هجمة "زاهاك" تلك لم تنته إلا بعظيم اتساع في عينيه.. وبنظرة إلى العجوز غير مصدقٍ لما يراه.

لقد مرَّ من العجوز كما يمر من الهواء.. فالتفت بحدة إلى العجوز ليجده واقفًا في موضعه ناظرًا بعينيه الساخرتين إليه نظرة هزت كيانه.. أي إنسانٍ هذا.. العجيب أن ردة فعل "زاهاك" لم تكن مرتعبة بقدر ما كانت متحيرة.. ثم حسم أمره فجأة وتوجه بسرعة إلى المشعل الذي يضيء الغرفة بالنار.. وحمله بيدٍ واحدة ثم ألقاه بكل عزمه على العجوز الواقف.. ورأى بأُمّ عينه المشعل يمر من بين جسد العجوز ويسقط على الأرض.. وهنا تحولت نظرة العجوز إلى نظرة مخيفة وسَّع فيها عينيه بغضب ثم نظر إلى المشعل نظرة واحدة أطفأت المشعل مكانه.

بدأ عقل "زاهاك" البابلي القديم يفكر غير عالمٍ ماذا يصنع بالضبط.. لكن العجوز كان هو من تحرك هذه المرة.. في أقل من طرفة عين كان عند المشعل يحمله.. وفي الطرفة الثانية حدث ما جعل "زاهاك" يتراجع تلقائيًا.. لقد أصبح العجوز عجوزين ثم ثلاثة ثم عشرة.. ثم تضاعف عدد العجزة حتى أصبح بعضهم يطير في الهواء.. وكلهم يحملون المشاعل.. ثم ألقوها كلهم برمية رجل واحد على "زاهاك" الذي تراجع فتعثرت قدمه فوقع على ظهره.. واشتعلت النار في الغرفة حول "زاهاك" الذي لم يدرِ كيف يهرب.. كان العجوز ينفذ إلى عقل "زاهاك" ويقرأ ما يفكر فيه.. والعجيب أن كل ما كان يملأ عقل "زاهاك" هو ثورة الغضب والإصرار على هزيمة هذا الكيان الذي لا يدري له تعريفًا.. وكان هذا يُعجب العجوز.. وفجأة تحول أكثر من خمسين عجوزًا إلى عجوز واحد يتقدم إلى "زاهاك" وسط النيران ويقول له بصوت كفحيح الثعابين :

- لا تزعج نفسك بالتفكير بعقلك القاصر يا ابن "كوش".. فلا قبل لك بي.

رفع "زاهاك" ذراعه أمام عينه محاولا تخفيف وهج النيران عليها وقال :

- من.. من أنت يا هذا؟

قال له العجوز ببطء حاد :

- أنا "لوسيفر".. أمير النور يوم خُلق النور.

وفجأة انطفأت النيران وكأنها كانت وهمًا قاسيًا.. فأكمل "لوسيفر" :

- أنت المختار يا ابن "كوش".. أنت من اختاره نوري وبصيرتي.. بي وحدي ستكون أعظم أهل الأرض.. وبي وحدي ستتعلم سر الـ "ماجي".. وبي وحدي ستملك الأرض بإنسها وجنها وكنوزها.

همَّ "زاهاك" أن يتحدث لكن "لوسيفر" أكمل حديثه :

- ليس سواك يصلح ليكون جبار الأرض.. ليس سواك يصلح أن يقود هؤلاء النعاج.. ليس لسواك أن يعلم سر الـ "ماجي".. فلو أردت أن يحصل كيانك الفاني على كل تلك القوة التي لم أرِك منها سوى مثقال ذرة.. ائتني عند جبل دنباوند.. واسأل الصِبية هناك عن "لوسيفر".. وسيأتون بك إليّ.

ثم تلاشى العجوز من أمامه كأنه لم يكن.. تاركًا "زاهاك" في صدمة.. صدمة ستغير حياته كلها فيما سيأتي من الأيام.

* * *

جبل دنباوند.. في ظلمة من الليل كالحة.. وشاب وسيم حائر يمشي على سفح الجبل المظلم باحثًا عن الصِبية.. وأي صِبية سيكونون في مكانٍ كهذا.. إنه يكاد ألا يرى يديه.. ولا يسمع إلا همس الأرض.. ومن آنٍ لآخر تتهيأ له ظلال شبه بشرية تدهن صخور الجبل.. بدأت نفس "زاهاك" الملولة تراوده.. فصاح بأعلى صوته:

- أيها العجوز.. ها أنا ذا في دنباوند.. أين تراك تكون ؟

ولم يسمع ردًا.. سوى صدى متكرر أضاف إلى تلك الأجواء الساكنة لمسة مقلقة.. ثم بدا له أن هناك شيئًا ما يتحرك بحذرٍ.. ثم لم يلبث أن شعر بأنه ليس شيئًا واحدًا.. بل أشياء.. تتحرك نحوه بحذرٍ صانعة بأقدامها صوتا ما على الأرض.. ضيَّق "زاهاك" عينيه الوسيمتين ليزيد من حدة ناظريه.. ثم رآهم.. لم يرَ أجسادًا بل عيونًا.. عيون تلمع كعيون الذئاب.. كانوا في كل مكان.. أمامه.. وعن يمينه وشماله.. عيون لا تبدو أنها أليفة.. والعجيب أن "زاهاك" لم يشعر بالخوف ولا بالقلق.. بل إنه صاح فيهم بصوت قوي صياح المعاتب :

- أين هو "لوسيفر"؟ أين من يطلق على نفسه أمير النور ؟

وهنا بدت له أجسادهم الصغيرة.. كانوا حوالي مئة يحتشدون حواليه.. ينظرون ناحيته بنظرة جامدة تشعر فيها بخاطر من الدهشة.. كانوا يبدون وكأنهم حشدٌ من الأطفال الحانقين على شيءٍ ما.. ملبسهم أسود وشعورهم سوداء طويلة.. التفتوا جميعًا بلا كلمة ومشوا كلهم باتجاه الشمال.. وتبعهم "زاهاك" متوجسًا.. حتى أوصلوه إلى ما يشبه الغار في سفح الجبل.. ثم تفرقوا إلى كتلتين صانعين بينهم طريقًا.. نظر لهم "زاهاك" ثم مشى وسطهم إلى الغار حتى دخله.. وكما وعده "لوسيفر".. كان بانتظاره.

لم يكن عجوزًا.. ولم يكن أعرجَ.. بل كان "لوسيفر".. ليس له وصف آخر سوى أنه "لوسيفر".. على كرسي كبير كان يجلس.. يلفه الظلام.. رغم وجود مشعل أو مشعلين يبعثان نورًا خافتًا للغاية.. وهنا دبَّ شيء من الرعب في قلب "زاهاك".. فالكيان الجالس أمامه لم يكن إنسيًا.. وإن كانت له الهيئة التشريحية للإنس.. لم يتبين وجهه جيدًا لأن الظلام كان يخفيه.. ليست

هذه يد بشر.. وليست هذه أصابع بشر.. ولا أظافر بشر.. وما هذه الأكتاف بأكتاف بشر.. ما هذا الشيء بالضبط؟ هل هو الرب على عرشه؟ لم يستطع بعقليته البابلية القديمة أن يستنتج أنه يقف على بُعد خطوة أو خطوتين من الشيطان.. "لوسيفر".. لم يكن يدرك أنه يقف أمام "إبليس".

***

بدأت الأمور تتضح ببطء؛ الوجه الذي كان يلفه الظلام اقترب من مجال الرؤية وبدأت تسقط عليه ظلال المشاعل المتراقصة.. تحفزت خلايا "زاهاك".. ثم تحول هذا التحفز إلى الدهشة.. فذلك الكيان الذي يفترض أنه "لوسيفر" كان يملك شعرًاطويلًا جدًّا يمس الأرض.. وهذا الشعر ينسدل على وجهه غزيرًا يخفي ملامحه تمامًا؛ حتى لا تدري هل أنت أمامه أم خلفه.. قال "لوسيفر" بصوت هادر كالصخر:

- لقد اخترتك يا "زاهاك" من بين رجال الأرض كلها.. فبرغم أنك تستمرىء حياة الدعة إلا أن لديك قلبًا ميتًا لا يخاف.. قلب شجاع.. وروح متمردة.

أجفل "زاهاك" قليلًا وشعر بعرق يُندي جبينه من هول الكيان الجالس أمامه ثم قال بصوتٍ خافت:

- اخترتني من أجل ماذا؟

أجابه "لوسيفر" بغضبٍ لا يدري "زاهاك" له سببًا إلا أن يكون صوته الهادر يوحي بالغضب:

- لتملك بني الإنسان.. لتكون أول بشريّ يتعلّم سر الـ"ماجي".. ولكن..

توقف "لوسيفر" للحظات ثم قال:

- يجب أن نضع قلبك الميت هذا طور الاختبار.. فسر الـ"ماجي" العظيم لو ناله الرجل الخطأ.. فإنه يموت من فوره.

أشعلت كلمة الاختبار في نفس "زاهاك" شيئًا ما فقال:

- ماهو هذا الـ"ماجي" الذي لا تكف عن ترديده.. وماهو هذا الاختبار

قاطعه "لوسيفر" فجأة:

- أن تراني ..

لم يفهم "زاهاك" شيئًا؛ فهمّ بالحديث إلا أن "لوسيفر" قال بصوته الهادر في لهجة مخيفة:

- أن تراني ولا ترتعد فرائصك.. فإن كشفت لك عن وجهي وطرفت عينك طرفة خوف واحدة سأقتلك على الفور.. وإن رأيتني ولم تجفل. . فإن سر الـ"ماجي" من حقك وحدك.. وسيُطوى لك العالم وتخضع لك نفوس البشر كلهم.

سكت "زاهاك" سكوتًا طويلًا ثم قال:

- فلتكشف عن وجهك إذن يا هذا.

وبسرعة مفاجئة انحسر الشعر عن وجه "لوسيفر" الذي اعتدل في مجلسه مقربًا وجهه الشيطاني من "زاهاك".. كان "زاهاك" في تلك اللحظة يشاهد أشد وجوه الأرض بشاعة وإرعابًا.. وجه "إبليس".. زاد العرق على جبينه.. وشعر بأن ذرات الهواء تهتز من حوله من شدة بشاعة ذلك الوجه.. خفق قلب "زاهاك" خفقة سقط فيها إلى أسفل سافلين.. لكنه حافظ على ثبات عينيه.. وأخذ يفكر في أشد الأمور جمالًا وبهجة ليشغل ذهنه عن بشاعة ذلك الكيان.. ولكنه مع مرور الثواني ازداد الخوف في قلبه من هول

ما يرى.. لكنه استعاد رباطة جأشه بشجاعة عجيبة وقال بصوت حاول أن يخرجه ثابتًا غير متهدّج:

- أي شيء لعين أنت بالضبط؟

تحدث "لوسيفر" فتضاعفت بشاعة وجهه فقال :

- أنا شيطان مريد.

كان ذلك اللقاء هو أول لقاء بين إنس وجن في تاريخ الأرض.. وقد حدث في بابل في أول حضارة بشرية بعد طوفان "نوح".. أصبح "زاهاك" يتردد على ذلك الغار في كل ليلة.. وعلمه "لوسيفر" سر الـ "ماجي".. والـ "ماجي" بلغة أهل بابل تعني السحر.. فكان "زاهاك" هو أول ساحر مشى على ظهر الأرض.. أما التاريخ فلقّبه بلقب اشتهر جدًا حتى ظنه الناس اسمه الحقيقي. اشتهر "زاهاك" في التاريخ باسم "النمرود": "الملك النمرود".

وبعد مرور بضعة أيام على حادثة اللقاء الشيطاني تلك.. نصب "زاهاك" فخًا لأبوه "كوش".. حفرة متوسطة العمق مثبت في قاعها أكثر من خمسين رُمحًا متجاورًا.. حفرة مغطاة بأوراق الشجر.. كان هذا هو أول فخ ينصب في التاريخ.. كان الفخ الذي قتل الملك "كوش" وحول جسده إلى مصفاة بشرية.. الفخ الذي أوصل إلى العرش من بعده ملكًا كان هو الأكثر دموية وجنونًا ليس فقط بين ملوك بابل.. بل بين ملوك العالم كله.. ابنه "زاهاك".. "الملك النمرود".

أن تكون مَلكًا جبَّارًا فهذا مفهوم.. أما أن تكون مَلكًا جبَّارًا متسلطًا وساحرًا عتيًا فاجرًا.. فقد صنعت شرًا مستطيرًا لا قِبَل لأهل الأرض به.. كان "النمرود" هو كل ذلك.. كان أول وضع تاجًا على رأسه.. وفكرة التاج نفسها

اقتبسها من ملوك الجن.. وقد صنع لنفسه تاجًا ذهبيًا عظيمًا.. وخاتمًا ذهبيا كبيرًا.

يذكر التاريخ للنمرود أنه قال لما وضع التاج على رأسه :

- نحن ملوك الدنيا.. المالكون لما فيها.

ولم يدرِ أحدٌ معنى كلمة "نحن" حتى هذه اللحظة. .

* * *

إنها الحرب على مملكة "بكتيريا".. لقد بدأ عصر الحروب فور جلوس "النمرود" على العرش.. ورغم أن المستشار الأعلى "أونس" كان عريسًا جديدًا إلا أن طبول الحرب لما دقت انتزعته من سريره انتزاعًا.. ولم تنتزعه وحده.. بل انتزعت زوجته معه.. الفارسة "سميراميس".. والتي كانت قد أظهرت فروسية وذكاء لا يملكهما أعتى الفرسان.. نزلت "سميراميس" إلى الحرب مع زوجها جنبًا إلى جنب.. والحقيقة أن مظهرهما كان عجيبًا كعروسين.. كانت "سميراميس" قائدة كتيبة عسكرية كاملة.. فائقة الجمال.. جمال من الطراز الذي يذعن له الآخرون رغمًا عنهم.. لها عينان ساطعتان بالرغم من كثافة رموشهما.. عينان يشع منهما وهج عبقرية قائد يستطيع أن يأمر جيشًا ويؤسس إمبراطورية.

أظهرت "شميرام" في تلك الحرب دهاءً عسكريًا فاق كل الحدود.. دهاءً أسقط وحده مملكة "بكتيريا" الحصينة.. ووصل الخبر إلى الملك "النمرود" الذي دُهِشَ دهشة حقيقية من أن تفعل فتاة واحدة كل هذا.. فاستدعاها لمكافأتها.. وكان أول لقاء بين الملك النمرود وبين "سميراميس".

كان الملك "النمرود" جالسًا على عرشه يُعنِّف مستشاريه كعادته.. وكان منهم المستشار "أونس".. وفجأة دخلت "سميراميس".. بكل جمالها وثقتها وقوتها دخلت.. رافعة رأسها راسمة على ملامحها تعبيرًا عسكريًّا صارمًا بدا عجيبًا على ملامحها الجميلة.. وفور أن رأت "زاهاك" شعرت بخفقة في قلبها.. ساءلت قلبها عن تلك الخفقة.. أتُراك خفقت لأنك رأيت الملك الأعظم للبلاد لأول مرة.. لكنها رفضت هذا.. فهي ليست من الطراز الذي يهتز لرؤية أحد.. في نفس الوقت كان "زاهاك" يحدِّث أحد مستشاريه بعصبية.. ثم لما شعر بحضور شخص ما التفت إليه بحدة.. وعندما رآها قام من على عرشه.. وكان يسائل نفسه أثناء قيامه.. لِمَ يقوم ؟.. إنه ليس من الطراز الذي يقوم لحضور أحدٍ.. التقت عيناهما لقاءً حجبَ عن مجال رؤيتهما أي كيانات أخرى سواهما.

اقتحمت المجال نظرات أخرى آتية من شخص آخر يرى المشهد.. نظرات غاضبة موجَّهة من "أونس".. زوجها.. الذي لم تسره تلك النظرات التي عجز الطرفان عن إخفائها.. ثم اقتحمت المجال نظرات أخرى ترى المشهد بعين شيطان.. نظرات "لوسيفر".

* * *

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ إلا وكان يمكنك أن ترى المستشار "أونس" وهو يسقط صارخًا من فوق قلعة النمرود.. بينما يقف النمرود فوق القلعة ناظرًا إليه بسخرية.. ثم أمكنك أن ترى النمرود يتزوج من "سميراميس" زواجًا اهتزت له أرجاء المملكة البابلية اهتزازًا لم تهز قبله مثله ولا بعده.. حتى استمرت الاحتفالات ثلاثة أيام متواصلة.. ووُزعت الكثير من الكابرا (حقائب الهدايا) المليئة بالملبس والحلويات البابلية الأخرى.. واجتمع الشمس والقمر كما تقول الأساطير.. الشمس هو إله الشمس النمرود والقمر هي "سميراميس".

زادت قوة مملكة النمرود بعد انضمام "سميراميس" بكل دهائها إليه.. انضم الدهاء العسكري إلى القسوة والطغيان إلى سطوة السحر.. وظلت مملكة النمرود تغزو الممالك التي تجاورها حتى أصبح النمرود ملك الأقاليم السبعة.. ولم يكتف بذلك.. بل تطلع إلى مزيد من السلطان.. أراد أن يغزو السماء.. فجمع ستمئة ألف رجلٍ من كافة ممالكه السبعة وأمرهم أن يبنوا بُرجًا شاهقًا لا يصعد المرء إلى قمّته إلا بعد مسيرة عام كامل.. برج يتجاوز السحاب ارتفاعًا.. وبالفعل بدأ العمال والمهندسون وحتى الجن في بناء ذلك البرج العظيم.. ولم تمضِ عدة سنوات إلا وتم بناء أول عجيبة من عجائب الدنيا السبع.. برج بابل.. ذلك البرج الذي كان قصر النمرود وعرشه على الأرض.

* * *

كان النمرود نائمًا في أحضان الجميلة "سميراميس" التي كانت تمسح بيدها على شعره في حنانٍ لم تعهده في نفسها.. لكن النمرود وقتها كان في شأنٍ آخر.. كان يرى حُلمًا عجيبًا.. تراءى له مابدا وكأنه فارسٌ على صهوة جواده يطير في السماء عند الأفق.. ورأى نفسه يطير في السماء مواجهًا لذلك الفارس.. أعاد النظر مرة أخرى إلى السماء فرأى الفارس قد اختفى وحلَّ محله كوكب متألق.. نظر إلى الموضع المواجه للفارس والذي رأى نفسه فيه.. فلم يجد نفسه بل وجد الشمس.. ثم اختفت الشمس فجأة من السماء وبقي ذلك الكوكب المتألق.. أعاد النظر مرة أخرى فرأى الفارس في موضع الكوكب المتألق يغير اتجاهه الأول ويقترب بسرعة رهيبة من الأرض هاجمًا بفرسه على النمرود نفسه ففزع وصحا من نومه صارخًا فجأة

لتقابله عينا "سميراميس" الجميلتين القلقتين ويداها الحانيتين على جبينه.

أحضرت "سميراميس" للنمرود أعلم أهل بابل ليفسروا له ذلك الحُلم.. وكانوا خائفين من التصريح بالتأويل الحقيقي لذلك الحُلم.. ثم حسموا أمرهم في النهاية وأخبروه.. قالوا له إن هناك مولودًا سيولد على هذه الأرض عمَّا قريب.. وأنَّ هلاكًا سيكون على يديه.

ثار النمرود ثورة رهيبة.. وأمر بقتل كل المواليد في جميع الأقاليم السبعة.. ونزل جنوده يقتحمون البيوت ويقتلون الأطفال. في تلك الأيام بالضبط وُلِدَ نبي الله "إبراهيم".. وأخفته أمه من جنود النمرود.. حتى كبر وصار شابًا.. وكان شعب بابل يعبدون الكواكب ويصنعون لها أصنامًا يتضرعون إليها.. ومن تلك الكواكب الشمس والقمر: فالشمس هي المعبود الأعلى وهو الملك النمرود والقمر هو المعبود التابع وهي "سميراميس".. أما "النمرود" فقد كان ولاؤه للشيطان وحده.

كان قد فسق في تلك الأيام وفجر وتجبَّر وحكم الناس بالحديد والنار.. بدأ "إبراهيم" يدعو الناس ليعبدوا إلهًا واحدًا.. ويحاول إقناعهم أن أصنامهم تلك لا هي بضارة ولا نافعة.. وحدثت القصة الشهيرة في عيد الربيع.. ذلك العيد الذي حطَّم "إبراهيم" فيه أصنام بابل المصطفة في معبد "أور" وعلق فأسه على صنم شديد الضخامة منهم يدعى "مردوخ".. ولما عاد القوم من عيدهم وجدوا كل أصنام آلهتهم قد تحطمت ماعدا واحد.. وذلك الواحد هو "مردوخ" العظيم.. الذي كان يقف في رأس المعبد بشموخ ويحمل فأسًا على كتفه.

ضجَّ القوم وتذكروا كراهية "إبراهيم" لأصنامهم فاستدعوه وسألوه فأجابهم الجواب الشهير..

- بل فعله كبيرهم هذا.. فاسألوه إن كان ينطق.

ثار القوم وأوصلوا الخبر إلى إلههم الملك النمرود.. وكانت المواجهة الشهيرة بين النمرود و"إبراهيم".

- من هو ذلك الإله الذي تعبده يا "إبراهيم"؟
- إنه الإله الذي يُحيي ويميت .
- أنا أحيي وأميت.. أضرب عنق سجين لدي فأميتُه وأترك الأخر فيعيش.
- إلهي يُخرج الشمس من المشرق.. فأخرجها أنت من المغرب.

فبُهت "النمرود" ولم يدرِ ما يقول.. وأمر بقتل إبراهيم قتلًا يكافىء جريمته في حق الآلهة.. أمر بأن توقد نار هي أعظم نار أوقدت على ظهر الأرض وأن يُلقى فيها "إبراهيم".. وظل أهل بابل يجمعون الحطب لإيقاد تلك النار شهرًا كاملًا.. ولما أوقدوها نارًا عظيمة أصبح نورها يُرَى من آخر المدينة.. ثم ألقوا "إبراهيم" فيها بالمنجنيق.. وتركوها أيامًا ولياليَ حتى انطفأت.. فهرعوا إليها ليجمعوا رماد الرجل الذي تجرأ على الآلهة.. فوجدوه واقفًا هنالك وليس به خدش واحد.. غضب النمرود غضبًا شديدًا.. لكنه غضبٌ مكتومٌ هذه المرة.. غضب موجه ناحية حليفه الذي وعده بالقوة والملك.. غضب على "لوسيفر".

***

كان الشيء التالي الذي فعله النمرود هو أعجب شيء يمكن أن يقوم به بشريٌّ.. وربما استحق لقب النمرود بسبب فعله لهذا الشيء وحده؛ ذهب النمرود إلى جبل دنباوند وتحديدًا إلى ذلك الغار الذي كان يتردد عليه بين الفينة والأخرى ليتعلم السحر.. غار "لوسيفر"..

- أين كانت تلك القوة المطلقة التي تدعي.. كيف لنار مستعرة ألا تحرق إنسيًّا من لحمٍ ودمٍ؟

- لأنه شيطان مثلي.

- حقًّا؟ أتقصد شيطان أعظم منك؟ ثم أننا كلنا نعرف "إبراهيم" ونعرف أباه "آزر" النحات.

- ليس لك أن تعرف كل ما أعرف.. فلست أنا وأنت إلا حلفاء بحلف أنا السيد فيه.. وما أنت ببالغ مبلغي.. فما أنت في النهاية سوى بشري تجوع وتبول وتموت.

- أين هي القوة؟ لقد صعدت إلى السماء فوق السحاب ببرجي ولم أجدها.. وهبطت معك إلى أسفل سافلين ولم أجدها.

- القوة هي أنك مَلِك الأقاليم السبعة.. ولا يوجد بشري إلا ويرتعد عند ذِكر اسمك.. وعائلات كاملة من الجن تأتمر بأمرك.

- كلهم إلا واحد.. "إبراهيم".. ما الذي يملكه ولا أملكه أنا ولا تملكه أنت

- هو فقير لا يملك شيئا إلا الحيلة.. والحيلة هي التي أنجته من النار

- أنت كاذب.. كاذب وحقير.. وأقسم أني قاتلك وممزقك إربا.. فور أن أجد تلك القوة

أعلن تمرده على حليفه "لوسيفر".. فبعد أن تمرد النمرود على والده بقتله.. وتمرد على الله بالكفر وادعاء الألوهية.. وتمرد على الكواكب التي يعبدها قومه بتجاهله الكامل لها.. وتمرد على كل الأعراف والأخلاق بطغيانه

ودمويته وتجبره في البلاد.. بعد كل هذا أعلن في النهاية تمرده على من علمه السحر.. أعلن تمرده على "إبليس".. فالنمرود من التمرد.. وكان "زاهاك" هو أمير التمرد بلا منازع في تاريخ الأرض.

***

- سيدي "زاهاك".. وصل الطباخ الجديد للملك بعد أن أمرتنا أن نطرد الطباخ الأول

- دعه يدخل.. ولينه حديثه سريعا

كان "النمرود" يناقش أمرا ما بجدية مع مستشاريه.. حتى شعر بوقع خطوات هادئة.. رفع رأسه لينظر إلى من سيعرف بعد قليل أنه الطباخ الجديد.. لكن عيناه اتسعتا بوضوح لاحظه كل المستشارين.. فالطباخ الجديد كان شكله يبدو مألوفا جدا.. عجوز.. أعرج. شبه معدوم الأسنان.. عباءة سوداء ممزقة.. وابتسامة ساخرة زادت منظره بشاعة.

قال العجوز بصوت كالفحيح الساخر :

- أتيت لأقدم لك يا سيدي عينة مما تستطيع يداي عمله .

وتقدم العجوز مقدما للنمرود طبقا ذهبيا عليه بعض الطعام المطهو.. قال له "النمرود" بصوت واضح القلق :

- لاداعي للعينات ياهذا.. أنت مرفوض

ابتسم العجوز ابتسامة بانت فيها أسنانه المبعثرة ببشاعة وقال :

- إنني أعتذر منك ياسيدي.. ولتسمح لي أن أقبل منكبيك احتراما وخضوعا لحضرتك.

تقدم العجوز من "النمرود" بخطوات خاضعة ذليلة حتى وضع رأسه في الأرض تحت قدميه.. ثم قام ببطء وقبل منكب النمرود الأيمن.. ثم الأيسر.. ثم استأذن وانصرف إلى حال سبيله.

- لماذا رفضته يا سيدي إن طهوه رائع جدًّا

لم يرد "النمرود" عليه.. كان شاردا.. هل يعني "لوسيفر" بهذه الحركة الاعتذار.. أم أنه يعني شيئا آخر.. قام "النمرود" من مكانه وتوجه إلى غرفته عند زوجته ومعشوقته "سميراميس" كعادته إذا حزبه أمر.. فدهاءها يزن جبل دنباوند ذهبا ومثله معه.. وفور أن دخل "النمرود" إلى غرفته ونظر إلى جمال "سميراميس" وهي تصفف شعرها الذهبي البني الطويل.. حتى شعر فجأة بألم رهيب في منكبيه يصاحبه انقباض كأن عظامه قد انطبقت على بعضها.. صرخ "النمرود" وسقط على الأرض.. التفتت إليه "شميرام" وهرعت إليه.. لكنها توقفت مكانها ناظرة إلى الجنون الذي بدأ يحدث أمام عينيها المتسعتين.

فمن منكبي "النمرود" العريضين خرج ثعبانان أسودان بشعان.. يلتفان حول عنقه تارة.. ويزحفان على منكبيه تارة.. وينزلان بداخل ملابسه تارة أخرى.. ثعبانان يبدو أنه لا ذيل لهما.. كأنهما برزا فجأة من داخل منكبيه.. وشرع الثعبانين يصدران فحيحا مفترسا ويفتحان أنيابهما.. ولم يحدث أي رد فعل سواء من "النمرود" أو من "شميرام".. لأن كلهما كان قد سقط مغشيًا عليه.. ولم يبق في الغرفة إلا فحيح الثعابين.

* * *

أرسل "لوسيفر" رسالة إلى النمرود كتب فيها..

" أطعم الأفواه الجائعة كل حين.. لأنها لو لم تجد شيئا تأكله فلن تجد إلا رأسك"

ومنذ ذلك الحين والنمرود قد بدأ يتخذ عادة جديدة.. أصبح يأمر زبانيته كل يوم أن يأتوا له برأسين بشريين.. فقد تعلم أن هاتين الحيتين لا تأكلان سوى رؤوس البشر.. ويفضل أن تكون رؤوسا صغيرة لأطفال.. لأن الحيتين ترفضان أحيانًا رؤوس البالغين.. وبدأ زبانيته ينزلون إلى البلاد في كل يوم ليعودوا له برأسين مقطوعين.. ولم يعرف أحد لماذا يصر النمرود على هذا كل يوم.. ولماذا يقتل كل من يتقاعس في تنفيذ هذا الأمر بالذات.. ولم يدر أحد ماتلك العباءات العجيبة التي صار "النمرود" يرتديها.. ثم ماهذا الذي يتحرك تحت العباءة.. لم يدر أحد.. ولم يجرؤ أحد على السؤال.

حاول النمرود أن يذبح الحيتين.. وكانا كلما ذبحهما نبتا على كتفيه في الحال.. أما "سميراميس" فلم تشعر بشيء سوى بالشفقة على حال زوجها معشوقها.. وقد أتت له بالأطباء من الأقاليم كلها.. وكلما رآه طبيب عجز عن استئصال الحيتين.. وكان كلما رآه طبيب وعرف سره قتله.

في الجانب الآخر من المدينة كان هناك رجل حداد يقال له "كاوي".. تعرف في وجهه بأس شديد وقوة.. وتعرف في وجهه حزنا عميقا.. فقد زاره زبانية "النمرود" منذ أيام وقطعا رأس ولديه الصغيرين أمام عينيه.. وأخذا الرأسين وقدماها للنمرود.. كان "كاوي" الحداد مسلما.. متبعا لدين "إبراهيم".. وقد نزل بين الناس المقهورين المظلومين المقطوعة رؤوس أولادهم وذويهم.. نزل بينهم وأشعل نار الثورة في قلوبهم.. وتسللت روح

الثورة من قرية إلى قرية.. ومن إقليم إلى إقليم.. حتى جمع "كاوي" الحداد تحت رايته خلق كثير يملؤهم الغضب على النمرود.

وفجأة دخل "كاوي" الحداد إلى برج بابل.. أدخله "النمرود" ظنا منه أنه مجرد حداد أتى يستعرض ما تقدر يداه أن تصنع..

قال له "كاوي" الحداد بلهجة حازمة لم يعتدها النمرود :

- يا ملك بابل وآشور وعظيمهما.. أسلم تسلم.. وأتركك على ملكك
- وهل من إله غيري يا هذا ؟
- الله رب السماوات والأرضين
- أتقول مثلم قول "إبراهيم"؟
- "إبراهيم" نبي الله ونحن بدعوته مؤمنين.. وإنا ندعوك لعبادة الله وحده لا شريك له.. فإن أبيت قاتلناك
- هل جننتم؟ أنا "زاهاك" عظيم بابل وآشور وملك الأقاليم السبعة.. اجمعوا جموعكم إلى ثلاثة أيام وأجمع جموعي.. ولأمسخنكم وجموعكم عن وجه الأرض حتى لا يتبين لكم أحد أثرا.

وهكذا جمع "كاوي" الحداد جموعه الغاضبة لمدة ثلاثة أيام.. وجمع النمرود جنوده.. ونزل النمرود يقود جنوده بنفسه ونزلت معه زوجته الفارسة "سميراميس".. وكانت جموع النمرود أضعاف جموع "كاوي" الحداد.. ووقف الجيشين أمام بعضهما. . كان كاوي وجنوده ينظرون إلى عظمة جيش النمرود وتسليحه وتنظيمه وتجهيزه.. وينظرون إلى أنفسهم في قلتهم وأسلحتهم المتواضعة.. نظر النمرود و"سميراميس" إلى جيش "كاوي" الحداد في سخرية.. ثم نظرا إلى بعضهما.. دخل في نفوس جنود النمرود الحماسة لتقطيع ذلك الجيش الضعيف إربا حتى لا يُبقوا منهم شيء.. لكن

عيون جنود الجيشين توجهت فجأة إلى جهة واحدة ينظرون كلهم إلى شيء ما.. شيء آت من جهة مشرق الشمس..

إن القوة التي بحث عنها النمرود طويلا ولم يجدها قد قررت أن تريه اليوم من آياتها عجبا.. قوة الله جبار السماوات والأرض وعظيمهما.. ففجأة وبدون سابق إنذار رأى الجمعين جيشا آخر قادما من جهة المشرق.. جيش آت من السماء.. جيش ستر من كثرته عين الشمس.. جيش من البعوض.

في البداية لم يفهم أحد من الجيشين شيئًا.. مابال هذا البعوض يسد عين الشمس. وخلال لحظات فقط كان جيش البعوض قد اقترب حتى دخل في مجال الرؤية.. ضيق النمرود عينيه الوسيمتين ناظرًا إلى السماء محاولًا أن يفهم ماالذي يعنيه هذا.. وتحول البعوض من الطيران الأفقي في السماء إلى الانقضاض الرأسي.. الانقضاض على جيش النمرود الذي اتسعت عيناه وعيون جنوده الذين ساد في تنظيمهم الهرج والتحركات العشوائية التي يحاول فيها كل فرد الالتفات والهرب.. لكن ذلك البعوض لم يكن بعوضًا عاديًا.. كان نوعًا من البعوض لم تعرفه الأرض ولا حتى في العصر الجوراسي أيام الديناصورات.. نوع متوحش.. انقضَّ على أفراد جيش النمرود الصارخين الساقطين من على جيادهم والهاربين.. حتى لم يدع في أجسادهم لحمة إلا افترسها.. وافترشت أجسادهم الأرض على بساط من دمائهم.. أما النمرود وزوجته فقد كانا يحثان جيادهما الراكضة على الهرب بعيدًا عن تلك المهزلة.. نظر النمرود إلى السماء وقال :

- من أنت ياصاحب القوة؟ أين أنت؟ هل أنت شيطان؟

كان يركض وزوجته ويتبعهما سرب من البعوض.. لكن كان يبدو أن فرسيهما سريعان كفاية للهروب من السرب.. إلا أن بعوضة واحدة قد

تمكنت من اللحاق بالنمرود وفعلت شيئًا غريبًا جدًا؛ فما إن لحقت به حتى دخلت في أحد منخريه.. ففقد النمرود توازنه صارخًا.. وكاد يقع عن جواده لولا أن أمسكت به "سميراميس" بحركة بارعة جدًا.. ونقلته من فرسه إلى فرسها.. واستمرت في الركض بجوادها حتى هربت من سرب البعوض تمامًا ودخلت إلى برج بابل.. وأغلقت الأبواب وراءها.

***

هُزم النمرود في هذه المعركة هزيمة مروّعة.. فقد فيها جيشه الذي خرج معه كاملًا.. ولم يبقَ سوى جيش بسيطٍ يحمي برج بابل.. أما جيش "كاوي" فلما رأوا تلك المعجزة سجدوا جميعًا شكرًا لله.. وأسلم منهم من لم يكن مسلمًا.. ثم رفع "كاوي" الحداد رايته عاليًا وقاد جيشه متوجّهًا ناحية برج بابل.. حيث قصر النمرود وعرشه.

أما النمرود فقد كانت حالته شديدة البؤس.. البعوضة التي دخلت في منخره باتت في مخه.. وكانت كلما تحركت يجن جنونه ولا ينقذه إلا أن يضربه جنوده بالنعال على رأسه ووجهه.. وكانت "سميراميس" تنظر إليه وعيناها تدمعان باكية من قلة حيلتها.. كانت تود لو تفديه بنفسها.. وتولت مهمة إطعام الثعبانين اللذين على منكبيه في كل يوم حتى لا يجهزا عليه.. أي شيء هذا الذي وضع النمرود نفسه فيه؛ ثعبانان وبعوضة متوحشة.. كان متمردًا على قوى لا قِبَل له بها.. ولا قبل لأي أحدٍ بها.. لكنه عنيد ومتمرد.

وصلت جيوش "كاوي".. وبدأت تحاصر برج بابل.. وجيش النمرود الباقي استبسل في الدفاع عن البرج.. استمر الحصار أربعين يومًا كاملة.. ولم يدرِ أحدٌ ما الذي يحدث داخل البرج.. كانت عينا النمرود حمراوين ووجهه

أحمر من الضرب بالنعال.. وفجأة انكسرت بوابات برج بابل.. ودخل "كاوي" الحداد ووراءه جيشه.. لم يكن شيء ليقف في طريق "كاوي" الحداد في سعيه.. كان يريد الانتقام لما فعله النمرود في ولديه.. ويبدو أنه قد تم له ما أراد.

***

جبل دنباوند.. في ظلمة من الليل كالحة.. كان "كاوي" الحداد يدق أوتادًا حديدية في الجبل.. والنمرود ملقى على الأرض مقيدًا بقربه.. وصوت فحيح الحيّتين على منكبيه يصم الآذان.. نظر إليه "كاوي" وقال ساخرًا:

- لم تخبرني أن لديك حيتين على منكبيك يا "زاهاك".. ربما كنت سأعذرك.

لم يرد "زاهاك" بأي كلمة.. وإنما كان يصرخ من وراء كمامة وضعها "كاوي" على فمه.. يصرخ من ألم تحرُّك البعوضة بداخل رأسه.. ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى أنهى "كاوي" عمله الذي كان يعمله في الجبل.. والتفت إلى النمرود.. وحمله وبدأ يربط حبالًا سميكة في ساعديْ النمرود وقدميه.. ثم بدأ يربط كلا منها في وتدٍ من الأوتاد الأربعة التي ثبتها على الجبل.. حتى صار النمرود معلّقًا في جبل دنباوند من يديه ورجليه.. والثعبنان السوداوان على منكبيه يتلويان حول رأسه شاعران بالجوع.

فكَّ "كاوي" الحداد كمامة النمرود وقال له :

- بلغ تحياتي إلى صاحب تلك الثعابين.. فهما من سيحظى بشرف رأسك اليوم ولست أنا.

ارتفعت صرخات النمرود بينما يرفع رأسه إلى السماء وكأنه ينادي على شيء أو يحدِّث أحدًا ما.. أما "كاوي" فقد كان قد جمع عدته ورحل.. وبقي

النمرود وحده يصرخ.. وعلى سفح الجبل.. كان هناك جمعٌ قد اجتمعوا ينظرون إلى النمرود في صمتٍ مهيبٍ.. جمع من الأطفال ذوي الشعور الطويلة والنظرات الجامدة.. ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى تحرك الحوتان والتفا حول رقبته ثم انقضا على رأسه ينهشان فيها نهشًا متوحشًا دمويًا.. وظلا ينهشانها وينهشانها حتى خرجت منها بعوضة طارت بعيدًا إلى حيث ما جاءت.. وطوى التاريخ آخر صفحة في حياة رجل تجبَّر في الأرض حتى فاق كل حد.. وكانت نهايته على مستوى تجبُّره... صفحة الملك النمرود.

تمَّت

* * *

لا تظن أن هذه الحكاية هي حكاية أسطورية.. بل هي حقيقية.. ورغم أنها تعتبر ملحمة تاريخية إلا أنه لم يُمثل فيها فيلم ولم تُكتب فيها رواية.. وذلك ببساطة لأنه قصد إخفاءها.. فالنمرود مذكور في كتب التاريخ المعترَف بها كلها.. العربية منها والعالمية وقصته معروفة.. وتذكر كتب التاريخ نفسها قصة أخرى عن رجلٍ آخر حكم نفس البلاد في نفس فترة النمرود.. رجل اسمه "زاهاك".. وتسميه كتب العرب الضحاك.. وبعض تلك الكتب التاريخية المعترف بها تقول إن الشخصيتين في الحقيقة هما شخص واحد.. وتذكر كتب التاريخ نفسها أيضًا قصة رجل ثالث عاش في نفس الفترة وحكم نفس البلاد.. وتقول عنه إنه هو أول ساحر في التاريخ وتسميه "زوروستر".. ومرة أخرى تربط بعض كتب التاريخ المعترف بها بين "زوروستر" والنمرود فتقول إنهما في الحقيقة نفس الشخص.. وحتى تعرف القصة كاملة يجب عليك أن تقرأ سيرة الشخصيات الثلاث هذه: النمرود والضحاك وزوروستر.. وتكتشف أنهما فعلًا شخص واحد.. ثم تربط بين هذه السير المتشابهة وبين القصة التي ذُكرت في التوراة وفي القرآن.. وستظهر لك القصة الكاملة.. أما أنا فقد اختصرت عليك هذا البحث الطويل المضني.

سترى النمرود في الكتب بأسماء أخرى مثل "مين" و"مينوس" و"نينوس" و"نينيب" و"ماردوش" و"ماردوك" و"الازدهاق" و"بيوراسب".. وسبب كل تلك التسميات هو أنه شخصية أسطورية عند الفرس والكرد والأفغان والهند والتركمان والعرب.. وتحرَّف اسمه كثيرًا من التحريفات عبر مروره على مختلف اللغات والحضارات.. حتى إنه قد تم تأليف ملحمة إيرانية كبيرة عنه تدعى "الشاهنامة".

إن تمثال "كاوي" الحداد لازال موجودًا حتى الآن في أصبهان.. والمغارة التي عُلق فيها "زاهاك" في جبل دنباوند لازالت موجودة ومعروف مكانها.. ولازال

الإيرانيون حتى اليوم يحتفلون بالعيد الذي قُتِلَ فيه هذا الملك الجبار ويسمونه عيد نوروز.. ورغم أن برج بابل كان مرتفعًا فوق السحب بالفعل إلا أنه قد دُمِر تدميرًا كاملًا فلم يبقَ له أثر.. ولذلك لن تجده مذكورًا ضمن عجائب الدنيا السبع رغم أنه العجيبة الأولى.

أما الفاتنة "سميراميس" فهي الفتاة التي تحمل الشعلة في تمثال الحرية.. وهي نفسها الفتاة التي تراها تحمل الشعلة في الشعار الشهير لشركة *Columbia Pictures* للأفلام.. وقد حكمت بعد وفاة النمرود خمس سنوات.. أقامت فيها ضريحًا عظيمًا شديد الفخامة لزوجها زيَّنْته بالتماثيل الذهبية.. وبنت حدائق بابل المعلَّقة التي صارت العجيبة الثانية من عجائب الدنيا السبع.

هكذا تعلم الإنسان السحر لأول مرة.. وقد علَّم النمرود السحر لنفر كثير جدًا من خاصته وكان اسمهم "الماجي".. أي السحرة.. ومنها كلمة "ماجيك" التي تستخدم الآن في اللغة الإنجليزية وتعني السحر.

أعتقد أن اللعبة قد بدأت تروق لك.. لازلنا في البداية على أية حال.. المجموعة التالية فيها ستة أوراق أيضًا.. دعني أكشفهم لك بسرعة قبل أن يضيع حماسك..

الورقة الأولى: هي ورقة الأرواح المحترقة وعليها صورة رؤوس شياطين وسط نار مستعرة.

الورقة الثانية: هي ورقة النار وهي شبيهة بالأولى.. عليها صورة جماجم تحترق وسط النار.

الورقة الثالثة: هي ورقة الساحرة وعليها صورة ساحرة شابة جميلة.

الورقة الرابعة: هي ورقة الملائكة وعليها صورة ريشة بيضاء كرمز للملائكة.

الورقة الخامسة: هي ورقة تزييف المعجزات.. وعليها صورة بالأبيض والأسود لا أتبين ما هي..

الورقة الأخيرة: هي ورقة التعويذة المضادة.. وعليها صورة ساحرٍ ذي شكل غريب.

والآن وضعناهم بترتيبهم الصحيح.. وحان وقت كشف السر الثاني.. والحكاية الثانية.

***

اهبطي يا "إنانا"..

1900 قبل الميلاد

نظر بافتتان إلى جسدها شِبه العاري والمستلقي في استسلام عجيب على ذلك السرير الوثير ذي الأغطية الحمراء.. والذي تنبعث من حوله إضاءة حمراء خافتة لشموع صغيرة أضفت جوًّا محبَّبًا من اللذة.. اقترب من جسدها حتى دخلَ في مجال عطرها.. تنفَّسه في نشوة.. ثم غشيته الشهوة فتحركت يده بسرعة إلى شعرها فقبضت عليه في عنف رومانسي يجيده كما يجيد التقبيل.

اقترب وجهه من وجهها.. لفحتها أنفاسه الحارة.. نظر إلى شفتيها عن قُربٍ.. ليست هاتان شفتين.. إنما هذا توت أو ياقوت.. قبَّلهما بعنف رجوليٍ يعجب النساء.. نظر إلى عينيها.. هذه المرأة كل ما فيها جميل.. ظلَّ يقبِّل شفتيها ووجنتيها وعينيها حتى ثمل.

إن الكاميرا التي تصوِّر لك هذا المشهد تصوِّره لك عن قُربٍ متعمَّدٍ: فتارة ترى شفتيْ الفتاة وهو يقبِّلهما ببطء وتارة تركز الكاميرا على عينيها الجميلتين الساهمتين في أمرٍ ما لا تدري ما هو.. ثم تقرر الكاميرا أن تلتف حول وجهها لتصورها لك من الخلف.. إن لها شعرًا أسود طويلًا يمسكه الرجل بقبضة يده القوية بينما شفتاه آخذتان في تقبيلها بحرارة.

بدأت الكاميرا تنزل شيئًا فشيئًا منذرة بمشهدٍ خلفيٍّ لجسد عارٍ فاتن يناسب جمال هذا الوجه.. وظلت الكاميرا تنزل ببطءٍ حتى تسارعت دقات قلبك المحروم وبرزت عيناك من اللهفة لما ستراه بعد قليل.. ثم اتسعت عيناك.. ولم يكن اتساعها عن شهوة ولا نشوة.. بل لقد اتسعت عيناك من الذعر.. فلما انتهت الكاميرا إلى نهاية شعر الفتاة لم ترَ ظهرها عاريًا كما هو مفترض.. بل لم ترَ شيئًا على الإطلاق.. لم ترَ إلا رداء الرجل.. ثم ابتعدت الكاميرا بسخرية شيئًا فشيئًا لتريك المشهد الكامل.. مشهد لرجل يقف ممسكًا برأس فتاة ويقبِّلها بنهمٍ بينما يستلقي جسدها بعيدًا.. على فراش

وثير.. وأغطية حمراء.. وعزفت لك الكاميرا موسيقى رومانسية جميلة إمعانًا في السخرية.

لما شبع الرجل أبعد وجهه عنها قليلًا ونظر إلى الرأس المقطوع بتشفٍ.. ثم رمى الرأس الجميل حتى اصطدم بالحائط بعنفٍ واستقر على الأرض.. وهو في رحلته هذه - الرأس- صنع بقعة من الدماء على الجدار متصلة إلى موضع الرأس الساكن على الأرض.. نظر الرجل إلى البقعة بلا مبالاة ثم اتجه بعيدًا عن السرير.. يمكنك أن ترى الأرضية الآن.. أرضية رخامية جميلة .. لكن أفسد جمالها بضع دوائر مرسومة عليها داخل بعضها البعض في شكلٍ مريبٍ.

مرحبًا بك في بابل مرة أخرى.. الأرض الملعونة.. نحن في عهد ما بعد النمرود.. لا تدع المشهد السابق يصدمك.. ولاتحزن على الفاتنة أبدًا فهي "إنانا".. وهي ملعونة في الأرض وملعونة في السماء.. ولا تستغرب من هذا الرجل ذي الرداء فهو "هازارد".. و"هازارد" هو أشد سحرة بابل فتكًا في ذلك الزمان.. وقبل أن نكمل المشهد لابد أن تعرف معلومة واحدة.. وهي أن هذا الساحر يلقَّب بـ "مانزازو".. و"مانزازو" في البابلية تعني نكرومانسر.. ونكرومانسر تعني..

فلنتابع المشهد لنفهم أكثر..

وقف الرجل في وسط الدوائر.. كان يرتدي إزارا طويلًا أحمر عليه خطوط سوداء عريضة.. تنحدر على ظهره قلنسوة رداء الراهب المعروفة.. أخذ يتلو الكثير من التراتيل التي يرتفع فيها صوته حينًا وينخفض حينًا آخر.. وترتفع يداه فيها حينًا وتنخفض حينًا آخر.. ثم إنه خرج من الدوائر وتوجَّه إلى رأس

"إنانا" الملعونة وأمسك بشعرها الجميل ثم انحنى بالرأس على الرخام وأخذ يفعل شيئًا عجيبًا.

وضع الرأس على الأرض وأخذ يحرِّكه في اتجاهات مختلفة ويضغط على مواضع معينة منه.. هذا رجل يعرف ماذا يفعل.. لم يكن بإمكانك أن تفهم ماذا يفعل إلا بعد أن انتهى مما يفعل ورمى الرأس بعيدًا مرة أخرى.. لقد كان هذا الرجل يكتب.. وقلمه كان رأس "إنانا".. ومُداده دمها.. بالطبع لن تفهم حرفًا مما كتب لأنه كتبه بلغة بابلية قديمة.. إن حروف هذه اللغة تبدو مخيفة.

ثم أخذ يتلو بصوتٍ متهدج يجيده السحرة :

- إيتيمو.. إيتيمو.. من فلكك الملعون الدائري اهبطي يا "إنانا".. يا من انحنت لشفتيك هامات الرجال ونواصيهم.. إيتيمو.. إيتيمو.. يامن تنازمت قلوب عن كبريائها بنظرة من عينيك.

وأخذ يتلو ويتلو حتى أُوقدَت نار من مكان ما حول دوائره.. وصار يهيأ له أنه يرى رؤوس الشياطين.. رؤوس بشعة تلفحها النار التي أوقدتها التلاوات.. ومن بين رؤوس الشياطين برزت له رأس ثم اختفت ثم برزت.. رأس "إينانا".. أو هكذا خُيِّل له.. لابد أن قلب هذا الرجل شديد الثبات.. إن رؤوس الشياطين والحق يقال مخيفة.. مخيفة إلى درجة أن رأس "إينانا" الجميلة التي ظهرت وسطها فقدت جاذبيتها.. ثم انطفأت النار فجأة وأضرمت في مكانٍ آخر.. أضرمت في رأس "إينانا" الحقيقية الملقاة على الأرض.

لم تكن هذه نارًا وإنما كانت خيالات أودعتها الشياطين في عين "هازارد".. ويبدو أن ما كان يفعله نجح.. وحضرت من تستقي كل جمالات النساء من جمالها.. حضرت "إينانا".. أو كما يلقبها الرومان "فينوس".. ويتحدث

اليونان عنها باسم "أفروديت".. أو كما عبدها العرب باسم "اللات".. حضرت "عشتار" كما يناديها البابليون.. جاءت كما يجب أن تجيء آلهة الجمال.. جاءت في أبهى ثوب وأحلى زينة.

جاءت كطيفٍ أضاء جوانب هذا المشهد المظلم.. بُهِتَ "هازارد" للحظات أمام عظمة هذا الجمال.. ثم تمالك نفسه وقال لها :

- "إينانا" أيتها الأميرة.. حدثيني بخبر الساحرين "عزازيل" و"شمهازي".. عن رحلتك المقدسة حدثيني يا "إينانا".

نظرت "فينوس" بجمال عينيها إليه بنظرة كانت للسخرية أقرب وقالت :

- لم يكونا ساحرين يا "هازارد".. ولم تكن هذه أسماؤهما.. بل كان أحدهما يدعى "هاروت".. واسم الآخر "ماروت" .. ولم تكن رحلتي مقدسة.. إنما كانت ملعونة.

اندهشت تعابير "هازارد" الصارمة وقال :

- أرجوك يا سيدة أهل الجمال أخبريني بكل ما رأيت كما رأيت.

تقدمت "فينوس" بخطوات ملكية إلى منتصف الدوائر المرسومة على الأرض.. ثم رفعت ثوبها الطويل قليلًا وجلست مكانها.. وبدأت تحكي..

تقول "فينوس"..

إنما كنت مبعوثة من قِبَل سحرة "أوروك" إلى مدينة بابل.. وأنت تعلم عظمة مدينة أوروك وتفوقها في علوم السحر.. إنها المرة الوحيدة التي أخرج فيها من مدينتي الحبيبة أوروك.. والمرة الأخيرة في الواقع.. كانت القصة أنه أتى إلى كبار سحرة أوروك نبأ وجود ساحرين في مدينة بابل طغى سحرهما

على سحرة بابل كلهم من أكبرهم إلى أصغرهم.. وأن أحدهما يدعى "عزازيل" والآخر يدعى "شمهازي".

وقيل إن هذين الساحرين يُعلّمان الناس السحر بلا مقابل.. بل ويطلبان ممن يتعلّمه منهما أن ينشره بين أكبر عدد ممكن من الناس أو هكذا قيل عنهما.. كانت مهمتي أن أتعلم منهما كل ما يُعلّمانه للناس وما يخفيانه عن الناس.. وأنت تعرف أنه لم يُخلَق رجل ملكًا كان أو ساحرًا.. شابًا كان أو شيخًا.. أمكنه أن يصمد أمام سحري الخاص.. سحري الأنثوي الخاص.. الخلاصة أنني كنت الوحيدة المناسبة للقيام بهذه المهمة.. وكان عليَّ أن أدوّن كل أتوصَّل إليه وأنقله إلى سحرة "أوروك".

المشكلة أن سحر هذين الساحرين أبطَل كل سحرٍ كان يبرع فيه سحرة بابل أجمعين.. كان هذا كلاما عجيبًا جدًا.. فهناك أصناف من السحر في بابل لم يستطع أعتى السحرة في أوروك فهمها.. فضلًا عن معرفة كيفية فكها فكها.. مثل سحر اللوحة: تلك اللوحة التي قد رسموا عليها أنهار بابل كلها.. فإذا خالفهم الناس في أمرٍ يريدونه وضعوا إبرة في موضع أحد الأنهار في الرسمة.. فإذا فعلوا هذا توقف جريان النهر الحقيقي وغار ماؤه. وسحر المرآة.. فمن غاب له عزيز كان يأتي سحرة بابل ويقدم لهم ما يطلبونه.. فيسمحون له أن ينظر في المرآة ليرى ذلك الغائب على حاله التي هو عليها.. المشكلة أن سحر هذين الساحرين كان يبطل كل هذا وأكثر منه.

رائعة هي بابل.. بغضّ النظر عن مهمتي التي لم أكن متحمسة جدًا لها.. كان لابد من رؤية برج بابل العظيم وحدائقها المعلقة.. ورغم أن هذين كان لا يدخلهما سوى ملك آشور وعائلته إلا أنك تعرف حكاياتي مع الملوك.. وتعرف أن آخر ملك زرته انتهى به الأمر راكعًا تحت قدمي يقبّلهما.. وكنت

أعرف أن هذين الساحرين سيركعان تحت قدمي بدورهما وسيُقرّان لي بكل ما تعلماه منذ كانا أطفالًا يلعبان في المروج.

لكنني منذ أن بدأت أسأل عن "عزازيل" و"شمهازي" هؤلاء كنت أسمع قولًا عجبًا.. قيل لي إن لديهما مغارة على حدود بابل الجبلية.. وأن هذه المغارة يقصدها الآن نفر كثير من أهل بابل.. ومن يذهب إليها يُختبر اختبارًا غريبًا.. فلو فشل فيه يُطرَد ويعود.. ولو نجح فيه يدخل إلى هذه المغارة ويظل فيها سنة كاملة لا يخرج منها.. ولما يخرج.. يكون لديه من الفنون والعلوم ما يفوق عِلم أي ساحر في بابل أو خارج بابل.. ولا يتمكن أي ساحر أن يسحِّره كما يسحر عامة الناس.

لم تكن المغارة تُفتَح إلا يومًا واحدًا فقط في السنة كلها وتظل بقية السنة مغلقة فلا يقدر على فتحها أعتى الجبابرة.. وقد كان ذلك اليوم الذي تُفتح فيه تلك المغارة قريبًا جدًا.. لطالما كنت محظوظة.. وها أنا ذا يسوقني راعٍ أُعجب بجمالي على حصانه ويتجه بي إلى تلك المغارة..

- ها قد وصلنا أيتها الفاتنة.. هذه هي المغارة.. لا أدري ما الذي يُجبر أميرة من أميرات الإنس أن تدخل إلى هذا المكان.

- لا شأن لك بهذا أيها الراعي.. انتظرني هنا.. فإن لم أخرج لك عد إلى ديارك.

- يمكنني أن أنتظرك العمر كله يا أميرتي.. فالديار من بعد رؤياك ستصير قبورًا.

يحق للراعي أن يقول هذا وأكثر.. فقد كان يحمل "فينوس" بنفسها.. دعنا منه الآن.. لم يكن منظر المغارة يوحي بأن لها شأنًا ما.. كانت مجرد فتحة

صغيرة في الجبل.. وكان واقفًا أمامها رجال كثير ونساء.. وقد وقفت معهم حتى خرج لنا الساحران إياهما.. وليتني لم أرهما.

كانت المرة الأولى التي أرى فيها بشرًا أجمل مني.. ليس واحدًا بل اثنين.. وليسا امرأتين بل رجلين.. المرة الأولى التي يخفق فيها قلبي بهذه القوة.. منذ متى كان الرجال بهذا الجمال.. منذ متى كانت الرجولة بهذه القوة.. يبدو أن مهمتي هنا قد فشلت قبل أن تبدأ.. فمجرد النظر إلى هذين الرجلين كان ينسيني ما كنت آتية بشأنه.

دخلت المغارة مع الساحرين الوسيمين.. وقد أبقى ما رأيته بداخل المغارة شفتاي مفتوحتان من الدهشة.. كيف يمكنني أن أصف شيئًا كهذا.. في البداية حتى يمكنني أن أنقل لك ما رأيته يجب أن تلغي كل الصور التي في ذهنك عن الكهوف والمغارات التي تكون دائمًا ضيقة.. هذه المغارة كانت واسعة كالقصر.. سقفها بعيد جدًا عن رؤوسنا.. يجري أمامنا نهر أوله عند قدمي وآخره في الأفق.. ينبع من نبع ماء عذب قريب.. الجدران تبدو وكأن بها شيئًا مختلفًا.. فهي ليست صمَّاء ككل الصخور.. بل هي مليئة بالشقوق الصغيرة الدقيقة جدًا والتي تُظهِر الشكل العام للجدران من بعيد وكأنها مزخرفة.. كانت هذه هي أول صورة قابلَتْها عيناي.

أخذنا الرجلان فأوقفانا على حافة النهر الجاري.. وطلبا منا طلبًا غريبًا جدًا.. يبدو أن هذا هو الاختبار الذي يقولون عنه.. طلبا منا واحدًا واحدًا أن نتفل في النهر ثلاث تفلات.. قالا إن هذا اختبارٌ صغيرٌ يعرفان به الساحر من غيره.. كنت الثالثة في الطابور.. تفل الرجل الواقف في بداية الصف مرته الأولى.. نظرت إلى الماء لعلي أرى شيئًا؛ فرأيت نقطة زرقاء تمضي مع النهر في جريانه.. ورأيت مثل هذا في تفلته الثانية والثالثة.. اقترب منه أحد

السـاحرين الوسـيمين وطلب من أحد رجاله أن يأخذه معه إلى صخرة ما لست أذكر اسمها.

ثم تفل الرجل الثاني.. نظرت إلى المياه فرأيت نقطة حمراء تجري مع جريانه.. ورأيت مثلها عندما تفل الثانية والثالثة.. قال له أحد الساحرين الوسيمين بلهجة معاتبة:

- ليس هذا مكان لمن تعلموا السحر في مكان آخر.

وساقه أحد الرجال إلى الخارج.. والآن جاء دوري.. الآن فهمت الاختبار فابتسمت بثقة.. أنا لم أتعلم السحر في أي مكان.. تفلت ثلاث تفلات رقيقة في الماء.. ونظرت إليها فوجدتها كلها زرقاء.. وهنا أخذني أحد الرجال إلى تلك الصخرة إياها التي نسيت اسمها.

كانت صخرة ضخمة تقف بشموخ في وسط النهر.. وكانت مليئة بالشقوق الصغيرة إياها.. لكن هناك جملة قد كُتِبَت في أعلى الصخرة باللغة البابلية.. جملة تقول " من فُتن بنا فليس منا.. من فُتن بنا فقد كفر".. لم أفهم شيئًا ولم أكترث.. الجميل في هذه المغارة العجيبة أن فيها غرفًا منحوتة في الجدران.. أشعر أن هذه ليست مغارة.. أشعر أنها قرية صغيرة عجيبة.. عرفت معلومة أخرى لم أكن أدري كيف وصل غبائي لئلا يفكر فيها من قبل.. نحن لن نخرج من المغارة إلا بعد سنة كاملة لا ينفتح فيها بابها كما قال الأهالي.. فماذا سنأكل؟

كان الطعام هو النواشف التي لا تفسد.. مثل الزبيب والجوز واللوز التي يأتون بها بكميات كبيرة جدًا ويخزنونها لتكون لنا طعامًا.. والشرب هو من مياه النبع العذبة.. هكذا فهمت كيف تدار الأمور هنا.. لكن بالنسبة لمهمتي فلا أدري.. كل هذا لم يكن بحسباني.. ثم إن الرجلين لم ينظرا لي لأكثر من

ثانية.. أنا أعرف الرجال عندما ينظرون إليّ.. أعرف كيف يتوترون لما يحدثونني.. لكن هذين الوسيمين أشعراني بأني جدار لا تأثير له على أحدٍ.. لكن لم يُخلَق رجل وقف أمام "فينوس".. ولن يخلق.

في كل يوم كان يمر عليّ وأنا في هذه المغارة أعرف مقدار خطورة المهمة التي أُرسلتُ فيها.. علمت أن السحرة الذين كانوا يسخّروننا لخدمتهم إنما هم حثالة الناس يا "هازارد".. بل إن الحيوانات أطهر منكم يا "هازارد".. تعلمت أن قدرتكم الإعجازية هي في الحقيقة ليست قدرتكم وليست إعجازية.. إنما هي قدرات الشياطين الذين بعتم لهم كرامتكم.. عرفت في تلك المغارة معنى الإعجاز الحقيقي.. علمت أن الكواكب السبعة والشمس والقمر التي يُعلمنا سحرتنا أن نتقرب لها ونعبدها ما هي إلا أجرام وأن لها إلهًا واحدًا هو إله "إبراهيم".. وعلى مثل "إبراهيم" تكون المعجزات.. علمت أن كل ماتفعلونه وهم.. وكل ما تقولونه وهم.. علمت أن أولئك السحرة هم أضعف شيء وأن الشياطين هم أضعف شيء.. علمت لكل تعويذة ساحر تعويذة تفكها.. علمت أن "عزازيل" و"شمهازي" هي أسماء شريرة أشاعها السحرة عن الساحرين الوسيمين.. لقد كان اسمهما يبدو أجنبيًا جدًا وجميلًا جدًا.. كان أحدهما يدعى "هاروت" والآخر "ماروت".

"وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر"

لكن هذين الساحرين لم يكونا يقدمان ملكًا ولا سلطانًا.. ولا يقدمان ذهبًا ولا فضة.. من يخرج من تحت أيديهما يكون مصونًا لا يقدر عليه أعتى ساحر.. لأنه يعرف الحقيقة.. وبالنسبة لي في ذلك الوقت فقد قررت أن أجمع بين الاثنين.. أن أعرف الحقيقة حتى لا يكون لساحر سلطانٌ عليّ.. وأن ألبس الذهب والفضة.. وليس هذا يأتي إلا بإتمام مهمتي هنا والعودة

إلى سحرة أوروك بكل ما تعلمته.. ولكني سأشترط أن أكون أميرة يا "هازارد".. سأملك كل أولئك السحرة وسيركع تحت قدميَّ الجميلتين كل الملوك والسحرة الذين يسبرون الملوك.

يلقبونني بالزُهرة.. لأن حُسني بين كل النساء كحُسن الزهرة على سائر الكواكب السبعة.. ورجلان مثل "هاروت" و"ماروت" لابد أن لهما رغبات مثل كل الرجال.. مثل كل البشر.. وفي ذات ليلة يا "هازارد".. كان كل من في المغارة يغُط في سبات عميق.. خرجت من غرفتي المنحوتة في الصخر وليس على جسدي الجميل سوى ملاءة صغيرة تبدي أكثر مما تخفي.. إن "فينوس" آتية.. إن سيدة الأقمار السبعة آتية.

مشيت في هذه المغارة بمحاذاة النبع إلى المكان الذي يُفترض أن يكون غرفة الساحرين.. لم تكن المرة الأولى التي سأرى فيها تلك الغرفة على أية حال.. فلي في هذا المكان ما يقرب من التسعة أشهر.. لكنها كانت المرة الأولى التي أمشي فيها وحدي في المغارة في هذا الوقت.. كانت هناك مشاعل معلقة على الجدران في أكثر من موضع لتضيء المغارة كل الوقت.. فلسنا ندري أفي نهار نحن أم ليل.. ظللت أمشي وأنا أضم ملاءتي الصغيرة على جسدي الفاتن.

ولما اقتربت من غرفتهما سمعت تراتيلَ كثيرة بأصواتهما الجميلة.. ماذا يقول هذان الرجلان بالضبط وأي لغة هذه.. استجمعت أنفاسي ودخلت..

- هل يحرَّم على البشر في ناموسكم أن يتكاثروا؟

نظرا إليَّ بلا اكتراث.. يا إلهي إنهما يشعرانني أني نكرة .. ثم إنني أسقطت عن جسدي ثوب الحياء وظهرت أمامهما كما ولدتني أمي.. قلت إني أريد أن آخذ منهما مالم يأخذه بشر قبلي.. نظرا إلى وجهي.. فقط إلى وجهي.. ثم إن "هاروت" قال لي بهدوء جاد :

- أن تذهبي عنا الآن هو خير لك.. لئلا يلعنك ربي في الملعونين.

وقال "ماروت" في هدوءٍ أشد:

- عودي إلى أوروك مدينة الفرات.. ولا تكفري كما كفر قومك.

قلت في ثورة :

- بكم قد كفرت وكفرت بربكم.. ما أنتما ببشر.. أنتما من قبيل الشياطين.

وتبدلت الأرض غير الأرض ورأيت السماءَ لأول مرة.. لم تعد هناك كهوف ولا شقوق ولا "هاروت" ولا "ماروت".. إن هذا لسحر عظيم.. لا ليس هذا بسحر.. إنما هو معجزة.. جريت إلى بابل وليس على جسدي سوى ملاءة قصيرة تبدي أكثر مما تخفي.

قال "هازارد" بغضبٍ:

- ألم تمكثي سوى تسعة أشهر؟ وهل دونت ما تعلمت؟

قامت "فينوس" عن الأرض ونظرت إلى "هازارد" نظرة أنثوية تجيدها:

- لقد استغلني الحثالة أمثالك من السحرة في أوروك ودوَّنوا عني كل ما تعلمته ولم أجد نفسي بعدها سوى جثة مقطوعة الرأس.

ثم تحولت نظرتها الجميلة إلى نظرة مخيفة وقالت:

- لقد أصبحت ملعونة إلى الأبد يا "هازارد".. لُعِنت مرتين.. مرة لما حاولت أن أفتن ملاكين كريمين.. ومرة لما كفرت بكل ما علماني ونقلته إلى الحثالة أمثالك في أوروك.

تراجع "هازارد" وفقد صرامته مع تقدمها الحثيث منه.. وكانت هذه فرصتها.. لابد أن يكون النكرومانسر قويًا بما يكفي للسيطرة على الروح التي يود أن يستدعيها.. ولكنه لم يكن يدري.. لقد كانت "فينوس" غاضبة.. وملعونة.. ولقد مزقت روحه شر ممزق.. روحه التي صعدت مع ملائكة العذاب إلى السماء.. السماء التي برق فيها في تلك الليلة كوكبٌ ببريق أحمر جميل.. كوكب الزهرة.

تمّت

***

لم تُذكر هذه القصة بكمالها هذا في أي مكان.. إنما ذُكِرَت بشكل مكذوب في التوراة والإنجيل.. وذُكِرَت بشكل مختصر جدًا في القرآن.. وبسبب هذا الاختصار.. ذكر بعض كبار مفسري القرآن القصة المكذوبة الواردة في التوراة والإنجيل.. وردَّ عليهم المفسرون الكبار الآخرين.. ولقد عرفت القصة الكاملة لأنني ساحر.. نعم.. أنا كذلك.. ولا تجزع.. فأنا ساحر سابق.. ولقد تركت هذا الطريق وصرت أحاربه.. ألم أقل لك إنني على شفا حفرة من الموت ؟

إن القصة المكذوبة ببساطة هي أن الملائكة ذات يوم عاتبت الله لأنه استخلف على الأرض بني آدم.. وهم الذين سفكوا الدماء وأفسدوا في الأرض أيما فساد.. فقال الله لهم إنه لو أنني أنزلتكم إلى الأرض وزرعت فيكم ما زرعته في ابن آدم من الشهوات لسلكتم مثل سلوكهم.. فرفضت الملائكة ذلك وأصروا على رأيهم؛ أنه يستحيل عليهم أن يفعلوا كما فعل بني الإنسان.. فقال لهم الله أن يختاروا أفضل اثنين منهم فينزلان إلى الأرض.. وسيزرع فيهما ما زرعه من ابن آدم من الشهوات.. وبالفعل اختارت الملائكة اثنين من أفاضل الملائكة.. "هاروت" و"ماروت".. وزرع الله فيهما ما زرع في ابن أدم وأنزلهما إلى الأرض.

عمل "هاروت" و"ماروت" قاضيين.. وذات يوم مرت عليهم امرأة جميلة هي "إنانا".. وكانت تلقَّب بالزُهرة من جمالها.. فافتُتنا بها على الفور وأتيا إليها يبغيان جسدها.. قالت لهما لا أعطيكما ما تريدان إلا بعد أن تفعلا ثلاثة أمور.. أن تكفرا بالله.. وأن تقتلا نفسًا.. وأن تشربا الخمر.. فرفضا وقالا لا نكفر ولا نقتل.. واختارا شُرب الخمر.. فشربا الخمر فقتلا ثم كفرا.. فلعنهما الله وصارا ملعونين.. وذهبا إلى النبي إدريس ليشفع لهما عند ربهما فتعجب

كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء ولم يملك لهما من الله شيئًا.. وأصبحا يُعذبان في مغارة معروفة باسمهما حتى قيام الساعة.

والحقيقة بالطبع أن كل هذا كذب.. كذب متعمَّد.. القصد منه إخفاء القصة الحقيقية؛ لأن هناك أمورًا من الخير أن تظل مخفية أبد الدهر.. فلا توجد ملائكة تجادل الله في أمرٍ وتتحداه وتقول له بل نحن قادرون.. وليس من مقام الملائكة أن تكفر وتزني وتقتل و تشرب الخمر وتعذب وتلعن.. الحقيقة فقط أظهرها المسلمون.. فهم لما يرون كوكب الزهرة طالعًا في السماء يلعنونه.. ويقولون إن هذا اللعن بسبب أن الزُهرة هي من أغوت "هاروت" و"ماروت".. فلا هما بقاتلين ولا ساحرين.. إنما كانا يُعلّمان الناس طريقة التغلب على سحر سحرة بابل الذين طغوا في البلاد.. ولم تفتنهما "إنانا" ولم يزنيا بها.. بل إنهما قد طرداها.. وهي التي لُعِنَت لأنها حاولت إغواءهما.

المشكلة أن "إنانا" قد دوَّنَت كل ما تعلمته من "هاروت" و"ماروت" ووصل ما دوَّنته إلى سحرة بابل.. وبدأ السحرة يستخدمون تلك التعاويذ الخاصة بالملكين ويطورونها ويزيدون فيها لتُستخدَم في أغراضهم القذرة.. فالسحر إذن سحران.. سحر علَّمه إبليس للنمرود.. وسحر علمه "هاروت" و"ماروت" لأهل بابل.. وهناك جزء كبير من السحر الثاني وصل إلى أهل السحر الأول فزادوا فيه وحولوه إلى أغراض شريرة.. وهذا هو السر الثاني الذي أهديك إياه.

وقبل أن نكمل لعبتنا يجب أن أعترف لك بأمر.. نحن لسنا وحدنا.. إن هناك سبعة شياطين تنظر إلينا أنا وأنت بينما نجلس معا جلستنا هذه.. تنظر إلي وأنا أحكي.. وتنظر إليك وأنت تقرأ.. لكن لا تجزع.. فإن هناك تلاوات وتعاويذ كثيرة جدًّا قد ملأتْ بها هذه الغرفة.. تعاويذ لن تصمد

طويلا أمام هؤلاء الشياطين السبعة لكنها على الأقل ستعطيني سويعات يمكنني فيها أن أقول كل ما أريد.

والآن دعني أقلب في هذه الأوراق الملعونة.. ودعني أعرض عليك المجموعة الثالثة.. هي أربعة أوراق فقط..

الورقة الأولى هي ورقة الكهنة وعليها صورة لكهنة مريبي المنظر يرتدون عباءات بنية ذات قلنسوات تغطي رؤوسهم..

الورقة الثانية هي ورقة الفرسان وعليها صورة فارس من فرسان الصليب في العصور الوسطى.. يرتدي ذلك الرداء الأبيض المميز لفرسان الصليب والذي يتوسطه صليب أحمر كبير.

الورقة الثالثة هي ورقة الأسرار التي لم ينبغِ للإنسان أن يعرفها.. وعليها صورة وجه رجل منبهر اكتشف شيئًا ما أبهره..

الورقة الأخيرة هي ورقة الجمعة الثالث عشر.. وعليها صورة مليئة بالإيحاءات المظلمة من التقويم المفتوح على يوم الجمعة الثالث عشر.

وهذه الحكاية سيحكيها لك واحد من الشياطين السبعة الذين يراقبوننا الآن.. لأنها حكاية تتعلق به.. لا تسألني كيف أجعله يحكيها لك بينما هو يجاهد مع قبيله لكسر تعاويذي والدخول إليَّ وقطع رأسي.. هذه الأمور لا تسأل عنها مرة أخرى أبدًا؛ لأنها من أمور السحر الأسود الذي برعت فيه ذات يوم.. ومن أمور الجن التي لن تفهما لأنك لست ساحرًا ولا ينبغي لك أن تكون.

***

تسعة أعطيناهم النور

950 قبل الميلاد - 1300 بعد الميلاد

إن أروع شيء يمكنك أن تفعله في حياتك هو أن تبيع روحك لي.. أنا أملك كل شيء.. أملك نفوس الناس.. وأملك عقولهم.. وقلوبهم.. أنا أفتح لك كل الأبواب.. كلها بلا استثناء.. أين تريد أن تصل؟ مال أم سلطة أم جاه أم شهرة.. أنا أعطي بلا حساب.. عطاءً حقيقيًا سريعًا تلمسه بيدك.. أنا الذي خلقت لما خُلِق الزمن.. وسأحيا إلى أن ينتهي الزمن.. إنهم يخفون اسمي عنك.. يوهمونك بأنني سيء.. يريدون أن يحتفظوا لأنفسهم بالكعكة كلها.. لكني سأخبز لك كعكتك الخاصة.. قلها معي ولا تخش شيئًا.. "بافوميت".. اسمي العظيم هو "بافوميت".. لابد أنك تريد أن تراني.. لست مؤهلًا بعد لهذا الأمر.. لا لنقص فيك يا عزيزي حاشاك النقص.. وإنما لأن قلبك المرهف لربما يتفتت من عظمة ما يراه.

لكني سأريك مثلًا لي.. مثلًا يخضع لقوانين عالمك الذي لم أرَ عالمًا بمثل عظمته.. تعالَ معي ياعزيزي.. تعال ولا تخف.. تعال إلى هذه الكنيسة.. أمدد يدك وافتح بابها ولا ترتجف.. أنا أنتظرك.. ادفع الباب بقوة وادخل بأيِّ قدميك تشاء.. دعك من الرجال العرايا الذين يتزاوجون فيما بينهم هنا وهناك.. دعك من الدماء التي على شفاههم وجلودهم.. دعك من كل هذا وتقدَّم.. إلى تلك الطاولة الكبيرة هناك.. هل رأيتني الآن؟ ها أنا هناك في المنتصف.. ها أنا ذا "بافوميت".

سأحكي لك كل شيء.. من حقك أن تعرف كل شيء.. تعالَ معي إلي القدس.. ليس قدس اليوم.. بل قدسٌ منذ أكثر من ألف سنة.. قدسٌ لم تعد قدسًا.. بل صارت أنهارًا حمراء.. دماء كانت تجري فيها وصلت إلى كعوب الجياد.. دماء المسلمين.. دماء فرسانهم وأطفالهم ونسائهم وشيوخهم.. إن المسلمين أشرار كما سأوضح لك فيما بعد.. لكن هذا ليس نقاشنا الآن.. لن نتحدث عن تلك الأنهار الحمراء التي كانت تجري في شوارع القدس كأنما أضافت

فراتًا جديدًا إلى خريطة العالم.. فرات أحمر قانٍ.. الناظر إليها يظن أنما الأرض قد جرحت ودمت. لن نتحدث عن تلك النساء التي كان فرسان الصليب يغتصبوهن بأيادٍ لم تجف بعد من دمائهن.. ولا عن أولئك الأطفال الصغار الذين كانت رؤوسهم الصغيرة مسحوقة تحت حوافر الجياد.. ولا عن تلك القدور التي كان فرسان الصليب يغلونها ويلقون فيها الرجال والنساء والأطفال.. لن أحدثك عن كل ذلك وإنما سأحدثك عن قدس مابعد جفاف تلك الدماء من الأراضي لتقطر من قلوب ساكنيها المسلمين.. القدس المحتلة.. وأسمّيها محتلة لأنه بعد تلك الواقعة احتلها الصليبيون لأول مرة من المسلمين وفي رأيي أنها ليست حقًّا لأي منهما.. إنما هي حقٌّ لنا نحن.. من نحن؟ هذا ما أنا قادم لأحدثك بشأنه.

حديثنا سيكون عنّي أنا في البداية.. كنت بائع تحف قديمة عربي في القدس.. لا تستنكر هذا الآن وتسألني عمّا رأيته على الطاولة في تلك الكنيسة التي أدخلتك إياها سابقًا.. هذا تساؤل سابق لأوانه.. عجوزًا كنت.. أكثر أسناني قد سقطت.. وفي لحيتي سبع شعيرات منثنيات.. وها أنا أجلس نصف عارٍ في أحد حمّامات القدس الشهيرة.. حمّام علاء الدين.. وكلمة حمّام في ذلك العصر كانت تعني ذلك البناء الإسلامي الفخم الضخم ذا الثلاث قاعات (بيوت) والذي يرتاده الناس للاستحمام.. كنت في بيت التسخين.. والبخار يسخن جسدي العجوز.. لم تغب عيناي عن ذلك الشاب المفتول العضلات الذي يجلس بالقرب منّي في شرودٍ.. كنت أرتقبه منذ أيام.. وهاقد جاءت الفرصة لأحدثه على طبقٍ من ذهب.. اسم هذا الشاب هو الاسم الذي بدأ به كل شيء.. اسمه "هيو بايون".. فارس من فرسان الصليب ذي أصول يهودية.. وأريدك أن تتذكر أصوله اليهودية هذه جيدًا.

- "هيو بايون".. هل علمت زوجتك "كاثرين" بالأمور الشنيعة التي فعلتها في نساء العرب ؟

التفت "هيو" إليّ وكأنما حية لسعته وقال :

- ما.. ماالذي تقوله ياهذا؟ من أنت.. وكيف عرفت اسم زوجتي؟

قلت له بصوت كفحيح الحية التي لسعته :

- "كاثرين كلير".. لقد علمت زوجتك كل شيء فعلته.. كل فتاة اغتصبت جسدها قبل أن تمزقه إربًا بسيفك.. لقد علمت أنك مريضٌ يا "بايون".. ويبدو أنني أسمعها الآن تحكي قصتك لقبيلتك المحافظة كلها.

قال "هيو بعينين متسعتين مندهشتين:

- ما الذي.. بل كيف تقول.. من أنت أيها العجوز الخرف؟

نظرت إلى عينيه المتسعتين وقلت:

- أنا عملك القذر يا "بايون".. أنا وجهك الأسود الذي تخفيه وراء قناع الفروسية والتديُّن.

استيقظ الفارس الكامن في "هيو" وأمسك برقبتي في عنفٍ وقال:

- من أنت أيها العربي الحقير.. وكيف تجرؤ على التفوّه بهذا الكلام القذر.. وكيف تعرف كل هذا الهراء ؟

توقف كل ذي استرخاء عن استرخائه واعتدل مرتادو حمام علاء الدين لينظروا للفارس "هيو بايون" وهو في أكثر لقطاته جنونًا.. حيث يصرخ ويمسك ويهدد العمود الرخامي الذي يجلس بجانبه.. انتبه لهم "هيو" للحظات ثم أعاد النظر إليّ ليجد فراغًا يزينه عمود رخامي ذو نقوش

إسلامية جميلة... أخذ "هيو" ينظر حوله كالمجنون يبحث عنّي.. ثم ينظر إلى دهشة الناس ويقول :

- ولكن.. ولكنه كان هنا.. ذلك العجوز.. الخرف.. ألم يرَه أحدكم ؟

عيد الزيتونة المسيحي.. أو مايسمونه هنا عيد الشعانين.. تجمّع سكان القدس من صليبيين حاملين لأغصان الزيتون وحجّاج ومسلمين فضوليين متفرجين في ساحة قبة الصخرة في الحرم القدسي.. ثم توجهوا في موكبٍ ضخم إلى وادي الأسباط المجاور.. ليقابلوا هناك موكبًا ضخمًا من رجال الدين ورؤساء الأديرة الذين يحمل أحدهم الصليب المقدس.. فيجتمع الموكبان ويعودان ليتجها إلى ساحة قبة الصخرة.. كان "هيو بايون" وسط كل هذا.. ويبدو أنه كان يستحم ذلك اليوم في حمّام علاء الدين لأجل هذا العيد.

كان رجال الدين وفي مقدمتهم حامل الصليب المقدس يطوفون حول الساحة.. وفي هذا رمز لطوفان الصليب المقدس حول هيكل سليمان.. كنت هناك واقفًا مع المتفرجين الفضوليين.. اقتربت من "هيو" في هدوء وقلت له :

- هؤلاء الحمقى لايعرفون أنهم يطوفون وتحت أقدامهم كنز من ملكه ملك العالم أجمع.. ومن خسره خسر العالم أجمع.

نظر لي "هيو" بدهشة ثم تحولت دهشته إلى غضبٍ وقال :

- اسمع ياهذا.. لو بقيت أمامي لحظة أخرى سأخفيك من الوجود تمامًا بقبضتي هذه وحدها.

- بل اسمع أنت يا "بايون".. ستأتيك رسالة اليوم بعد مغرب الشمس من زوجتك في شامبين بفرنسا.. ستحكي لك فيها عن رؤى تراها وتقض

مضجعها كل ليلة.. وستصف لك رجلًا.. ولو لم يحدث ما أقوله لك تعالَ إلى متجري في السوق واقتلني.. وإن حدث كما أقول فتعالَ أيضًا إلى متجري وسأخبرك.

- بماذا ستخبرني أيها المأفون؟ ومالك ومال زوجتي أيها الحثالة؟

مرت بيني وبين "هيو" عدة أجساد كانت كافية لأتوارى عن ناظريه. وفي المساء جاءت لـ "هيو" رسالة من زوجته تقول له فيها إنها ترى رؤيا مزعجة تأتيها كل يوم.. ترى رجلًا عجوزًا بأسنان مكسورة يطوف بساحة قبة الصخرة المقدسة وفي منتصف الساحة ترى "هيو" وهو يضاجع فتاة سمراء مقطوعة الرأس وسيفه بجوار رأسها.

- هل أنت ساحر ياهذا؟

نظرت إليه من بين تحفي الأثرية في متجري قائلًا:

- أنا تاجر تحف أثرية كما ترى ياسيدي.
- كيف عرفت اسم زوجتي أيها اللعين وكيف عرفت بأمر رؤياها ؟
- هل أزعجتك رؤياها؟ هل تريدها أن ترى الفتيات الأخريات ومافعلته معهن؟
- كيف تعرف كل هذا؟ من أنت بالضبط؟
- "بافوميت"
- ماذا ؟

تقدمت بهدوءٍ ناحية أحد الرفوف وأمسكت بتحفة كبيرة تمثل مجسمًا للحرم المقدس كاملًا.. وضعت المجسم على الطاولة الرئيسية وقلت له:

- أنا أقرأ عقلك ككتاب مفتوح يا "بايون".. أنت الآن تفكر أن تنهي أمورك في القدس وتسافر عائدًا إلى شامبين.. وتفكر ألا تكرر المشاركة في أي حروبٍ قادمة لأن الإثارة التي حصلت عليها في الحملة الصليبية أشبعتك.

- من أنت؟

- أنا "بافوميت".. "بافوميت" الذي سيحولك إلى أغنى رجل في أوروبا كلها.. بل في العالم كله.

- ما الذي تريده مني ياهذا؟ لست من النوع الذي يصدق خرافات المشعوذين؟

- بالطبع.. بدليل أنك ذهبت إلى "جوليان" الساحر في كلومونت.

هنا اتسعت عينا "هيو" في دهشة ورعبٍ.. كنت أخبره عن أمورٍ لا يدري بها مخلوقٌ على وجه الأرض سواه.. وعن أسرارٍ لم يحدِّث بها سوى نفسه التي بين جنبيه.. وبدأت لهجته تتحول في الكلام معي من العدائي المندهش إلى المحاورِ المنبهر.. وهذا هو ما أردت الوصول إليه؛ أن يثق بي.. إن الإنسان الذي يثق بك يكون كالمضغة بين أسنانك تفعل به ماتشاء.. وقد مضغت "هيو" وشكَّلته حتى صار كالكرة التي أقذفها أينما أريد.. وقد قذفته أول ما قذفته إلى شامبين بفرنسا.. حيث سيفعل هناك كما أريد له أن يفعل هناك.

سافر "هيو بايون" إلى شامبين بفرنسا.. وهناك جمع ثمانية رجال.. بعضهم إخوته وبعضهم أولاد عمومته.. وكلهم مثله ذوو أصول يهودية لأنهم من نفس العائلة.. وتوجه بهم جميعًا عائدًا إلى القدس.. ودخل بهم إلى الملك "بالدوين الثاني" ملك القدس الصليبي.. أقنع "هيو" الملك بأنه من اللازم الحتمي أن يشكل تنظيمًا خاصًا من الفرسان لحماية الحجاج الصليبيين الذين يحجون إلى الحرم المقدس ويتعرضون لعمليات قتل وقطع طريق

ينفذها المسلمون الحاقدون.. ورغم أن الملك "بالدوين" اقتنع إلا أن "هيو" كان كاذبًا كبيرًا.. فالمسلمون لم يكونوا يقتلون أحدًا بل القتلة هم قُطَّاع طرق المجرمين.. لكن أداء "هيو" كان مذهلًا أمام الملك.. تمامًا كما نصحته أن يفعل.

بهذا تكون تنظيم الفرسان.. "فرسان الهيكل".. وسُموا بهذا الاسم لأن الملك "بالدوين" قد أعطاهم مقرًا خاصًا بهم في جناح من القصر الملكي في جبل الهيكل.. وجبل الهيكل كلمة يهودية تعني الحرم القدسي؛ لأن الحرم القدسي في عُرف اليهود قائم على أنقاض هيكل سليمان.. أي أن جناح الفرسان كان بجوار المسجد الأقصى.. تمامًا كما أردت له أن يكون.

دعني أعلمك أمرًا قبل أن نسترسل في قصة الفرسان.. أنا شيطان كما لابد أنك قد فطنت.. ومعنى أنني شيطان أي أنني أجري من ابن آدم مجرى الدم.. تأتيني أفكاره وكأنها كتاب أفتحه على أي صفحة أشاء.. ليس هذا فقط بل إنني أعدل على أي صفحة أريدها وأناقش ابن آدم فيها حتى تتملكه.. كان سهلًا جدًّا أن يقتنع "هيو" بكلامي.. وسهلًا جدًّا أن يقتنع الملك "بالدوين" بكلام "هيو".. وسهلًا جدًّا أن يقتنع ثمانية رجال بكلامٍ غريبٍ يحدثهم به "هيو".. كل هذا سهل.. سهل لأنني "بافوميت".. سهل لأنني الشيطان.. سهل لأنني ألتف بأفكار ابن آدم كما تلتف الحية حول صيدها.. بل أكثر من ذلك ياصديقي.. أكثر من ذلك.

لم يسجل التاريخ حالة واحدة حمى فيها فرسان الهيكل أي حاج.. بل أي إنسان كان.. لقد أمضوا أيامهم الأولى في القدس يفعلون شيئًا آخر لا علاقة له بأي حجاج ولا صليب ولا فرسان.. لقد أمضوا أيامهم الأولى في الحفر.. الحفر تحت الحرم القدسي نفسه.

- أنت أيها العجوز.. لم لا تقترب لتلقي نظرة على الحفر بنفسك.. لِم تقف على طرف الساحة هكذا.

- لا عليك منّي.. استمر فيما تفعل.. وإن لم تجد ما وعدتك به فتعال واقتلني.

- بل إنني سأشرب من دمك يا "بافوميت".. لقد بدأت أقتنع بسخف الأمر كله.

لم أكن أستطيع الاقتراب من ذلك المكان أبدًا.. لو اقتربت منه احترقت كما تحترق الشياطين.. ضيقت عيني العجوزتين وتذكرت أيامًا.. أيامًا في غاية المرارة..

كنت أقف في هذا المكان ذاته.. قبل ألفيْ عام فقط.. كانت أيامًا فقدَ فيها معشر الجن والشياطين كل شيء.. منذ فجر الخليقة ونحن نفعل ما يحلو لنا متى يحلو لنا.. نلعب بالبشر كأنهم النرد.. نحرّكهم كأنهم قِطع شطرنج.. نأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن يمينهم وعن شمائلهم ونجري فيهم كما تجري السفن.. حتى رأينا رجلًا من الإنس ألجمنا كما تُلجم الكلاب من أحناكها.. ملك لم يأتِ مثله قبله ولا حوله ولا بعده.. رجل يسمونه "سليمان".

كنت خادمًا من مردة الجن البنائين.. وهؤلاء كان يستخدمهم الملك "سليمان" لبناء كل ما لا يقدر على بنائه بنو الإنسان.. والشيء الأساسي الذي كنا نبنيه هو القصر.. قصر سليمان.. لم نكن نفهم كيف يحكمنا هذا الرجل بالضبط.. كيف يكلّم الطير ويكلم النمل.. كيف يركع تحت قدميه ملوك الجن يمرغون نواصيهم في التراب من أجله.. نحن الذين أنزلنا السحر على بني آدم.. نحن الذين لو رآنا بنو آدم لفزعوا وماتوا من فورهم.. كيف يُفعَل بنا هذا؟ كيف نُجر على وجوهنا كالبهائم.. كيف لإنسان واحد أن

يزيحنا عن الدنيا بنظرة واحدة؟ لم يكن سليمان ملكًا.. ولم يكن ساحرًا.. بل كان نبيا.. نبيًا دعانا فكفرنا.. فلما كفرنا تسلط علينا فسخّرنا من أكبرنا إلى أصغرنا.

كنت أقف هناك في طرف من هذه الساحة.. مثلي مثل بقية الشياطين.. فلو اقترب أحدنا من كرسيه احترق.. نظرت إليه وهو جالس على كرسيه العظيم.. لم يؤتَ أحد مُلكا كهذا الملك ولا كرسيًّا كهذا الكرسي.. كنت أكرهه.. أمقته.. أحقد عليه.. حاولنا بكافة الطرق الشيطانية وغير الشيطانية للنيل منه لكنه كان يملك شيئًا لا نملكه.. لا ندري ماهو هذا الشيء لكنه كان يملكه.. وفجأة لاح لنا الأمل.. الأمل في الانتقام.. وربما الأمل في الخلاص.

لقد مرض "سليمان" فجأة.. ويبدو أن المرض الذي غزا جسده كان على مستوى الجسد الذي غزاه.. مرض حار فيه أطباء الإنس وحكماء الجن.. حتى الطيور أحضرت له من أطراف الأرض أعشابًا لم تُجدِ معه أي نفع.. مرض جعل "سليمان" عندما يجلس على كرسيه العظيم يجلس وكأنه جسد بلا روح.. كأنه ميت من فرط الإعياء والسقم.. وكان هذا المرض يزيد كل يوم عن اليوم الذي يسبقه.. وظلّ يزيد ويزيد حتى صار جسده هامدًا لا يقدر على شيء.. وكانت هذه هي فرصتنا للانتقام.

لم نكن نستطيع مجرد الاقتراب من كرسيه.. ولم نحتج إلى ذلك لأن الرجل قد دخلت في جسده ذَرّة واحدة من مرض فعلت به ما عجز عن فعله كل شيطان زنيم.. وبدا واضحًا أن هذه الذَّرّة ستقتله إن عاجلًا أم آجلًا؛ لذا اتخذ انتقامنا شكلاً آخر.. شكلًا شيطانيًا آخر.. ظللنا نعمل في ساحة الهيكل تلك وكأن شيئًا لم يكن.. لكن أحدًا لم ينتبه إلى أننا في الحقيقة لم نكن نعمل لبناء قصر"سليمان".. لقد كنا نحفر تحت كرسي "سليمان".

جننا بأعظم وأمهر كتبة الجن ووجعلناهم يكتبون كتبًا أملينا عليهم فيها كل ما كنا نعلمه للناس من السحر في الماضي.. السحر الأسود الذي تبلغ شدته أن لو قرأت سطرًا واحدًا منه صدفة أصابك شره.. ليس هذا فقط وإنما كتبنا أيضًا كل ما تعلمناه من "هاروت" و"ماروت" ذلك السحر الذي زاد على السحر الأسود شدة حتى أصبح يبطله.. لكنا كتبناه بطريقتنا ليستخدم في الأمور التي نريدها.. وأضفنا إلى السحرين كل ما جاء به الجن المستمع من خبر السماء مما سيحدث على الأرض.. تسألني لماذا نفعل هذا؟ وما دخل هذا بالانتقام من سليمان؟ ها أنا سأجيبك على الفور.

لقد جمع "سليمان" كل كتب السحر في مملكته وأحرقها بل إنه قتل كل ساحر في عصره وحتى من اشتُبه بأنه ساحر.. وهدد بقطع رقبة كل من يستمع شيئًا من خبر السماء من الجن ورقبة كل من يقول من الإنس أن الجن يعلمون خبر السماء.. أحبط "سليمان" عملنا كله بسبب قدرته علينا.. وكان لابد لنا أولًا أن نحتفظ بكل عِلمنا هذا في كتب لأن "سليمان" جاء ووضع لجنسنا قواعد تمنعنا من الاتصال بالإنس تمامًا مهما بذلنا في ذلك من جهد.. أعني الاتصال المباشر.. لكن كان لازال بإمكاننا الدخول إلى قلوبهم وعقولهم والوسوسة فيها بما نريد.. ولا زال بإمكاننا أن نتمثل في هيئة بشرية أو حيوانية.. لكن لم يكن بإمكاننا أن نضرهم إذا أردنا.. ولا أن نتصل بهم ونعلّمهم فنون العلوم كما كنا نعلمهم قبل "سليمان".. ولما قتل "سليمان" السحرة وأحرق كتب السحر الأسود منع رجال الإنس أن يتواصلوا معنا.. ولم يبقَ على الأرض إلا سحر القرى البعيدة.. أما سحر بني إسرائيل الأسود فقد أحرقه "سليمان" عن بكرة أبيه.

هذه الكتب لم تكن لأجلنا فأمثالنا لاوجود للكتب في عالمهم.. إنما كانت هذه الكتب لأجل الإنس.. حتى يستمر ويعيش الوصل بينهم وبيننا.. أما "سليمان" فبعد أن يقتله مرضه ويموت.. سنوسوس لأشد الناس شرًا أن

يُخرجوا تلك الكتب.. وسنعلّمهم أن هذه كتب "سليمان".. وكيف أنه كان ساحرًا لعينًا.. وسيظلوا يلعنوه إلى يوم الدين.. هكذا نكون قد حفظنا علومنا وانتقمنا ممن أحرقها وأهان جنسنا.

ظللنا نحفر ونحفر وكأننا نعمل في أعمال البناء خاصتنا.. لم ينتبه "سليمان" لما نفعل.. حتى حفرنا لعمقٍ بعيدٍ جدًا.. مسافة أسفل الكرسي لا نحترق لو دخلنا فيها.. مرت خطتنا بسلامٍ تام.. كانت قلوبنا الشيطانية تنبض بالخوف.. فمثل "سليمان" لا يؤمَن جانبه أبدًا.. وبنينا بنيانًا أسفل الكرسي ووضعنا الكتب كلها فيه.. ثم ملأنا ما حفرنا بالتراب حتى اندثر تمامًا.. ومرت حكايتنا بسلام.. مرت بسلام بعد شهر كامل من العمل الشيطاني الذي لا ينقطع.

استمر مرض "سليمان" أربعين يومًا حتى شُفي منه فجأة.. وعاد من مرضه أقوى وأشد وأقدر وأعظم مما كان قبله.. أصبح "سليمان" يملك الريح بأمرها كيف يشاء.. أصبح قادرا على تسخير الجن الغواص الذي كان يستخرج له اللؤلؤ والأحجار الكريمة من قاع البحر ليزين بها مانبنيه نحن الجن البنّاء.. وأصبح قادرًا على نوع آخر من الجن.. جن آخرون سلسلهم كالوحوش بسلاسل عظيمة من فرط طغيانهم.. جن أمثال "لوسيفر" العظيم الذي كان مُسلسلًا.. إنها المرة الوحيدة التي أرى عظيمنا مهانًا بهذا الشكل.. لم نكن نفهم شيئًا.. حقًّا لم نكن نفهم أي شيء.. مرت فترة حُكم "سليمان" علينا صعبة مريرة حتى انتهت بموته الذي اكتشفناه بالصدفة.. وتحررنا من عبوديتنا.. وظللنا ننتظر الفئة المناسبة التي يُمكنها أن تخرج هذه الكتب ووتستخدمها كما نريد بالضبط.. فئة انتظرناها طويلًا جدًا.. حتى ظهرت في التاريخ فجأة فئة يهودية تحمل في مكامنها كل بذور الشر التي كنا نبحث عنها.. وها أنا أراهم أمامي يحفرون ليصلوا إلى كتبنا.. كتب السحر الأسود.

- "بافوميت" انظر هناك جدار مستوٍ هنا.. تعالَ أيها العجوز .

نظرت إليهم نظرة أخيرة بدت لهم غامضة.. ثم إنني طرت كما تطير الشياطين مبتعدًا عنهم وعن الساحة.. بل عن عالم الإنس كله.. طرت إلى حيث أنتمي.. وتركت فرسان الهيكل يضربون الجدار المستوي بحماسٍ.. لقد أديت اليوم عملًا عظيمًا انتظره بنو جنسنا سنينَ كنا نظنها لاتنتهي.

وجد فرسان الهيكل الكتب التي خبأتها الشياطين منذ ألفيْ عامٍ كاملة.. لم يفهموا معنى أن تكون هذه الكتب كنزًا.. كانوا يريدون كنزًا من الذهب واللؤلؤ ولكن هيهات.. إن "سليمان" كان قد طلب من ربه الذي كان يدعو إليه أن يجعل ملكه لا ينبغي لأحد من بعده.. فستفنى الأرض ويفنى التاريخ وليس لأحد من أهل الأرض ولا أهل السماء أن تكون له قطعة معدنية واحدة كان يملكها "سليمان".. ولن يأتي ملك يمتلك كما امتلك "سليمان".

ولهذا عجزت كل علوم الإنسان أن تعثر على أي أثر من ملك "سليمان" حتى إن البعض اعتبره أسطورة من أساطير الأديان.. لكن الواقع أن الأسطورة الحقيقية هي هيكله.. لازال هناك من يحلف ويملأ الأرض صراخًا بأن الهيكل تحت الحرم القدسي.. لكن الحقيقة أن الهيكل يعني المعبد و"سليمان" لم يبنِ أي هياكل أو معابد بل كان يبني مساجد.. لقد كان يؤمن برب "إبراهيم" و"موسى".. إنما كان "سليمان" يكسر ظهورنا في بناءات أخرى.. منها تجديد بناء المسجد الأقصى الذي بناه "آدم".. ومنها بناء قصره المهيب الممرد من قوارير أي الزجاج الفاخر.. هذا القصر الذي كان يعتبر أروع شيء في ملكه.

نحن فقط نعرف أين هي كنوز "سليمان" ونعرف أين قصره بالضبط.. إن طائفة من جنسنا كانت تؤمن به وبدعوته خبأت هذه الكنوز في باطن الأرض وخبأت قصره بطريقة لا يستوعبها أمثالك من الإنس.. بالنسبة للكنوز فهي في بطن بلدان معينة في الشرق الأوسط أبرزها العُلا في الجزيرة العربية..

ويقف حارسٌ أمينٌ على هذه الكنوز أشد أهل تلك الطائفة من الجن فتكًا.. فهي محروسة من الجن.. وستظل كذلك حتى تفنى الأرض.. ذهب ولؤلؤ ومرجان.. كنوز تُشع كما الشمس والقمر.. لكنها لن تكون لإنسيٍ ولا جنيَ من بعد "سليمان".

الخلاصة أن فرسان الهيكل لم يجدوا شيئًا سوى الكتب التي كتبها كتبتنا.. كانت تلك الكتب كنزًا من نوع آخر.. كنزًا حقيقيًا من العِلم سيغير وجه التاريخ بأكمله.. كنز مسطر بأيادٍ شيطانية.. بعقول شيطانية.. لعلماء شياطين.. اعتزل الفرسان الناس وقرأوا تلك الكتب كلها.. ومع كل صفحة يقرأونها كان ينكشف لهم سر من أسرار هذا العالم لا ينبغي على الإنس أن يعرفوا عنه شيئًا.

دعني أُدخلك الآن إلى تلك الكنيسة التي أدخلتك إياها في بداية حديثنا.. الآن انظر إلى كل شيء حولك بتمعن.. هؤلاء هُم فرسان الهيكل.. هل تسألني لماذا يمارسون الشذوذ الجنسي مع بعضهم على الأرض بهذا الحماس؟ أم تسألني لماذا يشربون من كأس الدم ذاك؟ ما كل تلك الرموز؟ سأقول لك إن هذه طقوس ربما تبدو غريبة للوهلة الأولى لكنها توصلك إلى أصل النور.. توصلك إلينا.. انظر مرة أخرى إلى تلك الطاولة.. انظر إلى الرأس المثبتة في منتصفها.. إنها رأس "بافوميت".. رأس الشيطان.. رأس الشيطان التي تتحدث إليك الآن.. وتتحدث إليهم كلما أنهوا طقوسهم.. لقد باعوا أرواحهم وأجسادهم وأخلاقهم لأجل الشيطان "بافوميت".

تسألني ماذا أخذوا في المقابل؟ تريد أن تأخذ كما أخذوا؟ لقد أخذوا مالم يأخذه أحد على وجه الأرض في زمنهم.. لقد عاد فرسان الهيكل إلى أوروبا.. وتحولوا من مجرد فرسان فقراء متقشفين إلى أغنى فئة في أوروبا كلها بل في العالم كله آنذاك.. بلغ من غِناهم أن الملوك والأمراء كانوا يقترضون منهم.. وبلغ من شرفهم بين الناس أنهم كانوا أشرف وأعظم تنظيم عسكري عرفه

الصليبيون في تاريخهم.. نعم لقد كوَّنوا تنظيمًا عسكريًا أذاق المسلمين الويل في الحملات الصليبية.. حتى إن "صلاح الدين" لما أسرهم ذات مرة قتلهم كلهم.. خلاف ما كان يصنع مع باقي الأسرى.. وسبب هذا الإجرام الذي فهم أنهم كانوا يختارون المجرمين من فئات الشعب ويقولون لهم.. هاقد آن أوان المجرمين والسارقين أن يتحولوا إلى فرسان.. كان مظهرهم الخارجي رائعًا.. لكن أحدًا لم يكن يعلم لماذا يغلقون كنائسهم على أنفسهم دائمًا.. نحن فقط من كنا نعلم كل شيء.. نحن أعطيناهم النور.. وسنظل نعطيهم النور حتى يصلوا به إلى حامل النور.. إلى أنتيخريستوس.

وفجأة انكشف كل شيء.. استيقظت أوروبا على فضيحة.. خبر القبض على فرسان الهيكل.. فجأة بدون سابق إنذار أصدر الملك فيليب أمرًا باعتقالهم كلهم.. كان يبدو أنه كان يبحث عن ذريعة ما ليتخلص تمامًا منهم بعد أن وصلوا إلى مستوى من الثراء جعلهم دائنين لأكثر ملوك أوروبا ودائنين للملك فيليب بنفسه.. لكنه لم يحصل على ذريعة.. لقد حصل على فضيحة تهتك بها ستر فرسان الهيكل وطُعن بها شرفهم.. لقد وصلت له أخبار أنهم يمارسون السحر ويهينون الصليب.

كان حدثًا هامًا في تاريخ أوروبا ذلك الذي ستشاهده الآن.. في يوم الجمعة الثالث عشر.. نُصبَت أخشاب على منصّات في أكثر طرقات باريس أهمية.. أخشاب رُبِطَت عليها أجساد كانت لفرسان.. فرسان تصورت شعوب أوروبا أنه ينحدر كل شرف من شرفهم.. فرسان كانت تلك الشعوب تُقدِّم لهم أبناءها حتى ينالهم شرف يظل يضيء في رؤوسهم كالنجوم في حياتهم وبعد مماتهم.. نجوم يبدو أنها قررت أن تأفل الآن فجأة.. وشرف قرر أن تسيل دماؤه على الأرض فجأة.. أخشاب رُبط عليها زعماء فرسان الهيكل.. وقد تجمّعت أمم نزلت من بيوتها وغادرت أحياءها لتقف أمام تلك المنصات بعيون طغت عليها حيرة وحزن وغضب.. وعيون أغمضت جفونها غير قادرة

على متابعة ما صعد أولئك الجنود فجأة لفعله.. صعدوا على المنصات المربوط عليها الفرسان.. وأوقدوا نارًا.

ضج الجمع بصوت لا تدري عم يعبِّر بالضبط.. لقد قرر الملك "فيليب" إحراق زعماء فرسان الهيكل؛ إحراقهم بتهمة ممارسة السحر الأسود.. وتهمة البصق على الصليب وإهانته.. وتهمة ممارسة اللواط في الكنائس.. وتهمة تحضير أرواح شيطانية.. وتهمة إنكار المسيح.. تهم اعترفوا بها كلها بعد أن جمعهم الملك "فيليب" وعذبهم أبشع تعذيب يمكن أن يخطر على بالك.. المشكلة أن الجنود لم يوقدوا نارًا عادية.. لقد أوقدوا نارًا هادئة.. كان الملك "فيليب" يريد لهم أن يموتوا ببطء.. ووقف الخلق ينظرون إلى هذا كله.

إلى الكنيسة التي دخلتها معي نعود لننظر.. جنود دخلوا ليزيلوا كل أدوات فرسان الهيكل وأغراضهم.. جنود كانوا يفتشون كل شيء ويبعثرون كل شيء.. حتى وصلت أياديهم إليَّ.. رأس مجففة موضوعة في صندوق فضي مزيَّن بنقوش غريبة ومثبته بوضع رأسي.. تقزز أحد الجنود فأمسك بي ورماني بعيدًا لأسقط على الأرض تحت تمثال لصليب منكس على رأسه.. انظر إلى عينيَّ جيدًا ولاتقلق.. لقد أخفى الفرسان كل الكتب التي حصلوا عليها من الحفر.. إن من قبض الملك عليهم لم يتعدوا نصف عدد الفرسان.. الفرسان الباقون هربوا إلى مكانٍ آخر.. مكان ليس فيه "فيليب".. مكان كان يصارع للحصول على استقلاله من إنجلترا بقيادة "ويليم والاس".. لقد هرب الفرسان إلى اسكتلندا.

تمَّت

* * *

لهذا صار الجمعة الثالث عشر يومًا مشؤوما.. لكن بعد هذه الحكاية أنا أقول إنه كان يومًا سعيدًا.. إن قصة فرسان الهيكل معروفة في كتب التاريخ بنهايتها المشؤومة بإحراقهم أحياء.. لكن كتب التاريخ الأجنبية تحتار دائمًا كلما أتت على ذِكر الشيء الذي كان التسعة فرسان الأولون يحفرون تحت الحرم القدسي لإيجاده.. وتذكر هذه الكتب العديد من الروايات والتكهنات.. ذكروا في رواية واحدة من الروايات أن الفرسان لما حفروا وجدوا كتب السحر.. وما يجعل هذه الرواية هي الصحيحة هو وجود مقابل لها من أمهات كتب تفسير القرآن.. حيث أجمع المفسرون أثناء تفسيرهم لآية "هاروت" و"ماروت" في القرآن.. أن الشياطين دفنت كتب السحر تحت كرسي سليمان.. أي تحت الحرم القدسي.. وأن هناك أناسًا أتوا بعد ذلك تهيأ لهم الشيطان في هيئة بشرية وأراهم مكان دفن تلك الكتب.. فاستخرجوها.. لكن المفسرون لم يعرفوا من هُم أولئك الناس الذين تهيأ لهم الشيطان واستخرجوا الكتب.. الجمع بين كتب التاريخ الأجنبية وكتب التفسير العربية يُظهر لك القصة الحقيقية التي حدثت.. ذلك الجمع الذي لم يُكلف أحد من الناس نفسه ويفكر فيه.. وها أنا أقدمه لك اليوم على لسان الشيطان الشهير الذي كان فرسان الهيكل يعبدونه كما اعترفوا بلسانهم.. الشيطان "بافوميت".

إن شكل "بافوميت" سيبدو مألوفًا لديك.. هو الجدي الذي يجلس متربعا ويرفع إحدى يديه ويخفض الأخرى.. وهو الجدي الذي يضعون رأسه دائمًا داخل نجمة داوود في ذلك الرمز الشيطاني الشهير الذي يدعى "بصمة الشيطان".. وقد قال عنهم الساحر الشيطاني "أليستر كراولي" إنهم زملاء عبادة الشيطان.. بينما يقول عنهم عابد الشيطان الشهير أنطون ليفي "لقد أعدت إحياء طقوس فرسان الهيكل"

والشيطان "بافوميت" معبود الفرسان مرسوم في رسمة شهيرة جدًا والفرسان يحملونه في أحد معابدهم إكبارًا وإجلالًا.

ويبدو أن كتب السحر والعلوم تلك علمت فرسان الهيكل الكثير.. فحقًا صاروا أغنى أغنياء أوروبا.. وعملوا أول منظمة بَنكية في العالم تقرض العامة والخاصة والملوك والأمراء نقودًا.. ولأن الفائدة كانت محرمة في الكنيسة الكاثوليكية فقد تحايلوا على النسبة وسموها الإيجار أو الرسوم.

وقد هربوا إلى اسكتلندا لأنها كانت البلد الوحيدة التي لا تخضع للكنيسة الكاثوليكية.. وقد استقبلهم ملك اسكتلندا "روبيرت البروس" بحفاوة كبيرة وكانوا سلاحه السري الفتاك الذي هزم به الإنجليز وحصل به على استقلاله.. وصارت لهم هيبة في اسكتلندا.. وبدأوا مرة أخرى في بناء معابد لهم في اسكتلندا مليئة برموزهم الشيطانية.. ولكنهم تعلموا الدرس هذه المرة مما حدث لهم في إنجلترا.. تعلموا أن يجعلوا تنظيمهم هذا مخفيًا عن العامة تمامًا.. وغيَّروا اسمه اتقاءً للشكوك.. سموا تنظيمهم اسمًا سيبدو مألوفًا لديك: البنائين الأحرار.. أو كما تُنطق بالإنجليزية *Freemasons*.. الماسونية.

وفي اسكتلندا أيضًا أكملوا ممارسة ما كانوا يمارسونه.. ليس في كنائس وإنما في مباني سمّوها بالمحافل الماسونية.. والمحفل هو مبنى مصمم من الداخل على تصميم هيكل سليمان المزعوم تمامًا.. وهو المبنى الوحيد الموصوف في التوراة وصفًا تفصيليًا.

تعلموا أن سِرَّ قوتهم هو الخفاء وعدم الظهور.. ومن العِلم الشيطاني الذي بحوزتهم والذي لا يحوزه غيرهم طوَّروا من أنفسهم ومن منظمتهم.. تعلَّموا

طريقة عجيبة لإخفاء الكتب التي بحوزتهم إخفاء لا يشك به أحد.. تعلموا طريقة تشفير سرية لم تُعرف من قبل في التاريخ.. هذه الطريقة هي المعمار.

ابتكروا طريقة معينة في المعمار اسمها الجوثيك أو الطريقة القوطية.. طريقة شيطانية تكون فيها المباني مزيَّنة ومزخرفة بالكثير من الزخارف والرموز والتماثيل والنقوش بطريقة تبدو جميلة جدًا ولكنها في الحقيقة طريقة تخزين لكل الأسرار بشفرة ليس كمثلها شفرة.. وبنوا بهذا الطريقة الكثير جدًا من المباني والمحافل وحتى الكنائس.. وانتشرت في كافة أنحاء أوروبا.. وفي طريقة الجوثيك في البناء يمكنك أن ترى رموزًا وتماثيل شيطانية كثيرة لبافوميت ولغيره.. ولا أحد يفهم معناها ويظنونها نوعًا من الديكور.

واسم البنائين الأحرار سمَوا أنفسهم به بسبب ابتكارهم لهذه الطريقة وحدها في البناء.. وأصبح رمز منظمتهم هو مسطرة المعماري والفرجار.

ومرة أخرى صار فرسان الهيكل بمنظمتهم الخفية الجديدة "الماسونية" هم أغنى أغنياء أوروبا.. فلا شيء يمكن أن تعطيه لك الشياطين بسخاء أكثر من المال والذهب.. وأصبح خفاؤهم هذا هو سر قوتهم.. فلا أحد يمكنه أن يدمر شيئًا خفيًا.

ستسمع كثيرًا عن الماسونية مسامع كثيرة تفتقر كلها إلى الدقة.. وهذا متعمَّد.. لأنهم يريدون إخفاء حقيقتهم عن الجميع.. أما أنا فسأخبرك بالحقيقة وحدها.. فأنا ماسونيٌّ سابق.. ها أنت تعلم سِرًّا جديدًا عنّي.

أنا ماسوني من الدرجة الحادية والعشرين.. وهي درجة متقدمة جدًا.. فعدد الدرجات في الماسونية 33 درجة.. ومن تدرُّجي في الماسونية تعرفت إلى السحر وأصبحت ساحرًا.. وليس كل من يتدرجوا يصيرون سحرة.. فقط

بعض من يختارون لأنفسهم أن يكونوا سحرة. . و كنت واحدًا من هؤلاء.. وها أنا قد تركت كل هذا ورميته خلف ظهري وجلست هنا أمامك لأبين لك الحقيقة وحدها.

الماسونية باختصار شديد غير مخلٍ هي السبط الثالث عشر لبني إسرائيل.. فاليهود كما تعرف أو لا تعرف قطعهم الله كما قال في القرآن إلى اثني عشر سِبطا.. والسِبط هي الفرقة.. أي أن الله فرّقهم إلى اثنتي عشرة فرقة.. لكل فرقة منها نظامٌ خاصٌ في معيشته.. أما الماسونية فهم جماعة من اليهود الذين شذّوا عن هذه الفِرَق جميعًا وقرروا أن يُنشؤوا لأنفسهم سِبطا يهوديًا خاصًا.. السِبط الثالث عشر.. ومهمة هذا السِبط ببساطة هو إعادة بناء هيكل سليمان في القدس.. لا تسألني الآن لماذا يريدون فعل ذلك.. لأني سأخبرك لاحقًا.. لكن حاليًا كل ما يجب عليك أن تعرفه هو أن الشياطين هي التي أوحت لهم بفعل هذا.. أرى نظرة استخفاف في وجهك بسخف الأمر كله.. لكن لا داعي للعجلة.. فستفهم كل شيء لاحقًا.

واعلم أن الماسونية والكابالا هما نفس الشيء.. فالكابالا هي الأسرار الشفهية اليهودية التي زعم اليهود أن الله أوحى بها إلى موسى شفهيًا.. ولأنها أسرار فإن "موسى" كان لا يكتبها.. وإنما يختار كبار تابعيه ويخبرهم بها شفهيًا.. إن في الكابالا 32 درجة من درجات الحكمة.. ومن يسير عليها يصير في النهاية قادرًا على التوحد مع ربه.. ولهذا صارت الماسونية 32 درجة أيضًا.. والدرجة الـ 33 هي درجة فخرية لتسجيل المنضمين فيها إلى السبط الثالث عشر لبني إسرائيل.

ولهذا صرت ساحرًا.. لقد اخترت لنفسي هذا الطريق لأن فيه علومًا عجيبة جدًا.. فلديهم على سبيل المثال لا الحصر سِرٌ من أعظم أسرار الكابالا تعلمته في الدرجة الماسونية الـ 19.. وهو طريقة قتل الناس بنظرة واحدة فقط.. هذا ما يدعى عين الشر.. أو كما يقولون "إن ها رع".. وهي طريقة تستقي مبادئها من مبادىء العين والحسد.. فالعين والحسد قادران على أذية أي إنسان.. لكن كيف يمكنك أن توظف هذه القوة وتوجهها وتتعلم التحكم بها تحكُمًا كاملًا.. هذا ما تعلمته وأثارني.

هناك إصدارات كثيرة تفرعت عن الماسونية قد تكون سمعت عنها.. الصليب الوردي أو الروزكروشن.. الجمجمة والعظام.. الكلوكلوكس كلان.. الإيلوميناتي ولكل منظمة منها مهمة معينة.. لكنها كلها تستقي من نبع الماسونية ونبع منظمة فرسان الهيكل القديمة.

والآن لدينا ثلاثة أوراق جديدة وضعتُهم أمامك على الطاولة.. ولنكمل لعبتنا الملعونة مع الشياطين قبل أن يُجهزوا علينا..

الورقة الأولى هي ورقة الكأس المقدسة وهي ترمز للمسيح عيسى.. وعليها صورة للكأس المقدسة التي شرب منها المسيح على طاولة العشاء الأخير..

الورقة الثانية هي ورقة الحربة المقدسة.. وعليها صورة الحربة المقدَّسة التي طعن بها جنب المسيح المصلوب للتأكد من موته..

الورقة الثالثة هي وقة الجهاد.. وعليها صورة رمزية للمجاهدين المسلمين.

وهذه الحكاية سوف يحكيها لك شيطان ثانٍ من الشياطين السبعة الذين يراقبوننا.. وليس عليك إلا أن تصمت وتتابع حديثه.. فسيأخذنا بعيدًا عن السحر والماسونية وكل هذه المصطلحات المظلمة إلى عالم آخر.. عالم ربما يكون أكثر إظلامًا من هذا كله.

* * *

أنخر أنواع السموم..

400 قبل الميلاد - 660 بعد الميلاد

ستنظر إلى خريطة عالمك بتمعُّن.. ستبحث في أرجائها عنّي.. لكنك لن تجدني.. رغم أن عالمك يحترق عن بكرة أبيه.. لكنك لن تجدني.. فأنت تنظر إلى الخريطة الخطأ.. ها أنت ذا تتدارك نفسك وتزيح هذه الخريطة الجغرافية جانبًا وتفتح خريطة أخرى.. خريطة تاريخية.. وتنظر في أرجائها بتمعُّن.. ومرة أخرى لم تجدني.. هنا تقرر أن يتخذ بحثك صبغة رقمية.. فتفتح أقرب جهاز كمبيوتر إليك وتنظر إلى شاشته الحديثة في اهتمام.. ها أنت قد أحضرت الخريطة التاريخية إلى الشاشة.. وكنوع من التأثيرات الرقمية المحببة إليك أوقد لك الكمبيوتر نيرانًا في أماكن بعينها من الخريطة.. نظرت إلى النيران بعين اتقدت حماسًا.. أنت تراني الآن.. تراني أزحف على خريطة عالمك ببطء.. صغيرًا كنتُ في البداية.. حتى تقع أحد نقاط الخريطة بين أنيابي.. فألتهمها.. فيكبر حجمي.. ثم أزحف.. ثم ألتهم فأكبر.. ثم أزحف.. وأوقد النيران.. وأنفث السم من بين أنيابي في كل مكان أجول فيه.. لقد عرفتَ الآن إلى من تنظر.. لقد كنت تنظر إلى "سيربنت".. الثعبان.

بدأت الزحف أول ما بدأت في بابل.. الأرض الملعونة.. قبل أكثر من أربعمئة سنة من ولادة المسيح.. كان هناك يهود كثيرون.. شُرِّدوا من فلسطين.. وأُخِذوا إلى بابل عبيدًا مذلولين.. ناقمين حاقدين.. كارهين لأنفسهم ولدينهم ولربهم.. يحملون التوراة في أيديهم بعد أن سقطت من قلوبهم.. ماعادوا يصدِّقون بكل الوعود وعدهم بها ربهم.. لقد أصبحوا عبيدًا الآن.. نساؤهم حلال ودماؤهم حلال.. تحطمت بلادهم ومقدساتهم وأحلامهم.. وعملوا بحسرتهم تحت أقدام أجنبية بابلية قاسية.. حُرِقَت أرضهم وحرِّقت قلوبهم وحُرِقَت كرامتهم.

وفجأة لاح الأمل.. كانت الغيمة البابلية السوداء التي حطت على تاريخهم على وشك الزوال.. وانهزمت مملكة بابل على يد مملكة فارس.. وسمح الفارسيون لليهود أن يعودوا إلى بلادهم.. وقبل أن يعودوا إلى رشدهم وإلى توراة ربهم.. فتحت فكيَّ عن آخرهما.. ونفثت نفثة مسمومة شيطانية تلقَّتها قلوبهم المريضة بترحاب.. واجتمع كبراؤهم بكبرائهم.. وخرجوا للعالم بكتاب مقدس جديد تفوق قدسيته قدسية التوراة.. وضعوا فيه أشد عقدهم وأفكارهم سوادًا ممزوجة بأشد سمومي فتكًا.. خرج "التلمود" إلى العالم كشيطان مريدٍ وضع التوراة تحت قدمه.. وقالوا إنما التلمود هو الأسرار الشفهية التي تلقاها موسى من ربه.. وسموا هذه الأسرار الشفهية "الكابالا".. ثم ألقى موسى الكابالا إلى خاصته منهم.. فألقاها الخاصة إلى الخاصة.. حتى قرر خاصة الخاصة أن يكتبوها لئلا تضيع.. ولما كتبوها صارت كتاب التلمود.. من الرائع أن ترى أناسًا مخلصين لأفكارك التي بثثتها في نفوسهم.. من الرائع أن أصعد إلى هذه المنصة المقدَّسة وأنظر إلى هذا التلمود الموضوع عليها بعناية.. يتملكني الفضول لأقرأ..

" إن الله لم يعد يلعب مع الحوت ولم يعد يراقص حواء كما كان يحب أن يفعل.. فأنى له أن يلعب ويرقص وقد تسبَّب في دمار الهيكل.. لقد أمسى في كل ليلة يزأر كالأسد ويقول تبًا لي لأني سمحت بخراب بيتي.. سمحت بخراب الهيكل.. لكن صبرًا أيها اليهود.. فالله لديه ما سيسركم.. صبرًا فإن المُخلِص سوف يأتي.. من بين جنبات الظلام سيأتي.. وسيعيد بناء هيكل الرب.. لكن أيها اليهود.. لن يأتي صاحبكم إلا إذا انتهى حُكم الغوييم.. أنتم أيها اليهود وحدكم البشر.. أما غيركم فهم غوييم.. والغوييم ليسوا بشرًا.. بل هم حيوانات.. حيوانات قد سخَّرها الإله لخدمتكم.. وإنما صوَّرها على هيئة بشرية ليتسنى لها القيام بهذه الخدمة.. اعلموا أن قتلكم الغوييم هو قربان

إلى الله.. ولو أن أحدكم رأى واحدًا من الغوييم قد وقع في حفرة.. فليس عليه إلا أن يردمها بالصخر.. حتى يموت الغوييم.. واعلمن يا نساء اليهود.. لو خرجت إحداكن من حمّامها فرأت كلبًا أو حمارًا أو رأت واحدًا من الغوييم أو خنزيرًا أو بُرصًا فقد تنجست وعليها أن تستحم مرة أخرى.. ولو كان أحدكم أيها اليهود طبيبًا ماهرًا فلا يعالج الغوييم.. وإن كان طبيبًا فاشلًا فليعالج الغوييم حتى يكون في علاجه هلاك هذا الغوييم"

"إنما يسوع الناصري ابن زنا.. وإنما حملت فيه أمه وهي حائض سفاحًا من العسكري بإنذار.. وإنما يسوع الناصري كذَّاب ومجنون ومضلل وساحر ومشعوذ ووثني ومخبول.. واعلموا أنما الراهبات المسيحيات مومسات.. وأن القساوسة الرهبان المسيحيين مخنثون.. وأن الكنائس إنما هي بيوت دعارة"

"أيها اليهود.. لمَّا يناكح الرجل البالغ طفلة صغيرة فلا شيء في ذلك.. ولو كان عمرها ثلاث سنوات.. الأمر كأنك تضع إصبعًا في عين.. وأن تناكح ولدًا صغيرًا فهذا لا يعتبر عملًا جنسيًّا فاحشًا تخشاه"

لم أدرِ أن سُمّي في قلوب هؤلاء القوم قد وجد سكنًا أعجبه.. لقد تعدوا ما أردت لهم أن يكونوه.. لقد أفسدوا دينهم تمامًا.. سأعترف أن بني إسرائيل قد أبهروني.. لقد وعدهم ربهم في التوراة الأصلية بأن مُلكهم سيعود لهم مرة أخرى بعد أن يُطردوا من بلادهم.. وأنه لما يعيد لهم مُلكهم سيُرسل لهم نبيًّا يُعرَف بالمسيح.. يحكم العالم بالعدل.. من عرش النبي "داوود".. ولما حقق الله لهم وعده وانهزمت بابل وأعادهم الله إلى أرضهم في فلسطين.. وجددوا المسجد الأقصى الذي بناه أبو البشر "آدم" وصلى فيه "إبراهيم" و"إسحق" و"يعقوب".. ثم جدده "سليمان".. والآن جددوه بأنفسهم وصار اسمه عندهم الهيكل.. هيكل سليمان.. ولما جددوه وصلت إثارتهم إلى ذروتها

وانتظروا نزول المسيح الموعود على أحرِّ من الجمر.. والذي سيحكم العالم من عرش "داوود" في الهيكل.

ولما خرج فيهم المسيح "عيسى" بن مريم.. رفضوه.. وقالوا إنه ابن زنا.. ولما رأوه يموت على الصليب أمام أعينهم .. ثاروا.. وقالوا إن هذا إلا محتال.. فقد مات ولم يحكم العالم من عرش "داوود" كما قالت النبوءة.. لم يدرِ أحدهم أن النبي "عيسى" الذي أُرسِلَ إليهم كان المسيح الحقيقي الذي قالت عنه نبوءة التوراة.. لم يدرِ أحدهم أنه لم يكن ابن زنا بل كان نبيًا.. ولم يدرِ أحدهم أنه لم يمت على الصليب كما رأوا وإنما رفعه الله إليه.. وأنه سيعود في نهاية الزمان ويحقق نبوءة التوراة ويحكم العالم بالعدل من عرش "داوود" في فلسطين.. لم يدرِ أيٌّ منهم هذا.. لقد تملكهم التلمود حتى صاروا يتنفسونه.

قالوا إن من يؤمن بالتوراة ولا يؤمن بالتلمود فليس مؤمنًا: فالتلمود هو أشد قدسية من التوراة.. لأنه يحمل الأسرار الشفهية التي هي أقوى من التوراة المكتوبة.. لم يدرِ أحدهم أنه لم تكن هناك أسرار.. إنما هي نفثات شيطان.. شيطان ثعبان زحف على بلادهم وأكل حتى شبع ثم واصل الزحف بحثًا عن قرية أخرى.. وقلوب أخرى.. وكنت أنا هذا الثعبان.

وبعد سنوات من وفاة النبي "عيسى" بن مريم.. عدت أزحف بسمومي إلى أورشليم.. كان أتباع "عيسى" الحواريون يتولون نشر الإنجيل التي ينادي بالحب والمساواة بين الناس ويوافق التوراة اليهودية التي نزل بها "موسى" وأصبح "عيسى" يبشر بنبيٍ يأتي في نهاية الزمان اسمه "محمد".. أصبح إنجيل "عيسى" يعارض كل سمومي التي نفثتها في تلمود اليهود.. لذا نفثت سمومًا جديدة.. فبمثل ما نفثت في قلوب أهل التوراة سمومًا نفثت في قلوب أهل الإنجيل سمومًا.

فجأة دخل على الحواريين رجلٌ فزعوا لرؤيته فزعًا عظيمًا.. "شاول".. رجل يهودي قوي مكلَّف من قِبَل أكابر اليهود باعتقال الحواريين أحياء أو ميتين باعتبارهم كفار باليهودية التلمودية.. رجل مُرسَل من جمعية يهودية أُنشِئَت خصيصًا لقتل أتباع المسيح الحواريين ودفن المسيحية.. جمعية تدعى القوة الخفية.. جمعية يهودية يرعاها ملوك الرومان.. تحفز الحواريون لمَّا رأوا "شاول".. لكن أعينهم اتسعت عندما قال لهم اليهودي فجأة :

- إني كنت لكم كارهًا.. عليكم مسلَّطًا.. لم تكن رؤسكم المقطوعة لتشفي غليلي فيكم.. لكن نورًا عظيمًا من السماء لاح لي أثناء سيري الحثيث إليكم.. نور خرَّ جسدي من عظمته على الأرض صعقا.. وأتاني هاتف بصوت بدا كأنه ملأ أرجاء الأرض يقول لي "لماذا تؤذي أتباعي يا شاول؟" "قم وادخل دمشقًا فهناك يقال لك عمَّا يجب أن تفعل".. لقد كان النور الذي أتاني هو "عيسى".. وإني أتيت لكم اليوم مؤمنًا بـ "عيسى" ولست كافرًا.. جئتكم ناصرًا ولست قاتلًا.

ظلَّ الحواريون على فزعتهم الأولى من "شاول".. فهو كان في الحقيقة أكثر من طالهم بالأذية.. لكن "برنابا" توسط له عندهم.. فبدأوا يستمعون له.. وبدأ السُم الزعاف يملأ كأس النصرانية حتى فاض السم خارج الكأس المملوءة.. ثم سال السم من كثرته على الأرض.. وضيقت عينيَّ المشقوقتين في تشفٍ.. واستمعت معهم لأحاديث "شاول" الذي أصبح اسمه القديس "بولس" وأصبح رسميًا قادرًا على تلقي الوحي من المسيح "عيسى" وقادرًا على التشريع..

كان الله واحدًا لا إله إلا هو في عقيدة المسيح "عيسى".. فأصبحوا ثلاثة آلهة في عقيدة "بولس".. الله و"عيسى" والروح القدس..

كان الله ليس كمثله شيء في عقيدة المسيح.. فأصبح الله في عقيدة "شاول" أبا والمسيح "عيسى" هو ابنه..

كانت هناك شريعة لله شرَّعها في التوراة اسمها الناموس.. شريعة تحرِّم الخمر ولحم الخنزير والميتة وتفرض الصلاة والصيام.. فأصبحت المحظورات كلها في عقيدة "بولس" مباحة.. ولا توجد واجبات.. لا يلزم المرء عند "بولس" صلاة أو صيامًا أو أي تكليف.. لايلزمه سوى الإيمان وحده.. الإيمان بالله.. وابن الله.. والروح القدس.. الثالوث الشهير.

أنكر بعض الحواريين على "بولس" ما يقول بينما صدَّقه البعض الآخر.. لكن أغلبهم خالفوه في إلغائه شريعة التوراة.. وانقسمت المسيحية إلى طوائف عديدة بينها اختلاف شديد جدًا لمدة ثلاثة قرون كاملة.. خلال هذه القرون كنت كلما أفتح الإنجيل لأقرأه أجد كلامًا عجيبًا..

"لوط" النبي كانت له ابنتان.. وكانت هاتان البنتان تسقيانه خمرًا وتتكشفان له وتغريانه حتى عاشرهما وأنجب منهما أولاد زنا.

أحد أبناء "يعقوب" واسمه "روبن".. كان يمارس الجنس مع أمه على سطح المنزل.

"يهوذا" أبو العرق اليهودي كان معجبًا بزوجة ابنه.. فحاصرها مرة على جانب الطريق وعاشرها وأنجب منها أولاد زنا.

زنا محارم صريح في الإنجيل.. الحقيقة بالطبع أن هذا لم يكن الإنجيل وإنما كان ما كتبه هؤلاء بالسم الذي زرعته في قلوبهم وفي أقلامهم.

جاء بعدها الإمبراطورعابد الآلهة الرومانية الوثني قسطنطين وجمع أكابر الطوائف المسيحية كلها في مجمع واحد.. مجمع نيقية.. وحتى يزيل

الاختلاف فيما بينهم أجرى تصويتًا على ألوهية المسيح.. وصوتت كل طائفة بصوتها.. وانتهى الاجتماع بقرارٍ رسميّ باعتبار المسيح إلهًا مع الله وأنه ابن الله.. كان هذا كافيًا جدًّا.. إن مفعول السم قد أصاب قلوبًا كانت بالله مؤمنة موحِّدة منزَّهة.. فأصبحت من بعد السم بالله مشركة.. بل وألغت شريعة الله بأكملها بحلالها وحرامها.. هل رأيتم سُمًّا بهذه الفاعلية من قبل؟

الرسول المسيح "عيسى" يصير فجأة ابنًا لله وإلهًا معه أيضًا وناموسه يصير لاغيًا.. وكل هذا يُبنى على شخص يهودي غريب لم يرَ المسيح في حياته.. رجل كان يلاحق الحواريين لقتلهم يأتي ويزعم بين ليلة وضحاها أنه رأى نورًا ينزل عليه من السماء.. وأن هذا النور هو "عيسى".. وأنه ليس نبيًا بل هو إله.. وهو ابن الله أيضًا.. وزِنا محارم في كتاب الله الإنجيل يرتكبه أنبياء الله وأولادهم.. وشخص روماني وثني يجعل الناس تصوّت على ألوهية المسيح.. فيصوّتون عليها وكأنهم في انتخابات.. لم يكن العيب في عقول الرجال.. بل كان في قلوبهم.

هكذا أُفسِدَت كل الشرائع التي أنزلها الله إلى الناس فسادًا تامًا كاملًا.. وعُدت إلى خريطة العالم.. عدت أزحف بحثًا عن قلوب أخرى.. وقد وجدت ضالتي بعد حوالي ثلاثمئة سنة من انعقاد مجمع نيقية.. فجأة سمعنا نحن الشياطين من نبأ السماء أمرًا عجبًا.. كل أحاديث الملائكة التي نسترق منها السمع كانت تتحدث عن حدث عظيم يوشك أن ينزل بأهل الأرض.. حدث سيقلب كل شيء رأسًا على عقب.. كنت أتوقع حدوث ذلك الحدث وأنتظره.. بل ننتظره جميعًا. . كانت الأرض تستعد لأن تشهد ولادته.. ولادة محمد.

وإني قد رأيت من أمر هذا الرجل مالم أره في حياتي الممدودة كلها.. قبل حوالي شهرين من ولادته حدث أمر أسطوري لم أشهد مثله منذ قرون.. رأينا سماء مكة قد مُلئت بالطير حتى لم نعد نرى شيئًا من السماء.. كانت

نوعًا من الطير لم يُرَ مثله من قبل.. طير بحجم النسر طويل العنق أقدامه خُمر.. سمَّاه العرب العنقاء.. مُلِئت السماء بالعنقاء في مشهدٍ مهيبٍ وكل طير منها يحمل في منقاره حجرًا وفي أقدامه حجرًا.. وكانت أرض مكة ممتلئة بجيش أتى من اليمن على أفيال عظيمة يريدون هدم الكعبة.. كان مشهدًا أسطوريًا رهيبًا وجنود الجيش ينظرون إلى السماء في رعبٍ وتوترت الأفيال.. ولم يدرون إلا والطير قد رمت عليهم الحجارة التي كانت تحملها.. حصيا صغيرة كانت.. لكنها مست أجساد القوم فهلك منهم من هلك من فوره.. ومن بقي منهم تساقط جلده وأعضاؤه عضوًا عضوًا حتى صار كالفرخ المذبوح.

هرعنا إلى السماء نبغي سماع الخبر كما اعتدنا أن نفعل منذ الأزل.. لكن شيئًا ما في السماوات لم يعد كما كان.. نظر بعضنا إلى بعض في استغرابٍ وواصلنا الصعود.. وفجأة رأينا أجرامًا من السماء تسقط على رؤوسنا.. ولينا أدبارنا هربًا لكن تلك الأجرام أصابتنا فأحرقتنا ونزلنا إلى الأرض محرَّقة أجسادنا وقلوبنا.. يبدو أن وقت سطوة الشياطين قد انقضى زمانه.. وقد بدأ زمن إلهي جديد.. زمن "محمد".

اهتزت أرض مكة فسقط الثلاثمئة وستون صنمًا المثبتون بالمسامير حول الكعبة على رؤوسهم. . وانطفأت نار فارس التي كانت تُعبد وهي النار التي كان يتناوب على إذكائها الكُهان منذ ألف عامٍ فلم تنطفىء إلا اليوم.. وهرعنا نحن الشياطين إلى بيت أمه لنشهد ولادته.. وهناك رأينا أمرًا لم نصدقه في الوهلة الأولى؛ مريم ابنة عمران.. وآسيا أمرة فرعون ونساء أخريات لم نرَ في مثل حسنهن والكل يقف حول آمنة أم "محمد" ليشهد ولادة "محمد".. ياللعجب كيف أتين إلى هنا.. ولمَّا خرج انتظرنا نغزة الشيطان له ليبكي لكن الشيطان لم يأتِ.. وخرج الطفل محمد ولم يبكِ.. قال لنا الشيطان

بعدها إنه لم يجرؤ على الاقتراب.. نظر بعضنا إلى بعض في حيرة.. إن لكل ما مضى من الزمان شأن.. ولزمان هذا الرجل شأن آخر.. اعتصرت أكثر أنواع سمومي فتكًا.. وزحفت بجسدي كله الذي طال مع الزمن طولًا عظيمًا ونزلت مكة.. وعرفت أنني سأبقى فيها طويلًا.

مرت السنين وبُعِثَ "محمد" نبيًّا.. أبطل هذا الرجل كل سم زرعته في تاريخ الأرض.. حتى الحقيقة المجردة وحدها.. حتى أن "إبراهيم" و"موسى" و"عيسى" إنما كانوا يدعون كلهم إلى دينٍ واحدٍ.. وأن اليهود تركوا كتاب التوراة وأخذوا بكتاب من وحي خيالهم.. وأن النصارى حوَّلت المسيح من رسول الله إلى ابن وإله لكن الله إله واحد لم يلد ولم يولد.. وقال إن النصارى كتبوا في إنجيل عيسى كل ما طاب لهم من الكذب.. وأن عيسى لم يمت وإنما رفعه الله إليه.. وأنه عائد في نهاية الزمان ليحقق نبوءة التوراة ويحكم العالم كله بدِين "إبراهيم" و"موسى" و"محمد".. دين الله الذي ليس له ثانٍ.. وأعاد الناموس والشريعة التي أسقطها النصارى.. وبرأ "سليمان" من تهمة السحر التي كان اليهود يرمونه بها وقال إنه كان نبيًّا مُرسلًا امتلك الإنس والجن والطير والدواب بمعجزة من الله وليس بالسحر.. ورغم أن دولة "محمد" لم تكن تتجاوز الجزيرة العربية فقط.. إلا أنه صنع فيها رجالًا من ورائه إيمانهم قوي كالصخر ثابت كالجبال.. رجال على أتم استعداد لفتح العالم كله.. رجال لا يقدر عليهم شيطان.. بل إن الشياطين تهرب منهم.. لم تكن هناك طريقة لهزيمة هؤلاء إلا قتلهم المباشر.. وأولهم النبي "محمد".

زحفت ناحية المدينة.. وتحديدًا إلى مساكن اليهود فيها.. ثم خرجت منها بعد أن أودعت في قلوبهم ما أودعت.. وفجأة أهدت واحدة من هؤلاء اليهود شاة مذبوحة مشوية إلى النبي "محمد" وأصحابه.. وسألَتْ هذه المرأة شيوخ اليهود

عن أشد سم زعاف من سمومهم فتكًا.. فسموا لها واحدًا بعينه فأودعَته في الشاة.. وسألت عن أي جزء يحب النبي "محمد" أن ياكل فقيل لها الذراع.. فزادت في ذراع الشاة أضعاف ما وضعت في جسدها من السم.. وكان "محمد" يقبل الهدية فقبلها وجلس وأصحابه حول الشاة.. وتحفزت عيناي المشقوقة.. وأخذ النبي "محمد" الذراع وأكل منه أكلة.. ثم تبعه أحد أصحابه وأكل ثم استوقفهم النبي "محمد " فجأة وقال لهم:

- كفوا أيديكم فإن هذه الذراع تخبرني أنها مسمومة.

ضيقت عيني في خبث شيطاني.. كنت أعلم أن تلك القضمة الواحدة التي أخذها من الشاة كانت كافية لقتله.. ولو بعد حين.. وبالفعل مرض النبي "محمد" مرضا شديدا بعد ثلاث سنوات من أكله للشاة.. وقال في مرضه :

- مازلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة.. فهذا أوان انقطاع الأبهر مني.

وهكذا أصبح الطريق ممهدًا أمامي لأبث مزيدًا من السموم.. حاولت بكل جهدي أن ألوّث أفكار دين الإسلام لكن "محمدا" لم يكن قد ترك شيئًا قابلًا للتسميم.. لم ينس شيئًا إلا وبينه.. وكانت قلوب أصحابه أشد صلابة من الماس.. والمشكلة الأكبر أن الله قد تعهَّد القرآن بالحفظ فلم يكن لي أي مخرج لتحريفه.. ولم يترك القرآن شيئًا إلا ذكره في مواضع عديدة بوضوح.. لكني لم أعتد أن يقف شيء أمام زحفي وسُمي.. ولذلك وجدت مخرجًا.. أو شبه مخرج.

مات صاحبا الرسول "أبا بكر" و"عمر".. وتولى الخلافة بعدهما "عثمان ابن عفان" واتسعت دولة "محمد" لتكون من الصين إلى تونس.. ولو تُرِكت بضع سنين كانت ستغزو العالم كله.. فقد بنى "محمد" جيلًا كاملًا من الشخصيات اللامعة النادرة القوية المخلصة بطريقة لم تحدث في التاريخ

من قبل ولن تحدث في التاريخ من بعد.. وإن أعظم حضارات العالم تفخر لو وجد فيها شخص واحد من هؤلاء.. فكيف بحضارة فيها أكثر من مئة ألف منهم.. لم يكن مناسبًا أن أعتمد على أحدٍ في بثِّ سمومي هذه المرة.. كان من المحتَّم أن أنزل بنفسي إلى ساحة الأحداث.. وخلعت عني هيئة الثعبان واتخذت لنفسي هيئة بشرية.. ونزلت إلى المدينة المنورة.. المكان الذي ربَّى كل هؤلاء الرجال.. نزلت إليها على هيئة رجل أسود قادم من اليمن.. بل شيطان أسود.. شيطان يدعى "عبد الله".. "عبد الله بن سبأ".

بدأت أخلط سما فكريًّا عزافًا لحقنه في قلوب هؤلاء.. نظرت إلى عقيدتهم وكتّابهم ورسولهم فلم أجد ثغرة أنفذ منها.. لكنني أمعنت النظر وأمعنت حتى وجدتها.. وجدت الثغرة التي سأحقن فيها سمومي كلها.. فبعد وفاة رسولهم اجتمع كبار صحابته في سقيفة بني ساعدة ليختاروا واحدًا منهم خليفة للمسلمين.. لكنهم أغفلوا واحدًا من أهم الصحابة.. رجل شديد الأهمية لم يكن في هذه السقيفة معهم بل كان مشغولًا يغسل جسد النبي "محمد" تجهيزًا لدفنه.. كان هذا هو "علي".. "علي بن أبي طالب".. ابن عم الرسول وصهره.

المشكلة أنه كان من المستحيل التأثير على عقائد هؤلاء الرجال أبدًا.. بل إنني خِفت على عقائدي كشيطان أن تتأثر لو اقتربت منهم.. لذا كان يجب أن يكون السم سياسيًا هذه المرة.. سياسيًا بحتًا.. إن "علي بن أبي طالب" من آل بيت النبي وسماه الرسول وليَّ المؤمنين فكيف يجتمعون بدونه في السقيفة ويختارون خليفة لهم بدون حتى أن يأخذوا رأيه.. ضيقت عيني المشقوقتين في رضا شيطاني ومضيت في طريقي.

لكنني خرجت من المدينة مدحورًا مذمومًا.. لقد أجمع أهل المدينة كلهم على رأي السقيفة.. وبايع الكل بلا أدنى تردد الخليفة "أبو بكر".. حتى "علي"

نفسه بايعه ببساطة.. هؤلاء يعرفون كلام رسولهم جيدًا.. فقد رتب أكثر من مرة أصحابه حسب الفضل "أبو بكر" ف "عمر" ف "عثمان" ثم "علي".. ومزاعمي أن هؤلاء الثلاثة قد سرقوا الخلافة من "علي" ثلاث مرات ضاعت في الهواء.. فكيف يسرقون الخلافة ولم يخرج أحدهم منها حتى بثوبٍ جديدٍ بل ماتوا جميعًا مديونين.. قدموا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

لكن هذا السم الذي حضرته ولو لم يكن قادرًا على التأثير في هؤلاء فهو قادر على التأثير في ضعاف أو حديثي الإسلام.. وبهذا توجهت إلى الشام.. وحاولت نشر فكري هناك لكنني خرجت منها مدحورًا مرة آخرى.. فكان أمير الشام "معاوية بن أبي سفيان" يدير الشام بطريقة يستحيل معها أن تشتعل أي فتنة.. فخرجت من الشام وتوجهت إلى العراق.. وهناك فقط وجدت ضالتي.

في البداية نشرت مطاعن عديدة في كل أمراء البلاد.. فإذا تقبّلها الناس سيكون سهلًا عليهم أن يتقبّلوا مطاعن في الخليفة "عثمان بن عفان".. وبالفعل تقبّل كثيرٌ من الناس كلامي ومنهم كبار قواد الجيوش مثل "الأشتر النخاعي".. تقبّلوا مطاعني في الأمراء وتقبّلوا مطاعني في "عثمان".. وظللت أطعن وأطعن حتى سار معي ثلاثة آلاف رجل ودخلنا المدينة وواجهنا الخليفة "عثمان" بمطاعننا وطلبنا منه أن يخلع نفسه عن الخلافة ويولي "علي".. لكن حتى هذه كان الرسول قد أخبره شخصيًا بها.. فقد قال له إن هناك منافقين سيأتونك ويطلبونك أن تخلع قميصًا قمصكه الله فلا تخلعه.. وبهذا رفض "عثمان" أن يخلع نفسه من الخلافة.. وبهذا حاصرناه ومنعنا عنه الماء.. حتى قتلناه.

وبهذا بايع الناس "علي بن أبي طالب" خليفة.. لكن اختلف أكابر الصحابة؛ فريقٌ رأى أن يقتص الخليفة "علي" من قتلة "عثمان" أولًا وإلا لن يبايعوه..

على رأس هؤلاء "عائشة" زوجة الرسول و"طلحة بن عبيد الله" و" الزبير بن العوام".. الفريق الآخر وهو فريق الخليفة "علي" رأى أن يؤجّل القصاص.. لسبب سياسي بحت هو أن القتلة من أكابر قبائل العراق وشرق المملكة الإسلامية وهم حديثي الإسلام.. فلو تم القصاص الفوري منهم ستنشق نصف المملكة الإسلامية عن الخلافة.. وقد استخدمتُ رأي "علي" السياسي هذا شر استخدام.. فأشعت في معارضيه فكرة أن "علي بن أبي طالب" كاره ل "عثمان بن عفان" ولهذا هو يُقرّ قتلته على ما فعلوه.. وإنما يتخذ حجته السياسية هذه ذريعة ليساعد القتلة على الهرب.. ويبدو أنني بدأت فعلًا في إشعال النار.

قرر "طلحة" و"الزبير" أن يسافروا إلى العراق للقصاص من القتلة بأنفسهم ومعهم خمسة آلاف رجل.. لكنهم أخذوا معهم "عائشة" زوجة الرسول لترقيق قلوب القوم هناك.. ولما وصلوا للعراق طالبوا القبائل بتسليم قتلة "عثمان" للقصاص لكن القبائل رفضت رفضًا شديدًا كما توقع "علي".. وبدأت الحرب.. وقتل جيش "طلحة" من القبائل الكثير.. وقتل القليل من قتلة "عثمان".. أيضًا كما توقع "علي".

هنا انطلق "علي" بنفسه إلى العراق لحل هذا النزاع وعاتب "طلحة" والزبير" و"عائشة" على عدم تصديقهم لنظرته السياسية التي توقعها.. فهدأوا جميعًا وبايعوا "عليا" بالخلافة واتفقوا على رأيه.. كان يبدو أن "علي" نجح في إخماد النار التي أشعلتها.. لكن هيهات.. ففي الليل بعد أن نام الجميع.. تسللت ورجال معي إلى مخيمات+ رجال "طلحة" وقتلنا منهم نفرًا يسيرًا.. ثم ذهبنا لمخيمات رجال "علي" وقتلنا منهم نفرًا يسيرًا.. ونادينا في كلا الطرفين بينما أغار علينا الطرف الآخر الحاقد.. وهكذا قام الرجال والتقت سيوفهم.. ونزل "علي" ينادي الجميع أن يوقفوا القتال.. ونزلت

"عائشة"على جملها ونادت في الجميع أن يوقفوا القتال حتى أصابت ناقتها سهام كثيرة لم يدرِ أحد من أين تأتي.. فأحاط "علي" بجمل "عائشة" بجسده في مشهدٍ بطولي حقيقي ومهّد لها الطريق لتخرج من الساحة.. ثم أمر نساءً من آل بيته لمرافقتها إلى المدينة.. قُتِل "طلحة" بسهم مجهول.. فلما رآه "علي" بكى.. وقُتِل "الزبير" بطعنة غادرة أثناء صلاة الظهر.. وأتى من يُبشر "علي" بقتل "الزبير" فقال له "علي" أن يبشر قاتل "الزبير" أنه في النار.. ودفنه "علي" بنفسه وقال :

- إني لأرجو أن أكون أنا و"طلحة" و"الزبير" و"عثمان" ممن قال الله فيهم (ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين)

وبما أن العراق كانت مكانًا غير مستقر فقد فضّل "علي" أن يحكم المسلمين من الكوفة.. وبهذا كاد "علي بن أبي طالب" أن يطفىء النار مرة أخرى..

ولكن هيهات.. لازلت هنا.. لازال الأسود بن السوداء "بن سبأ" هنا.. كانت هناك العديد من الثغرات قد تكونت الآن.. فـ "علي" أثناء تحقيق سياسته بتأليف قلوب قبائل العراق اضطر لإبقاء من كان منهم قائدًا للجيش كما هو.. ومن هؤلاء كان "الأشتر النخاعي" أحد رموز التمرد على "عثمان" وغيره الكثير.. وصرخت بين الناس أن انظروا كيف ترك "علي بن أبي طالب" مدينة رسول الله وذهب ليقيم الخلافة من الكوفة مهد قتلة "عثمان بن عفان".. انظروا كيف كان جيشه يقاتل جيش "عائشة" و"طلحة" و"الزبير" ويقتل منه من يقتل.. ويرفض أن يقاتل من قتلوا "عثمان بن عفان".. ألا يدل ذلك على حقده على "عثمان بن عفان"؟ ولكن صرخاتي تلك لم تؤثر سوى في حديثي الإسلام.. فالمسلمون يعرفون جيدًا من هو "علي بن أبي طالب".. ابن عم النبي.. وزوج ابنته "فاطمة".. ومستشار الثلاثة خلفاء الذين كانوا قبله.. قال فيه النبي " إن الله جعل ذرية كل نبي من صلبه وأبى

أن يجعل ذريتي إلا من صلب علي".. و"من كنت مولاه فعلي مولاه".. فلم تجد صرخاتي صداها.

لكن ما ساعدني بشدة كان أن هناك بلدًا واحدًا فقط معارضًا بأكمله لموقف "علي بن أبي طالب" السياسي منذ البداية ورافضًا أن يبايعه إلا بعد أن يقتص من قتلة "عثمان بن عفان".. بلد واحد فقط لكنه شديد الأهمية.. الشام.. بأميره "معاوية بن أبي سفيان".. ونفر من الصحابة الكبار أبرزهم "عمرو بن العاص".. لما أتيت الشام قبل مقتل "عثمان" لم أتمكن من فعل شيء.. أما الآن ومع تبنّيهم هذا الموقف المعاروض.. صار إشعال النار عندهم أسهل بكثير.

فذهبت بصرخاتي إلى أنصار "علي بن أبي طالب" وقلت.. إن "معاوية بن أبي سفيان" يرفض مبايعة "علي بن أبي طالب" لأن "علي" قتل خاله وقتل أخوه.. كما أنه كبير قبيلة بني أمية التي منها و"عثمان بن عفان".. فهو ولي دم "عثمان".. وهو يقدّم ولاءه للدم على ولائه للخليفة.. لكن صرخاتي لم تجد لها صدى كبيرًا في تلك الأيام.. فالناس كانت تعرف من هو "معاوية بن أبي سفيان".. تعرف أنه من القلة الذين انتمنهم النبي "محمد" على تدوين القرآن.. وعنه يحفظون أحاديث كثيرة جدًا.. ودعا له "محمد" فقال "اللهم اجعله هاديًا مهديًا".. والمسلمون يتعاملون مع دعوات النبي معاملة الدستور.. بل إن أخت معاوية هي زوجة النبي "محمد".. ولذا يلقبونه بخال المؤمنين.. وهم يثقون به تمامًا لأنه ورغم أن "عمر بن الخطاب" أثناء خلافته عزل الكثير من الولاة مثل "خالد بن الوليد" و"أبو موسى الأشعري" و"سعد بن أبي وقاص" و"عمار بن ياسر" إلا أنه لم يعزل "معاوية بن أبي سفيان" أبدا.. وذلك لشدة حنكته في الإمارة وعدله.

لكن طال إصرار "معاوية" على رفض مبايعة "علي".. ونصح الصحابة الخليفة "علي" بأن يخرج ليعيد الشام إلى حُكمه.. فخروجها عن الخلافة يجعل غيرها يستمرىء الخروج على الدولة.. وبهذا خرج "علي" بجيش قوامه مئة وعشرون ألف رجل إلى الشام ليعيدها.. وجهز له "معاوية" جيشًا قوامه تسعون ألف رجل.. كنت في غاية السعادة.. فالصحابة.. أصحاب القلوب الذهبية على وشك التقاتل مع بعضهم البعض.. وتقاتلهم هذا يعني سقوط دولتهم.. ويعني أن الثعبان سيجد ضحية جديدة.

التحم الجيشان وسقط قتلى ما يقارب الأربعين ألفًا.. لكن كان هناك شيء عجيب في هؤلاء القوم.. توقفت قليلًا لمحاولة استيعابه.. هؤلاء يتقاتلون بالنهار.. وفي الليل يتزاورون.. القرآن يدوي في ذلك الجيش.. ويدوي في الجيش الآخر.. كل طرف مؤمن أنه يقاتل لأجل الدين.. الطرف الأول يقاتل لأجل تفعيل حد القصاص لأن في تعطيله مخالفة لشريعة الله.. والطرف الثاني يقاتل لأجل استقرار الدولة الإسلامية.. يتقاتلون ولا يكره طرف منهما الطرف الآخر.. بالعكس يعظمون بعضهم البعض.. وفي المعركة يظل الرجلان يتلاحمان بلا قتل.. فكل القتل الذي حدث في المعركة كان بفعل أتباعي.. قتلة "عثمان" الذين كانوا في جيش "علي" لكن لما كان صحابيان يتقابلان فإن سيفيهما يصطكان ببعضهما بلا قتل وقلباهما سواء.. وقفت بين هؤلاء وهؤلاء.. ليس لمثل هؤلاء وضعت سُمي.. لقد أشعلت ما ظننته نارًا في القلوب.. فأصبحت النار بردًا وسلامًا عليهم كأنها لم تكن.. أنا أضيع وقتي هنا.. هؤلاء سيصطلحون بعد حين ويعودون أشد قوة مما كانوا.

وبالفعل اصطلح الرجال.. وعملوا هدنة لسنة.. خلال هذه السنة زحفت على ضعاف النفوس والإيمان.. فلست أقدر إلا عليهم.. جعلت نفرًا كثيرًا منهم يعتبرون كل من شارك في المعركة بين الصحابة كافرًا.. وجعلتهم

يحاولون الانقلاب على الخليفة "علي".. الذي انشغل تمامًا بمحاربتهم والقضاء عليهم حتى قتله أحدهم.. وهو"عبد الرحمن بن ملجم".. الذي ظنَّ بكل السم الزعاف الذي أودعته في قلبه أنه قتل "عليا" وأنه سيدخل الجنة.. وقد قال الرسول إن قاتل "علي" هو أشقى الآخِرين.. وقال أيضًا أن الطائفة التي ستقتل الخوارج هي أقرب الطائفتين إلى الحق وهي هنا طائفة "علي بن أبي طالب".. أما الطائفة التي ستقتل "عمار بن ياسر" أثناء الفتنة فهي الفئة الباغية وهي هنا طائفة "معاوية بن أبي سفيان".. العجيب أن النبي "محمد" كان يقول أحاديث عن أحداث حدثت بحذافيرها بعد موته.. هذه الأمة عجيبة.. حقًا لم يرَ التاريخ مثل هذه الأمة على الإطلاق.

تولى الخلافة بعد موت "علي بن أبي طالب" ابنه "الحسن".. وقد عمل عملًا بسيطًا أصلح به كل شيء.. بعد ستة أشهر على خلافته ذهب إلى "معاوية" وتنازل له عن الخلافة.. وبهذا اصطلح الكل ولم يعد في قلب أحد على أحد مأخذ.. هذا الرجل غريب.. كان منذ البداية ينصح أباه "علي" بكل النصائح التي لو كان اتبعها كانت المشكلة ستنتهي.. فنصحه ألا يخرج وراء "عائشة" إلى العراق.. وألا يخرج لقتال "معاوية".. والآن تنازل عن الخلافة.. وقد قال عنه جده النبي إن الله سيصلح به بين طائفتين عظيمتين من المؤمنين.. ومرة أخرى.. تحققت نبوءة النبي كما قالها تمامًا.. وانتهت الفتنة تمامًا وخمدت النار.. وزالت السموم.. ونظرت إلى نفسي.. لقد فشلت مع هؤلاء.. حقًا لقد فشلت.. من أي شيء صُنعت قلوبهم بالضبط؟.. من أي شيء صُنعت؟

تمَّت

* * *

حقًا هذه الحكاية أتعبتني شخصيًا وأسقمتني.. إن الشيطان الأفعى "سيربنت" هو رمز الإغواء.. تقول عنه التوراة أنه هو الأفعى التي أغوت آدم وحواء فأنزلتهما من الجنة.. لكن الحقيقة غير ذلك.. فمن أغوى آدم وحواء هو "لوسيفر".. أما "سيربنت" فهو شيطان اختص بتدمير العقائد وإشعال الفتن والنيران في أي بلد ينزل بها.

لم أعد أستغرب تلك المشاهد التي أراها على الشاشة دائمًا لليهود في إسرائيل وهم يقتلون الأطفال ويذبحونهم بدمٍ باردٍ تمامًا؛ فالحقيقة التي عرفتها هي أن ذلك الجندي اليهودي لا يعتقد أنه يقتل بشريًا.. إنما هو حسب عقيدة التلمود يقتل حيوانًا هيأه الله على هيئة بشرية.. وهذا الحيوان يزاحمه في أرضه أيضًا.. فقتله واجب.. لكن ليس كل اليهود يؤمنون بالتلمود بالطبع؛ فهناك طائفة لا تؤمن سوى بالتوراة وحدها.. وهم طائفة من اليهود اسمها اليهود القراوؤن.. بل إنهم يؤمنون بعيسى وبمحمد على أنهما نبيّا الله.. وحتى النبي "محمد" قد قال عن اليهود المعاصرين له أنهم كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم حتى قبل أن يولد.

وبمناسبة الحيوانات الذين على هيئة بشرية.. هناك نظريات علمية نشأت في أحضان المحافل الماسونية وبرعايتها وأبرزها نظرية "داروين".. أن الإنسان أصله قرد.. لو أردت رأي خبير فهم تبنوا هذه النظرية حتى يعمقوا في أذهان غير اليهود أو الغوييم فكرة أن أجدادهم كانوا قرودًا.. أما اليهود أنفسهم فلا يؤمنون بهذه النظرية.. فبالنسبة لهم هذه النظرية فقط فسرت أصل الغوييم الحقيقي.. ولو أردت رأيي أنا شخصيًا في هذه النظرية فسأقول إنه فقط رجل بعقل بهيمة هو من يجد السلوان في الأصل البهيمي.

أما بالنسبة للأفاعيل التي فعلتها الأفعى في عقيدة المسيحيين فأقول إنه ورغم كل التحريف الذي فاق الحد إلا أنني قرأت الإنجيل جيدًا بكافة

نسخه.. ولم أجد كلمة واحدة يقول فيها المسيح "عيسى" عن نفسه أنه إله.. أو أنه ابن الله.. أو قال اعبدوني.. بل إنني لاحظت أنه ذات مرة رفض أن يناديه الناس بالرجل الصالح.. وقال إن الصالح هو الله.. وأنا أعرف أن الرجل لابد أن يقدم مزعمًا حتى يمكنني تصديقه أو نفيه.. لكن هذا المسيح عيسى لم يقدم المزعم أصلًا.. لا قال إنه إله ولا قال إنه ابن الله في أي كلمة أو حتى تلميح.

والمفترض أن الإنسان قد وصل لدرجة من الذكاء لا تسمح له أن يقول عن رجل ما أنه إله.. فأين كان هذا الإله قبل أن يُولَد وكيف سيموت لما يأتي أجله؟ إذا لم يحصل هذا الإله على الطعام والشراب ألن يموت؟ ثم يقولون إنه مات من أجل البشرية.. فكيف مات وهو الله؟ ثم إنني قرأت أنه قد تمَّ ختانه وهو صغير.. هل لما أمسك به الحكيم ويختنه كان يختن الله؟ كيف أمسك بالله وأختنه؟ ولما كان على الصليب يقولون إنه صرخ ناظرًا إلى السماء وقال لِم تركتني؟ فهل يعقل أن يقول الإله لأحد لم تركتني؟ ثم كيف يقولون إن الله شيء والمسيح شيء والروح القدس شيء.. ثم يقولون إنهم كلهم شيء واحد وهو الله.. حقًا لا أدري كيف فعلها "سيربنت" لكنه غيَّب عقول هؤلاء قبل أن يغيب قلوبهم.

لعلي لم أخبرك.. لكنني مسلم.. ورغم أنني لم أكن كذلك إلا أنني فعلتها بعد أن عرفت كل ما عرفت. وبعد أن تبحَّرت في بحور الماسونية والسحر ما تبحَّرت.. ورغم أن الأفعى "سيربنت" قد فشل تمامًا أن يدمر عقائد الصحابة كما فعل مع الحواريين.. إلا أنه وبعد أن مرت القرون الثلاثة الأولى.. نجح سُمه أخيرًا في النفاذ إلى النفوس.. لأن جيل القرون الثلاثة الأولى هذا كان جيلًا ذهبيًا تهرب الشياطين منه بالفعل من فرط صلابته.

فبعد القرون الثلاثة الأولى نجح سمَ الأفعى "سيربنت" أن يخرج من عباءة المسلمين فرقة كبيرة جدًا تدعى الشيعة.. وخروج هذه الطائفة قد حدث تحديدًا بعد استشهاد "الحسين بن علي" في كربلاء.

في البداية كانت فرقة تدعى الزيدية وهي الفرقة الوحيدة التي على صحيح الإسلام.. وهؤلاء أتباع فكر "زيد بن علي بن الحسين" وهو رجل مجاهد يتفق مع جمهور المسلمين في كل شيء لكنه يرى أن "علي بن أبي طالب" كان أولى بالخلافة من "أبي بكر".. ويعرف فضل "أبو بكر" وفضل "عمر" جيدًا كما كان كل المسلمين يعرفون فضلهما.. وترحم "زيد" عليهما قبل أن يموت.

وبعد وفاة "زيد" رفض البعض ترحمه على "أبو بكر" و"عمر" ومن هنا بدأ الانحراف.. سميوا من رفضوا الترحم بالرافضة.. وهؤلاء انقسموا فيما بينهم إلى بضع وسبعين فرقة.

وتاريخهم كله مشبع بالخيانات للدولة الإسلامية والتحالف مع أعدائها.. وإنني كنت متعجبًا جدًا كيف أن تلك المذاهب الشعية كلها قد ظهرت رغم أن المسلمين اهتموا جدًا بنقل الحديث بالأسانيد عن النبي.. ولم يتركوا سبيلًا أبدًا للتلاعب في الأمر.. لكن الحقيقة المؤسفة التي أزالت هذا التعجب هي أن المسلمين في القرون الأولى اهتموا فعلًا بنقل الحديث والفقه والتفسير ولكنهم نسوا عِلمًا شديد الأهمية.. نسوا تدوين التاريخ.

ولما نسى المسلمون تدوين التاريخ .. نشط الشيعة في تدوينه.. واستفاضوا في تدوين أحداث الفتنة التي وقعت بين الصحابة.. والمتتبع لأسانيد روايات أحداث الفتنة يجد أن كل الروايات الطاعنة في "معاوية بن أبي سفيان" أو غيره من الصحابة أيام الفتنة.. وضعها أربعة رجال شيعة أُشتهروا بأنهم من الوضاعين للحديث المكذوب.. والمحزن أن رواياتهم قد انتقلت للمناهج

الدراسية في بلدان المسلمين كلها فأصبح الطلبة فيها يتلقنون أن "معاوية بن أبي سفيان" فيه كذا وكذا.. وابنه "يزيد" فيه كذا وكذا.. وأبوه "أبو سفيان" فيه كذا وكذا.

وبالنسبة للروايات التي طعنت في "يزيد بن معاوية" فكلها وبلا استثناء روايات شيعية مكذوبة الأسانيد موضوعة.. الشيء البشع أن هذه الروايات وأمثالها الكثير شوهت التاريخ تشويهًا غيرت معالمه تغييرًا جذريا وأوقدت الفتنة بين المتأخرين من الأمة؛ فيزيد بن معاوية هذا تم اتهامه بأنه رجل سكّير وعربيد وزِير نساء ولا يحق له الخلافة بعد "معاوية" أبدًا بل الأولى بالخلافة "الحسين بن علي" وقالوا إن "يزيد" هو الذي أمر بقتل "الحسين" في كربلاء.

والعجيب أن الرواية الوحيدة الصحيحة التي قيلت عن "يزيد" قالها عنه "محمد بن علي بن أبي طالب" نفسه.. أخو "الحسن" و"الحسين".. قال "لقد عاصرت وعايشت يزيد بن معاوية فما أنكرت عليه خلقًا قَط".. والأعجب من العجيب أن يصدق المتأخرون هذه التهم عن "يزيد".. وكأن الجيل الذهبي من الصحابة الذين كانوا يعيشون وقتها ويفتحون البلاد سيقبلون بأن يكون خليفتهم رجلًا سكّيرًا عربيدًا.. فكأن هذا طعن في الصحابة كلهم.. ويكفي أن "عبد الله بن عمر" فقيه الصحابة في ذلك الوقت قد خرج وقال "أنا بريء ممن لم يبايع يزيد بن معاوية".

الغريب أن من اعترضَ على تولية "معاوية" لابنه "يزيد" هم ثلاثة من الصحابة فقط وهم "الحسين بن علي" و"عبد الله بن الزبير" و"عبد الرحمن بن أبي بكر".. وحتى عندما اعترضوا قالوا مقولة واحدة وهي "أقيصرية أم كسروية" فاعتراضهم كان على التوريث.. ولو كان هناك مطعن في أخلاق يزيد كما يشاع الآن.. كان الأولى أن يقولوه حينها.. لكن

الروايات الشيعية بالطبع تذكر مقولات كثيرة مكذوبة على لسان أصحابها وأصحابها رضي الله عنهم منها براء.

والآن دعنا نترك كل هذه الأحاديث العِقدية المعقدة ولنلتفت إلى الطاولة مرة أخرى.. لدينا الآن ورقتان فقط.. الورقة الأولى ورقة الهلوسة وعليها صورة رجل مغمض عينيه من الصداع وتتخلل رأسه بعض أطياف الهلوسة..

الورقة الثانية هي ورقة الاغتيال.

وهذه الحكاية لن يحكيها أي شياطين.. فلننح الشياطين جانبًا.. الحقيقة أنني فصّلت في أمر الشيعة لأن الذي سيحكي الحكاية هذه المرة هو واحدٌ منهم.. وتحديدًا من الطائفة النزارية.. رجل من الفرقة الخطرة التي تدعى الحشاشين.. ومرة أخرى لا تسألني كيف يحكيها.. فقط استمع.

* * *

فارس من عِليين. •

1000 بعد الميلاد – 1250 بعد الميلاد

لما دخلتُ جنة الخلد لأول مرة لم يكن على جسدي سوى ثوب من حرير أبيض.. يُمسك بي ملكان أبيضان شاهقا الطول.. حتى أفلتا يدي.. كان هذا يعني هلم انطلق ياصاحب الروح المرضية.. تفقد بنفسك ما أعد لك ربك من أجلك.. نظرت حولي بانبهار.. في أول لمحة رأيت نهرًا جاريًا.. كأنه نهر من لبن.. نظرت إلى الناحية الأخرى.. نخيل باسقات في أحسن صورة لها تمرها منثور على الأرض في إغراء حقيقي.. حقًا لقد قرأت عن هذه الأمور.. إنها حقيقية.. هذا ليس حلما.. أنا واع تمامًا لما أرى.. فقط أشعر أن دماغي في حالة خدر ماتع دائم.. لكنني واعٍ.. لرائحة رائعة تسللت إليّ بلا استئذان.. نظرت حولي.. كأنها عبق الجو نفسه.. الجو الذي أتنفسه.

"الجنة تنتظركم يا ناصري آل البيت.. يا أحباب عليّ.. الجنة هنالك لا يفصلكم عنها سوى أن تدفعوا أبوابها"

شيء آخر تسلل إليّ بلا استئذان.. نوع من النغم المبهج.. لم أسمع في حياتي عذوبة كهذه.. نظرَت عيني ناحية النغم.. كان هناك مايشبه المدخل المصنوع من الأشجار.. ذلك النغم ينبعث من الداخل مع أصوات أخرى.. هناك أشخاص بالداخل.. شعور غريب أن تكون في جنة الخلد وتكتشف مكانًا جديدًا فتتحرك ناحيته لاستكشافه.. عالما أن ما بداخله من النعيم هو على مستوى كلمة جنة.. هذه الكلمات التي أقولها لا تصف ما أشعر به.. لكني أحاول أن أرسم المعنى بكلماتي.. تقدمت من ذلك المدخل شاعرًا بالنغم العذب يسحبني من عنقي.

"نسبّح بحمد الأول.. ونقدّس لملك الآخِر.. إلهان قديمان عظيمان لا أول لوجودهما ولا ثالث"

حقا كان ما بالداخل مُبهرًا.. كانت المرة الأولى التي أذوق فيها معنى كلمة السعادة.. كانت روحي سعيدة.. منتشية.. تشعر بالمرح.. وقد زادت السعادة والمرح أضعافًا مضاعفة لما دخلت إلى ذلك المكان.. غشيَت أذناي ألحان أصبح صوتها واضحاً الآن.. ورأيت الكثير ممن أعرفهم.. إخوة العقيدة.. أراهم يتكئون على أرائك وتتكىء بجوارهم فتيات جميلات هن أجمل مما يُسمَح بوصفهن.. يلاعبونهن ويضحكن معهن.. كن يرتدين أثوابًا ذات ألوان فاتحة.. حمراء بعضها وبعضها بيضاء.. رأتني فتاتان وأنا أدخل إلى هذا النعيم فسارعتا بالتقدم إليّ وعليهما أجمل ابتسامة رأيتها على ثغر.. ومدتا يداهما إليَّ بأنوثة لم أذقها يومًا من قبل.. وسحبتاني برقة لأنضم إلى الجمع السعيد.

"اقتلوا الخليفة حتى وإن قُتلتم.. فإن قتلتموه دخلتم الجنة.. وإن قُتلتم دخلتم الجنة أيضًا"

أجلستاني على إحدى الأرائك.. ثم إنهما قبّلتا يدي برقة.. أرجوكما قولا لي إنني لا أحلم.. فإن كنت لا أحلم أخبراني أنني لم أسكر.. وإن كنت لم أسكر ففسرا لي لماذا أشعر أن دماغي منتشية.. لم أكن أعلم أن الجنة فيها نعيم حتى للدماغ.. والدماغ نعيمها الانتشاء.. ذلك الانتشاء العظيم الذي أذاقتاني إياه لأول مرة في الدنيا شيخ الجبل.. الإمام الأعظم.. "الحسن الصباح".

وهنا رأيته يدخل إلى هذا الجمع الجميل بنفسه.. الإمام الأعظم بنفسه.. يالهيبة هذا الرجل.. أذكر ذلك الشاب الذي أمره الإمام الأعظم أن يقف على سور قلعة "الاموت" ويرمي بنفسه.. فصعد الشاب فورًا ورمى بنفسه من فوق سور القلعة إلى الهُوَة السحيقة التي تطل عليها فمات.. كان الإمام قد أمره بهذا ليُري أحد الزائرين الصليبيين الذين زاروه في قلعته كيف أن

أتباعه يُخلصون له ولو على حساب حياتهم.. لابد أن هذا الشاب يمرح في أحد ربوع جنة الخلد الآن.. لم يفهم ذلك الصليبي لماذا كنا مستعدين لقتل أنفسنا بروح طيبة.. ولو أنه رأى ما أراه الآن لفهم.

قال لنا الإمام الحسن الأعظم :

- يا أنصار الله.. إن كل هذا النعيم الذي تنعمون به هو أدنى أدنى درجات النعيم التي وعدكم بها ربكم.. ودرجات عليين لا ينالها سوى الشهداء وحدهم.. وإنني أتيتكم اليوم لأقدم لكم واحدة من الفُرَص العظيمة لتنالوها.. الشهادة الشهادة يا مؤمنين.. من يريد الشهادة؟!

وقفنا جميعًا كلنا يريد أن يكون هو المختار.. لو كان هذا النعيم بهذه الروعة فكيف بما هو أعلى منه.. لا تتحمل نفسي إلا أن تناله.. ولحُسن حظي.. اختارني الإمام هذه المرة.

كانت واحدة من الفرص التي يهبها الإمام لمن يحب منا بين الفينة والأخرى.. أن ننزل من الجنة إلى الحياة الدنيا لننهي شرًا من شرورها العظام.. فإما أن نقتل أحد الخلفاء العباسيين الذين هم في الحقيقة أعداء الله ورسوله كما تعلّمنا.. أو نقتل أحد الصليبيين الذين هم أعداء الله ورسوله أيضًا.. أو ربما نقتل أحد العلماء الذين يبثون أفكارًا مسمومة في أذهان الناس فهم أخطر على عقيدتهم من الخلفاء.. لكن هذه المرة لم تكن المهمة مهمة قتل.. كانت مهمة بسيطة جدًا.. كان عليَّ أن أسلِّم رسالة إلى "الملك "أموري" ملك القدس الصليبي.. كم أنا محظوظ.. أنا أعشق إمامنا الذي أرسله لنا ربنا حتى يأخذ بأيادينا إلى طريق الحق.. من حقنا أن يكون لنا إمام كما كان لكل قوم نبي في السابق.. من حقنا أن يكون لنا إمام معصوم مكلف من قبل الله.. يأمرنا وينهانا ويشرّع لنا ويعلمنا باسم الله.

كان الطريق طويلًا جدًا في الواقع.. كنت أركض بفرسي العربية الأصيلة باتجاه القدس وأمامي حوالي الشهر لأصل إليها.. والنجوم فوق رأسي تدلني على الطريق.. وخواطر كثيرة تجيء على ذاكرتي وتروح.. خواطر تشعرني بالفخر.. تذكرت نشأتي في قلعة ألاموت العظيمة.. كيف كنت صغيرًا يتيمًا ضائعًا هزيلًا فجاء من وسط ظلمة الليل والتقطني وأسكنني في قلعته.. بل أسكننا في قلعته.. أنا والكثير جدًا من الأطفال المشردين.. لقد قدَّم لنا إمامنا المأوى.. بل قدَّم لنا ماهو أكثر من ذلك.

لقد علَّمنا كل شيء منذ كنا أطفالًا صغارًا.. علَّمنا الفروسية والمبارزة وركوب الخيل والقتال بالأيدي العارية والخناجر والرماح.. علَّمنا الرماية بالسهم والخنجر والرمح.. علَّمنا الرجولة والتحمُّل والصبر وسرعة البديهة في القتال.. علَّمنا الإخلاص.. علَّمنا دين الشيعة.. شيعة "علي".. شيعة آل البيت.. علَّمنا أن نكون بلا مشاعر فيما يتعلق بأعداء الدين الكفرة الفجرة عابدي أقدام النساء وفروجهن.. خلفاء بني العباس ومن يوالونهم.

لقد كان الإمام يُطعمنا ويسقينا أطيب مطعم ومشرب.. وأجمل ما كان يسقينا إياه شراب عطر الرائحة.. شراب يجعلنا نرتفع بعقولنا فوق عقول البشر.. شراب ينمّي ذكاءنا وإدراكنا وذاكرتنا.. تذكرت الشراب فمددت يدي في رحلي وأخرجته فشربت منه حتى ارتوى دماغي.. كنت أشعر بالفخر.. لقد أصبحت مقاتلًا فذًا قويًا مخلصًا؛ لقد جعلني الإمام أقوى شيء في الدنيا.. فأردت أن أكون أقوى شيء في الآخرة.. وقد أوصلني الإمام إلى ذلك فدخلت الجنة.. وكان لدخولي فيها قصة عظيمة تذكرتها الآن.. دعني أحكيها لك تزجية للوقت.

قبل حوالي ثلاث سنوات من الآن.. في قرية قُرب نهاوند.. كنت أتابع ركب السلطان بعناية شديدة منذ أن انطلق من أصبهان.. كان في الركب وزيرٌ من

وزراء الدولة العباسية اسمه "نظام الملك".. سلجوقي من السلاجقة الذين سمح لهم خلفاء بني العباس بتقلُّد مناصب حاكمة في البلاد.. كان "نظام الملك" هذا هو هدفي.. لقد أعاق هذا الرجل تقدُّم دولتنا النزارية وعطَّل أهدافها السامية في تحطيم الخلافة العباسية.. وفجأة توقف الموكب.. ورأيت هدفي ينزل من على جواده.. ثم نزل الركب كلهم من على جيادهم.

تحلَّق الركب حول "نظام الملك" وكان يحدثهم في أمرٍ ما ويسمعونه باهتمام شديد.. يبدو أن فرصتي التي طال انتظارها قد حانت أخيرًا.. لو لم أفعلها الآن سأنتظر وقتًا كبيرًا قبل أن أتمكن منه.. أخفيت فرسي وخلعت عباءتي التي كانت تغطّي ملابسي ورأسي.. كانت ملابسي التي أرتديها تحت العباءة ملابس شحاذ.. ومسحت بالتراب على شعري وجعلته شعثًا.. ثم إنني تحسست خنجري المخفي تحت ردائي واقتربت من الركب بخطوات شحاذ.

- لقد قُتِل هاهنا ياسادة، في هذه القرية نفر كثير من صحابة رسول الله.. فطوبى لمن كان مسكنه هنا.. وطوبى لمن لحق بهم حيثما هم في عليين.

هذا الوزير الثعبان.. ماذا يعرف عن عليين حتى يتحدث عنها.. وهؤلاء الحمقى يستمعون له كما لو كان نبيًّا.. توجهت مباشرة إلى هذا الوزير الثعبان واصطنعت الذلة والمسكنة وقلت له :

- ياسيدي.. يظهر على محياك الطيبة والخير.. أعطني مما تجود به نفسك الطيبة.. أرجوك ياسيدي.
- لا تعطه شيئًا ياسيدي.. يبدو محتالًا بصحة جيدة.
- بل سأعطيه.. لقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أعطوا السائل وإن جاء على فرَس".. ورُوى عن عيسى بن مريم عليه السلام قوله "إن للسائل لحقٍ وإن أتاك على فرس مطوَّق بالفضة"

وظلّ يتحدث وينظر إليهم حتى أسكتته طعنة نجلاء من خنجري.. سكت على إثرها ونظر لي نظرة مذهولة.. ثم إن بعض الركب انشغل باحتضار الوزير وبعضهم أخرجوا سيوفهم لقطع رأسي.. لكن أوقفتهم كلمة من الوزير قالها قبل أن يموت :

- لا تقتلوا قاتلي فإني قد سامحته.

لم أنتظر لحظة واحدة.. تحولت ذلتي ومسكنتي في برهة إلى التفافة وانطلاقة سريعة بارعة، كنت واثقًا أنهم ليسوا بمُدرِكيها ولو حرصوا.. تذكرت هذه الواقعة وتذكرت عودتي إلى قلعة ألاموت بعدها واحتفاء الإمام المعصوم "الحسن الصباح" بي وبما حققته ببراعة.. ثم إنني نمت تلك الليلة فلم أستيقظ إلا وملكان يأخذان بيدي ويُدخلاني إلى جنة الخُلدِ.. الآن فهمت مقصد الإمام الأعظم لما كان يقول " فإن قتلتموه دخلتم الجنة.. وإن قُتلتم دخلتم الجنة أيضًا".

ظللت أجتر ذكرياتي حتى وصلت إلى هدفي.. القدس.. قصر الملك "أموري" الصليبي ملك القدس أيامها.. دخلت على الملك الصليبي وسلمته رسالة الإمام الأعظم.. كان فيها "إلى الملك العظيم أموري.. إذا أتتك رسالتي هذه فاعلم بأني من الموالين لك.. وإني أعرض عليك أن نوحّد القوى في مواجهة عدو مشترك يقض مضجعنا أنا وأنت.. الدولة العباسية الغاشمة المغرورة.. وإن أتباعي المخلصين على أتمّ استعداد أن يكونوا رهن إشارة قيادتكم الباسلة لفرسان الهيكل.. على أن يتم إلغاء الضريبة السنوية التي فرضها فرسان الهيكل علينا والتي مقدارها اثنا عشر ألفَ قطعة ذهبية فرضوها بعد أن قتل رجالي "كومتي دي تريبولي".. على أن يكون هذا بداية للتعاون فيما بيننا للقضاء على العدو المشترك.. والله ولي التوفيق".

وافق الملك "أموري" على التعاون.. يبدو أن الإمام لديه خطة رائعة من خططه التي لا تفشل أبدًا.. لأن الله أوحى بها إليه.. لم يكن هذا يعنيني كثيرًا.. كنت منشغلًا بفرحة قلبي بأن مهمتي قد تكللت بالنجاح.. ولما أعود إلى الإمام سأرى جنة من جنات عليين التي طالما حلمت بالارتقاء إليها.. ركبت على فرسي عائدًا إلى قلعة ألاموت.. وذهني يفكر في النعيم.. والأنغام.. وأنهار اللبن التي تستلقي على ضفافها الحور العين.. وفي الفاك..

- أتاني نبأ بأنكم لا تُقهرون يا فرسان نزار.

التفت بحركة سريعة متحسسًا خنجري.. رأيت فارسًا يرتدي عباءة مميزة تتوسطها علامة الصليب.. عباءة تغطي جسده ورأسه.. يمتطي حصانًا قويًا عليه عباءة الصليب نفسها.. أعرف هذا الزّي جيدًا.. كان فارسًا من فرسان الصليب.. فرسان الهيكل.. تحفزت حواسي القتالية كلها ونظرت له بحذر.. قال لي بصوتٍ غاضبٍ:

- إذن فأنتم تظنون أننا نحتاج إلى عون بضعة فرسان من ورق أمثالكم.. هل نسي زعيمكم الغبي نفسه؟

قلت له بلهجة قوية :

- اذهب من هنا أيها الصليبي القذر.. وكلمة أخرى عن إمامنا سأجعلك تتجرع دماءك.

رمى الفارس عباءته بعيدًا وهجم عليَّ هجمة سريعة رفع فيها سيفه وصهل فيها حصانه.. قفزت متخليًا عن حصاني إلى الوراء مبتعدًا عن سيفه اللامع ودرت حول نفسي دورة رميت فيها عباءتي واستللت فيها خنجري الذي رميته بحركة خاطفة لم يتوقعها ليستقر الخنجر في عنق حصانه الذي ارتفعت قوائمه في ألم.

نزل الفارس عن حصانه في بساطة بارعة ووقف أمامي باستعداد.. هنا رأيت وجهه لأول مرة.. كان أعورًا ذا ملامح قاسية كأنها الصخر.. قال بصوت مخيف:

- أخبر إخوانك في الجحيم الذي سأرسلك إليه أن الفارس "جاوتير مايزنيل" هو الذي أرسلك أيها الحثالة.

وركض ناحيتي بجسده المفتول ورفع سيفه الغاضب للمرة الثانية.. أزحت جسدي جانبًا بتوقيت مذهل لأبتعد عن ضربة سيفه وتدحرجت على الأرض بخفة أجيدها.. واستللت سيفي من حزامي.. ونظرت له بتحفُّز.. كان ينظر لي بسخرية لم أفهمها في اللحظة الأولى.. لكني فهمتها لما رأيته ينظر ورائي.. نظرت ورائي بسرعة.. كانت هناك عشرة عيونًا ساخرة تنظر لي وقد استل أصحابها سيوفهم من جيوبهم.. لم تكن عيونًا لأشخاصٍ عاديين.. كانت عيونًا لفرسان آخرين.. من فرسان الهيكل.

نظرت له مرة أخرى في غضبٍ.. لكنه لم يُمهلني.. كانت التفاتتي إلى الوراء كافية لأن يقطع المسافة التي بيني وبينه.. واللحظة التي أعدت فيها نظري إليه كانت كافية لأن يمسك بسيفه ويغرزه في صدري.. سقطت على ركبتي.. فرفع حذاءه باحتقار ودفع السيف المغروز في صدري لينغرز أكثر ويخرج من ظهري.

إن اللحظة التي تدرك فيها أنك ستموت الآن هي لحظة مخيفة جدًا.. تتوقف فيها عن رؤية أي شيء يدور حولك.. لأنها تكون مشغولة برؤية شيء آخر.. في البداية تُعرض عليك حياتك كلها بكل ما فيها ومن فيها في عرض مدته بضع ثوانٍ.. وبعد أن ينتهي العرض ويُسدَل الستار تبدأ في النظر حولك.. ثم تتحسس موضع طعنتك.. ثم تشعر شعورًا عجيبًا.. تستجمع نفسك وتقرر

أنك لن تموت.. لن تؤثر فيك كل هذه الدماء والآلام.. طالما أنك تتنفس فلن تموت.. لازلتُ راكعًا على ركبتي.. كان الفرسان يتحدثون بصوت عالٍ ويضحكون.. رفعت رأسي إليهم.. سأهزم الموت.. كل من ماتوا استسلموا له لكنني لن أفعل.

"فإن قتلتموه دخلتم الجنة.. وإن قُتلتم دخلتم الجنة أيضًا"

الجنة.. جنة الخلد.. القيان والغانيات والأنهار.. سأدخلها كما وعدني الإمام إذا قتلوني.. وهنا شعرت بضيق شديد في نفسي.. وبقبضة في قلبي.. ثم سعلت دمًا.. شهقت بكل ما أوتيت من عزم حتى أتنفس تنفُّسًا طبيعيًّا لكنني لم أقدر.. حاولت بكل عزم أن أطرد كل هذا الوهن عن جسدي لكني لم أقدر.. عرفت أنها نهايتي.. سأموت.. سأنام على جنبي على هذه الأرض وأموت.

وفعلا رقدت على جنبي ونظرت إلى المشهد المقلوب أمامي.. أقدام جياد.. تراب.. حشرة ما تمشي على الأرض.. ستحتفظ كل هذه الأشياء بحياتها بينما سأموت أنا.. سمعت صوت حوافر جياد فرسان الهيكل وهي تمشي مبتعدة ببطءٍ.. نظرت ناحيتهم.. بدأ أهالي المنطقة يقتربون مني.. أخيرًا.. أتمنى أن يُنقذني أحدهم.. اندفع بعضهم إليَّ وحاول أحدهم أن ينتزع السيف عن جسدي ببطءٍ ونجح في ذلك.. ثم أراحوني على أياديهم.. رأيت الكل قد تحلقوا حولي.. نظرت لهم بعين زائغة.. نظرت إلى وجوههم العربية المشفقة على حالي.. كيف هو شعورك وأنت ترى مئة شخص ينظرون إليك بشفقة وأنت تموت.. لكن من هذا الرجل هناك؟

من بين رؤوس الناس كنت أراه.. أسودا كان.. يمشي الهوينى ناظرًا إليَّ نظرة جامدة.. تابعته ببصري حتى خرج عن مجال حركة عيني ورقبتي وصار

وراني.. كان الناس يمسكون برأسي من حينٍ لآخر يربتون عليها ويطمئنونني.. ثم وضعوا رأسي على الأرض بهدوء حتى واجهت عيني السماء.. أرى رؤوسهم من من زاوية سفلية.. ثم برزت رأسه فجأة وسطهم.. ذلك الأسود.

كنت مخدوعًا يعرف يقينًا أنه مخدوع.. لكنه يكابر.. كنت أعرف أن شيئًا ما خطأ.. الإمام الأعظم.. جنة الخلد.. قتل علماء المسلمين.. مهادنة الصليبيين.. عدم الصلاة ولا الصوم ولا الحج لأننا وصلنا لمرحلة من القرب من الله أسقطت عنا كل التكاليف.. يقنعنا أننا متنا ويدخلنا جنة الخلد ثم يعيدنا من الموت متى يحلو له ويظن أننا نصدقه.. لا أنكر أنه اختلطت عليَّ الأمور أثناء وجودي في جنة الخلد تلك.. لكن عقلي لم يكن في مكانه.. كنت أشعر دائمًا أنني سكران أو طائر فوق الناس.. لقد أعطانا الإمام كل المتع والنساء وأسقط عنا كل الواجبات.. ياله من دينٍ رائعٍ ذلك الذي يدعو إليه.. وافق دينه هوانا وإن لم تتقبله عقولنا لكن كنا نرمي عقولنا وراء ظهورنا.

لن تكون لي جنة اليوم بل ستكون لي نارٌ يلفح لهيبها روحي.. يا إلهي إنما هي ساعة.. لو تؤخرني إياها أعود فيها إلى رشدي.. بل وسأقتل فيها ذلك الإمام بيدي.. ثم أظلمت الدنيا كلها ووجدتني كأن كياني كله يتحرك بسرعة غير طبيعية.. ثم فطنت إلى أن هذا ليس ظلامًا لكنه شيء وكأنه نفق من الظلام تتحرك روحي فيه.. ثم وجدتني فجأة أخرج من النفق إلى نور الأرض ثانية.. ونفس المشهد تراه عيني من زاوية سفلية.. رؤوس تنظر إلي في قلة حيلة.

أي عجب هذا.. اعتدلت على جنبي هاربًا من الزاوية السفلية الغير مريحة للرؤية والتي تظهر الناس كلهم وكأنهم عمالقة.. هكذا أفضل.. الناس لازالوا يتحدثون بأسى وينظرون إليَّ أو إلى الأرض.. لكن أحدهم يقترب مني.. عجوز.. كان على وجهه شبح ابتسامة ساخرة.. ظلَّ يقترب حتى صار عند رأسي..

تحول شبح الابتسامة إلى ابتسامة ساخرة كاملة ظهرت فيها أسنانه القليلة.. وشعيرات ذقنه المعدودة الطويلة وانشقت عيناه كعيني ثعبان.. اتسعت عيناي عن آخرهما.. ونظرت بعيدًا.. خفت النور في المكان كله وكأن سحابة سوداء حجبت نور الشمس.. إنه الموت.. إنه الموت يا إلهي إنه الموت.

أخذت أتلوى على الأرض محاولًا إخفاء وجهي والناس من حولي يتبرعون بتعديل وضعي ثانية ظنًا منهم أنهم يساعدونني بشكل ما..

(قل لا إله إلا الله)..

ظلَّ شيء ضخم مرَّ على عيني فنظرت في كل مكان بذعر ولم أجده..

(أيها الفارس قل لا إله إلا الله). .

وجه العجوز الثعبان يبدو لي بين وجوه الناس وكأنه الوحيد المسلَّط عليه الضوء.. ويُخرج لي لسانه المشقوق.. من هذا ياربي هل هو ملك الموت؟ يارب أرجوك أعدني.. لا تفعل بي هذا. .

حاولت أن أُخرج صرخة بكل قوتي لكنها خرجت سعالًا. . فلينقذني أحدكم.. أو ليقتلني أحدكم.. لا أريد أن أرى ما أنا مقبل على أن أراه.. فليفقأ أحدكم عيني.. فلتقرأوا عليَّ قرآنا ربما يشفع لي.. افعلوا أي شيء. .

بدأت عضلات معينة في جسدي تتشنج لتجبرني على اتخاذ وضع معين.. انضمت ساقاي على بعضها وتقوس ظهري قليلًا وتشنجت رقبتي إلى اليسار.. شعرت باختناق داخلي لا علاقة له برقبتي.. اختناق في الصدر.. بدأت أسمع دقات قلبي بوضوح.. ثم رأيته.. بل رأيتهم.

كانوا ثلاثة.. أحدهم هو ذلك الأسود الذي رأيته يمر بين الناس.. والاثنان الباقيان أحدهما أسود كأخوه والآخر يختلف عنهما في كل شيء.. كنت أرى

ملائكة.. ملائكة حقيقيين.. ليسوا كالملائكة البشريين الذين رأيتهم في جنة "الحسن الصباح".. يالهذا الاسم القميء.. كم أكرهه.

إن ما حدث بعد ذلك لهو مما لا يُحكى ولا يُقال.. اقتُلعت روحي مني كأنما تقتلع سفودا مسننا من صوف مبلول.. يشدها ثلاثتهم بأيادٍ غليظة شديدة.. ووَجدتُ من روحي رائحة منتنة كأنها القبر.. يا إلهي هل أنا بهذا السوء.. إن الألم الذي شعرت به لم يكن يراه أحد.. فقط وجدوا من وريدي انقطاعًا عن النبض ومن عيني انقطاعًا عن الحياة.. لم يرَ أحدهم شيئًا.. ورأيتُ روحي وهي تخرج من جسدي المحاط بالناس.. تخرج وترفعها الملائكة ويضعونها في خرقة سيئة.. ثم رأيتني أرتفع بسرعة حتى اختفى كل أثر لكل موجود من موجودات الأرض.. وحلت محلَّها موجودات أخرى لم ترها عين بشر من قبل.. موجودات لا ينبغي أن يعرفها بشر.. إلا إذا ماتوا.

تمَّت

***

لقد بدأت الساعات الباقية لي في هذا العالم تقل.. وبدأت دقات الساعة تقول لي كلامًا مخيفًا.. لكن لابأس.. لازال أمامنا وقت كافٍ.. لقد كانت تلك المواجهة من المواجهات النادرة التي ذكرتها كتب التاريخ بين أخطر نوعين من أنواع الفرسان.. فرسان الهيكل.. وفرقة الحشاشين أخطر فرق الشيعة على الإطلاق.. الفرقة التي اتخذت من قلعة "ألاموت" مقرًا رئيسيًّا لها.. بالإضافة لسبعين قلعة أخرى في فارس والعراق والشام.

فقط لو كنت تعيش أيامها ونظرت إلى قلعة "ألاموت" من أي زاوية تشاء.. فسترى منظرًا أسطوريًا.. كانت القلعة تبدو وكأنها مأوى الجن.. فهي قلعة على ارتفاع ستة آلاف قدم تحيط بها الغيوم التي تتداخل مع أبراجها.. بلغ من ارتفاعها أنه يستحيل أن تصل إليها قذيفة منجنيق.. ويستحيل أن يزحف إليها جيش من الجنود إلا أن يصعدوا إليها في ممرات جبلية ضيقة جدًّا تَضطرهم للصعود رجلًا وراء رجل.. قلعة كبيرة لا يذهب ظنك أنها مكونة من مبنى واحد.. بل هي مكونة من عشرات المباني.. قلعة كان "الحسن الصباح" مؤسس الحشاشين يتخذها سكنًا له.. قلعة صمَّمَت بداخلها جنة غناء يُدخل فيها أتباعه.

لم يغادر "الحسن الصباح" هذه القلعة في حياته أبدًا منذ أن استولى عليها أول مرة.. ولم يُر خارجًا منها حتى إلى الجبال التي حولها.. كان يقضي معظم وقته في التخطيط بالداخل.. وفي الدراسة والتجارب على النباتات التي كان خبيرًا بها وبأنواعها السام منها والمخدر.. وقد ابتكر خلطة مخدرة خاصة جدًّا كان يمزجها بالخمر بكميات مدروسة ويعطيها لأتباعه يشربونها فتغيب منها عقولهم فيسيرهم كيف يشاء.

وبلغ من قوته أنه كانت هناك نقود خاصة مطبوع عليها اسم قلعة "ألاموت".. أي أنه كون مجتمعًا مستقلًا.. كانت معتقداته شديدة

الانحراف.. وأولها عقيدة القتل باسم الدين.. وهي عقيدة خاطئة بالطبع.. فالقتل دفاعًا عن الدين هو أشرف شيء وأغلى شيء ولكن الاغتيال باسم الدين هو جريمة.

استخدم الحشاشون طريقة الاغتيالات بدلًا من طريقة الحروب.. وقد حاولوا اغتيال "صلاح الدين" ثلاث مرات باءت كلها بالفشل.. وقد انتهى عهدهم لما نزل المغول من الشرق نزول الأكلة المفترسين الذين أبادوا كل شيء في طريقهم.. أبادوا فرقة الحشاشين عن بكرة أبيهم.. ومن تبقى منهم بعد ذلك اقتلعه "الظاهر بيبرس" اقتلاعًا.

ولعلك قد سمعت بلعبة الفيديو الشهيرة ***Assassins Creed***.. أو عقيدة الحشاشين.. وهي مقتبسة من فرقة الحشاشين الحقيقية بأزيائهم وأسلحتهم ومهاراتهم وشرورهم.

أعرف أن الحديث عن العقائد المنحرفة يورث السم في البدن.. ولقد انتهت بهذه الحكاية حكاياتنا عنهم.. وانتهت الأسقام والأوجاع.. ولننظر إلى أوراقنا في لعبتنا التي أرفض حتى الآن أن أذكر لك اسمها.. لدينا هذه المرة ورقتين فقط.. لكنهما يكفيان جدًا لفهم مانحن مقبلون على كشفه.

الورقة الأولى هي ورقة الفامباير أو مصاصي الدماء.. وعليها صورة بشعة لمصاص دماء مخيف..

والورقة الثانية هي ورقة الكونت "دراكولا".. وعليها صورة الكونت دراكولا وهو يرتدي عباءته الشهيرة ويبتسم في سخرية مخيفة ووراءه تبدو قلعته المظلمة.

اقرأ يا "دراكولا"..

1450 بعد الميلاد

- اقرأ يا "دراكولا" يا عزيزي هيَّا ورائي.. (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. وهو ألد الخصام).

ردد "دراكولا" وراءه في ملل ونطق أعجمي.. نظرت إلى وجهه.. لا أدري لماذا لا أرتاح لهذا الفتى..

- انتبه معي هنا.. فيم يسرح عقلك الصغير.. هيَّا ردد (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها)

من السيء أن يكون "دراكولا" أخاك.. من السيء أن ينام "دراكولا" بجانبك.. من السيء أن..

- (ويهلك الحرث والنسل.. والله لا يحب الفساد)

ظلَّ "دراكولا" يردد الآيات والشيخ يقرأها.. واضح أن "دراكولا" يكره الشيخ.. هذا ليس غريبًا.. فأخي يكره الجميع.. يكرهني ويكره هذا المكان ويكره القرآن. . بالإضافة إلى أن هذا المشهد جعلك ترفع حاجبيك في دهشة ثم تخفضهما في سخرية؛ ظانًا أنني أحكي قصة كوميدية.. لا ياصديقي.. ها أنا ذا.. "رادو" بشحمي ولحمي أجلس في هذا المسجد وهاهو أخي "دراكولا" بشحمه ولحمه يجلس بجانبي يردد آيات القرآن والشيخ يصرخ فيه وقد بدأ كل هذا الغباء يضايقه.

دعني أحكي لك الحكاية منذ البداية حتى يزول عنك العجب.. إن أبي كان حاكمًا على مملكة والاكيا.. وقد أطلق عليه شعب والاكيا اسم "دراكول" وتعني بالرومانية التنين.. هذا لأن والدي كان عضوًا مؤسِّسا في تنظيم سري مريب من الفرسان يدعى تنظيم التنين.. وقد وضع أبي رمز التنين هذا على العملة في والاكيا وعلى الدروع الحربية أيضًا.. فشاع بين الناس تسميته التنين.. "دراكول" أو دراجول كما ينطقها الأهالي في والاكيا.

- سيد "دراكول" إنها رسالة من السلطان العثماني يا سيدي.

- هاقد بدأت المشاكل.. وكل ذنبنا أن والاكيا بين مطرقة العثمانيين وسندان الهنغاريين.. يريدون الفتك ببعضهم البعض.. وفي سبيل هذا فلتذهب والاكيا إلى الجحيم.

قرأ "دراكول" رسالة السلطان باهتمامٍ شديدٍ.. إن الدولة الإسلامية تفرض عليه الجزية لتحميه من الهنغاريين وتشترط عليه أن يمدهم بالمقاتلين لو احتاج الجيش المسلم إلى المقاتلين.. وتطلب منه سرعة الرد والبرهان على الولاء.. وقد كان البرهان الذي اختاره والدي غريبًا جدًا.. لقد أرسلني أنا وأدعى "رادو" وأخي الأكبر "دراكولا" إلى أدريانوبل أو إدرنة.. معقل السلطان العثماني المسلم.

- تعلم من أخيك "رادو".. لقد حفظ عشر سور حتى الآن.. ولم تحفظ أنت آية واحدة يا "دراكولا".

كان أقوى برهان على الولاء.. فيستحيل أن تهاجم دولة وقد أرسلت فلذات كبدك إلى سلطانها.. وجدنا أنفسنا أنا و"دراكولا" وعمرنا لم يتجاوز الثانية عشرة غرباء في بلاد غريبة.. ومبان غريبة.. وألبسة غريبة.. وعمائم طويلة.. ولحى.. وقصور.

كان أخي كارهًا لكل هذا السخف.. ورغم أن السلطان المسلم كان يهتم بنا جدًا ويعلمنا الفروسية والقتال والعلوم بكافة أنواعها وخاصة الإسلامية منها إلا أن "دراكولا" لم يكن سعيدًا.. كان يشعر أنه مجرد أسير.. وأن هؤلاء أعداؤه يحاولون أن يسقونه بتعاليمهم وثقافتهم التي يكرهها ولا يستسيغها.. لكن بالنسبة لي كان الوضع مختلفًا.

- ما اسمك أيها الفتى الظريف ذو الشعر الذهبي ؟

- اسمي "رادو" وأنت؟

- أنا "محمد بن مراد" ابن السلطان.

لم أكن أعرف أنني سأعيش طفولتي مع "محمد بن مراد".. الرجل الذي عرفه الناس بعد ذلك بسنوات بمحمد الفاتح.. الفارس العظيم الذي فتح القسطنطينية.. كنت أنا و"محمد الفاتح" صديقين عزيزين.. وكلما اشتدت صداقتي معه قوة.. اشتدت عداوتنا أنا وهو مع "دراكولا".. إن "دراكولا" و"محمد الفاتح" لم يكونا يطيقان بعضهما منذ الصغر رغم أنه قد فُرِضَ عليهما أن يعيشا طفولتهما معًا.. وأن يتدربا معًا ويتعلّما معًا.. لم يكن هذا غريبًا أبدًا.. فأحدهما كان فارسًا حقيقيًا وكان الآخر شيطانًا حقيقيًا.

- هيًا ارمِ سهمك يا "رادو".. ارمِ سهمك .

رميت سهمي فأصاب منتصف اللوحة الدائرية.. يالبراعتي منذ صغري.. ضربت كفي في كف "محمد الفاتح" ووقفت بجانبه سعيدًا أنني اقتربت من مهارته الفطرية.

- دورك يا "دراكولا".. هيًا ارمِ سهمك.

صوَّب "دراكولا" سهمه ناحية اللوحة الدائرية.. ثم حوَّل قوسه فجأة ناحيتي أنا و"محمد الفاتح".. ونظر لنا بغلٍ.. واتسعت عيناي في رعب.

- ماذا تفعل يا "دراكولا".. هل جننت؟

شد "دراكولا" سهمه وقوسه مصوَّب إلينا ثم أطلقه فجأة.. لم يطلقه ناحيتي.. بل حوَّله في الثانية الأخيرة إلى اللوحة.. وأصاب سهمه منتصف

الهدف بالضبط.. شعرت أنه كان يتمنى لو أن هذه اللوحة هي قلب "محمد الفاتح".. أو ربما قلبي أنا.

ست سنوات مضت ونحن على هذه الحال.. كبرنا وأصبحنا شبابًا يافعين.. وها نحن نتسابق ثلاثتنا على جيادنا العربية الأصيلة بكل قوة.. هل ترى كيف أصبحت أشكالنا الآن؟ لقد كان شكلي مميزًا جدًا.. كنت أمتلك شعرًا ذهبيًا فاتحًا جدًا.. حريريًا طويلًا ينحدر إلى أسفل كتفيَّ لا تمتلكه أجمل فتيات إدرنه.. ووجها وسيمًا وصوتًا رجوليًا مميَزًا.. بينما كان "دراكولا" أسود الشعر أجعده.. ينحدر شعره إلى أسفل منكبيه أيضًا.. لكن كان له شارب كبير يقف عليه الصقر كما يقولون وعينان حادتان كأنهما عينا الصقر الذي كان سيقف على شاربه.. "محمد الفاتح" كان ذا لحية صغيرة مدببة وشعر بني وأنف طويل وعينين تشعان ذكاء وفروسية.

ثم أتى الخبر الذي حرك كل هذه المشاهد البطيئة.. لقد توفى أبي "دراكول" فجأة في والاكيا.. مؤامرة دبرها له البويار.. وهي كلمة تطلق على طبقة النبلاء في بلادنا والاكيا.. نزل علينا هذا الخبر ونحن في أشد فترات الدولة العثمانية انشغالًا.. كنا على استعداد وتخطيط لفتح أكثر المدن حصانة في ذلك الوقت.. القسطنطينية.. وأنا أتحدث بكلمة (نحن) لأنني أصبحت مسلمًا.. بل فارسًا مسلمًا.. لكن "دراكولا" بقى على دينه.. أرسل السلطان محمد الفاتح "دراكولا" إلى والاكيا ليصير حاكمًا لها خلفًا لأبيه.. ويكون كما كان أبوه تابعًا للسلطان العثماني ومؤتمرًا بأمره.. أما أنا فقد آثرت البقاء هنا.. آثرت أن يكون لي شرف المشاركة في الفتح الكبير لقسطنطينية.

كانت وليمة عظيمة في والاكيا.. وليمة كان المضيف فيها هو الكونت "دراكولا".. والضيوف فيها هم أكابر البويار.. الذين أكلوا حتى ثملوا وخرج الطعام من أنوفهم – تعبير شعبي في والاكيا – سألهم دراكولا بهدوء :

- قولوا لي أيها النبلاء العظام.. كم حاكما حكم والاكيا عبر تاريخها؟

قال بعضهم عشرة حكام.. وقال بعضهم اثنا عشر حاكمًا.. بل ثلاثة عشر حاكمًا ربما.. قال دراكولا بثورة شيطانية فجأة :

- هذا لأنكم خونة.. تأكلون لحم الحاكم قبل أن يتم سنتين من حكمه.. كم سنة قررتم أن تمنحوني أيها البويار ؟

في اللقطة التالية كان حُرَّاس القصر يهجمون على البويار من كل صوب.. يضربون بعضهم ويقتلون آخرين بقسوة.. ولم يكن "دراكولا" يشاهد من بعيد إنما أخرج سيفه وضرب أعناقًا صار نصله بعد ضربها يقطر حمرة.. بقي الكثير منهم أحياء.. نظر لهم "دراكولا" بعيون متسعة غاضبة وقال :

- خذوهم إلى القلعة.. ليعملوا كتفًا إلى كتف مع الفلاحين في تشييدها.

ثم قال بلهجة ذات مغزى:

- وليعملوا فيها من الجهة الشمالية.

الجهة الشمالية للقلعة هي الهاوية.. هاوية على ارتفاع ألف قدم.. كل من أرسله "دراكولا" هناك من البويار ماتوا.. بعضهم مات من الجوع.. أو من الإنهاك.. وبالطبع رماهم كلهم في الهاوية.. ثم إنه شنَّ حملة قاسية جدًا لاحق فيها كل البويار الساكنين في مملكة والاكيا.. نساؤهم وأطفالهم وشيوخهم.. كانت إبادة عرقية.. تعدت العروق إلى أصغر شعيرة بويار دموية تنبض في جسد أحدهم.. وبدأت أنياب "دراكولا" في الظهور.

على الجانب الآخر كنت أنا أقاتل في القسطنطينية.. كان "محمد الفاتح" حقًا كما تصفه كتب التاريخ.. داهية حقيقية.. إن دهاء الفرسان يختلف عن أي دهاء آخر.. دهاء لا خبث فيه.. دهاء صاف.. كانت ملحمة تاريخية ليس

بوسعي ذِكر تفاصيلها الآن.. لكننا حققنا هدفنا في النهاية.. وصارت القسطنطينية لنا.. بل صارت عاصمة المملكة الإسلامية العظيمة.

"لتفتحن القسطنطينية.. فلنعم الأمير أميرها.. ولنعم الجيش ذلك الجيش"

قال لي الأمير الفاتح في الميدان ناظرا إلى رأسي :

- "رادو" هل تضعون الحناء على شعور الرجال في والاكيا ؟

أمسكت بشعري الذهبي في استغراب ثم ابتسمت بفهم قائلًا :

- بل كنت أضع الحناء لسيفي ياسيدي.. لكن يبدو أن بعضا منها تناثر على رأسي.

كان رأسي مضرجا بدماء الأعداء.. لكن رأسي لم يكن مهما.. كان المهم هو الخبر الذي جاءنا به مرسول الدولة.. لقد أعلنت والاكيا التمرد على السلطان.. لقد تمرد "دراكولا".. فعلها وتمرد.. لم يُرد السلطان "محمد الفاتح" أن يعكر صفو انتصاره بهذا الخبر.. لذا فقد سكت.. وأنا أعرف الفاتح عندما يسكت عن مثل هذا.. يبدو أن الأيام تدخر لنا معارك جديدة.. معارك مع أولي القربى.

لكن "دراكولا" كان يفعل شيئًا آخر في والاكيا.. لقد تعدى مرحلة إظهار الأنياب وبدأ في مرحلة إخراج القرون والمخالب.. دعني آخذك إلى والاكيا لتشاهد بنفسك..

هناك خمسة رجال يلتفون على ما يبدو أنه رجل يصرخ.. وهم يتحركون في عنف وكأنهم يفعلون فيه أمرًا ما.. هاقد ابتعدوا عنه قليلًا وأمكنك أن ترى ما يفعلوه.. لقد ربطوا حبلًا في يده اليمنى وحبلًا في اليسرى.. وثالثًا في قدمه اليمنى ورابعًا في اليسرى.. وقام أضخم اثنين منهم بتثبيته وتراجع ثلاثة

منهم.. هل ترى؟ إنهم يربطون أطراف الحبال في جياد.. والرجل يصرخ مستنجدًا بلغة لا تفهمها.. ثم إنهم وجهوا رؤوس الجياد إلى الاتجاهات الأربعة التي تشير إليها أطراف يديه ورجليه المتباعدة.. ثم إنهم وخزوا الجياد فتحركت ببطء ليرتفع الرجل عن الأرض صارخًا.. وظلت الجياد تتحرك تارة وتقف تارة والرجل يتمزق باكيًا.. ثم إنهم ضربوا الجياد بالسياط فثارت وتحركت بعنفٍ سريعٍ.. لتتمزق أطراف الرجل الأربعة وتجري كل منها مع جوادها.

وهاهو رجل آخر يمسكه رجلان مفتولا العضلات ويرغمانه على الركوع وهو يصرخ.. ويأتي رجلٌ آخر ماسكًا وتدًا خشبيًا طويلًا مسننا ويطعنه به في دبره طعنه لا تقتل.. يحاول الرجل أن يفلت بلا جدوى.. ثم يقيدون يديه ورِجليه بطريقة معينة إلى الوتد.. ثم يتعاون الثلاثة رجال على رفع الوتد وتثبيته في فتحة بالأرض.. هاهو الرجل أعلى الوتد وكأنه جالس عليه.. ويُترك على هذه الحال حتى يموت.. ليست المشكلة في الموت من الجوع والعطش.. بل المشكلة في أن هذا الوتد ينغرز ببطءٍ شديدٍ في أحشاء الرجل ولا يقتله.. فقط يعذبه من الألم.. ثم يموت الرجل لما يخترقه الوتد ويخرج من جسده أو لما يموت من الألم.. أو من انفجار الأحشاء.. هذا الوتد الذي رأيته الآن هو ما اصطُلح على تسميته بالخازوق.. العقاب الذي اشتهر به "دراكولا" في كتب التاريخ.

ويبدو أن "دراكولا" قد أعجبته حكاية الخازوق هذه فأخذ يتفنن فيها تفننًا عجيبًا؛ فمرة يغرز الوتد في فم أحدهم ويعلقه على الوتد مقلوبًا.. وتارة يعلق النساء عليه من فروجهن.. وتارة يغرزه في البطون.. وتارة يغرزه في رقبة طفل رضيع.. لقد كان أخي مختلًا أو ربما شيطانًا حقيقيًا.. وبلغ من إعجابه بهذه الطريقة إلى أن جعلها هي العقاب الرسمي لأي خطأ يُخطئه أي

فرد من أفراد الشعب.. فمن يسرق يخوزقه.. ومن يكذب يخوزقه.. ومن يضرب أحدًا يخوزق الضارب والمضروب.. بل إنه وصل إلى مرحلة أبعد من هذا.. دعني آخذك إلى هذا المشهد.

قلعة "دراكولا".. المكان المجهز بكافة وسائل التعذيب التي سأحكي لك نبذات عنها فيما بعد لو أسعفتني ذاكرتي.. عرش "دراكولا".. يجلس عليه شيطان آدمي أمامه طعام وشراب أحمر يبدو وكأنه خمر.. بجانبه كان يجلس أحد النبلاء البولنديين يأكل معه.. أمامهما الكثير من الضحايا المعلقين على الخوازيق يتألمون.. "دراكولا" يبدو مستمتعًا جدًّا بصراخهم وكأنه يسمع ألحانًا عذبة.. أما البولندي فوضع يده على أنفه مشمئزًا من الرائحة الكريهة لبعض الجثث التي ماتت وتعفنت وأبقاها "دراكولا" على حالها ورائحتها.. التفت إليه "دراكولا" وقال :

- مابك؟

- ياسيدي لا أستطيع تحمُّل رائحة العفن هذه ؟

- ابأس لابأس سأعالج الأمر.

أشار إلى جلاوزته (رجاله) فهجموا على الرجل هجمة رجل واحد.. ثم أمرهم أن يرفعوه على خازوق أطول من كل الخوازيق المعروضة.. صرخ الرجل النبيل البولندي حتى تحول صراخه إلى بكاء لمَّا وخزوه بالوتد في دبره ورفعوه وثبتوه.. نظر إليه "دراكولا" قائلًا:

- أنت الآن في الأعلى أيها الصديق العزيز حيث لن تصل إليك الروائح الكريهة.

ثم شرب "دراكولا" من الكأس الحمراء التي أمامه والتي يتضح لك لما ترى انسياب السائل فيها أنه ليس خمرًا.. بل هو دم.. دم طازج.. دماء ضحاياه

ممزوجة بالخمر.. شرابه المفضل.. الذي كان يحب أن يشربه على آهات المعذبين المسلوخين أمامه كالذبائح والتي تقع على أذنه موقع زقزقة البلابل.. ويحب الطريقة التي يسيل بها الشراب من شفتيه إلى ذقنه.. كان هذا هو "دراكولا"

كان يضع قدورًا ويطهو الناس فيها أحياء.. بل ويأمر جلاوزته أن يقَطعوهم بالسيوف وهم داخل القدور أحياء يصرخون.. المرأة الكسولة كانت يدها تقطع وتثبَّت على خازوق مستقل لتكون عبرة لكل النساء.. بل إنه نادى ذات مرة كل فقراء البلدة وشيوخها وأطفالها إلى وليمة عظيمة في سابقة استغرب لها الكل.. وبعد الوليمة قتلهم كلهم.. لأنه لا فائدة تُرجى منهم.. إنما هم يُرهقون الدولة.. ودعني أكتفي بهذا القدر من المصائب.. لأنني لو ذكرت كل ما علِمته لملأت مجلدًا مستقلًا.. باختصار.. لم يشهد العالم شخصية مختلة مثل هذا من قبل ولا من بعد.. والمصيبة أن هذه الشخصية المختلة كانت أخي.

لم يمضِ وقتٌ طويل حتى كان السلطان محمد الفاتح في طريقه إلى والاكيا.. بجيش يسد الأفق.. وكنت معه جنبًا إلى جنب.. في طريقنا إلى "دراكولا".. ظلَّ الجيش يزحف حتى وصل إلى نهر الدانوب.. وكنا نرى جنود "دراكولا" على الجهة الأخرى من النهر.. وكعادة "محمد الفاتح" وكما علمه "محمد" النبي أرسل مبعوثين اثنين من أفضل الرجال إلى الخصم لتسوية الأمور سلميًا.. فإما الجزية وإما الحرب.. وهذا ما حدث مع المبعوثين .

دخل المبعوثان المسلمان على الحاكم "دراكولا" في قلعته.. وكان قد أزال كل الخوازيق لغرض في نفسه..

- السلام عليكم ياحاكم والاكيا.. جئتك من السلطان بكتاب يقول فيه.. أسـ..

- انزعا غطاء رأسيكما.

توقف المبعوث عن الكلام في دهشة.. قال "دراكولا" بغضب:

- انزع غطاء رأسك أنت وهو.. ماهذه العمائم الطويلة السخيفة؟

- إنها تقليد عثماني أيها الحاكم.. وعظمة تقاليدنا أهم من مزاجك المتعكر.

- لا بأس.. سأبقيه لكما.. كما تشاءان.

وأشار إلى جلاوزته المجانين الذين أحاطوا بالمبعوثين في سرعة وأمسكوا بعمائمهم في إحكام ثم قاموا بأمر شديد الغرابة والوحشية.. جاءوا بمسامير صغيرة رفيعة... وقيدوا المبعوثين.. ودقوا المسامير في عمائم المبعوثين لتخترق رؤوسهم وتسيل دماء رؤوسهم على أعينهم.. قال لهم دراكولا :

- هكذا ستبقى عمائمكم على رؤوسكم إلى الأبد.. اذهبوا إلى السلطان "محمد الفاتح" وأخبروه كيف أن "دراكولا" لم ينسَ التقاليد العثمانية.. وخاصة المتعلقة منها بإبقاء العمائم على الرؤوس.

عاد المبعوثون ودماؤهم المندهشة تسيل على وجوههم.. وحكوا ما حدث معهم للسلطان الذي غضب غضبة لم أره قد غضبَ مثلها في حياته.. أمر السلطان أن تتحرك سرية قوامها عشرون ألف رجلٍ لتخترق جيوش العدو.. أي ما يساوي ثلاثة أضعاف جيش "دراكولا".. وكان قائد الجيش فارسًا شجاعًا مسلم اسمه "حمزة".. أفضل فرسان جيش السلطان في ذلك الوقت.

وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها أحد.. لقد انهزم جيش السلطان هزيمة نكراء لم ينهزم مثلها من قبل.. ولم نرَ إلا "محمد الفاتح" يقف بجواده على قوائمه الخلفية ثم ينطلق به كالسهم وانطلقنا كلنا خلفه.. بجيش قوامه عشرون ألفًا آخرون يملؤهم الغضب وشهوة الانتقام.

وهانحن نخترق نهر الدانوب.. يالها من عزة تلك التي كنا فيها.. يالروعة هذا الدين.. لقد عادت إلي ذكريات قتالي في القسطنطينية.. أن تركض بجوادك بين عشرين ألف فارس مسلم ترك الدنيا وراءه ولم يعد يرى إلا الشهادة هو أمر لن أقدر أن أوصله إلى مخيلتك أبدًا.. أمر عظيم.. وهانحن ندخل من أبواب المدينة.. وهانحن..

شعرت بحركة غير طبيعية في مقدمة الجيش.. وكنت أنا في أوسط الجيش.. رأيت الجمع قد تباطأت سرعته وسمعت أصواتًا تبدو وكأنها نحيب في مقدمة الجيش.. لم أفهم ما الأمر.. لماذا توقَّف الرجال؟ اخترقت الصفوف بسرعة حتى اتضحت لي الصورة.. الصورة التي جعلت عينيَّ تتسعان حتى كادتا أن تخرجا من مكانهما وتذهبان بعيدًا احتجاجًا على هذا الهول الذي ترونه.. وتوقف جيش السلطان بل توقف السلطان نفسه بكل شجاعته.. انظر أمامك.. ألا ترى ما نراه؟

إنها غابة كثيفة.. بل غابتان كثيفتان.. غابة عن يميننا.. وغابة عن شمالنا.. غابتان جذوعهما أوتاد خشبية.. أغصانهما أياد وأقدام بشرية حية وميتة.. أوراقهما أجساد مخوزقة على الأوتاد. . أجساد خرجت منها أرواحها أو لم تخرج.. أجساد تنظر لنا بأعينها وتقول الله أكبر.. وكان للغابتين صوت.. صوت آهات ونحيب.. وصوت يذكر الله.. إنها السرية التي أرسلها محمد الفاتح.. لقد وضعهم الشيطان جميعًا على الخوازيق.. عشرة آلاف وتدًا عن يميننا وعشرة آلاف عن شمالنا.

توتر الجيش.. تعالت صيحات البكاء على الأهل أحيانًا أو على الرفاق.. أو على إخوة مسلمين أو على الإنسانية.. وقف "محمد الفاتح" مذهولًا.. وجعل يتذكر طفولته مع "دراكولا".. ذلك الطفل الحقود الذي كان يناوشه ليل نهار.. الآن لم يعد طفلا.. بل صار شيطانًا رجيمًا.. يناوشه أيضًا.. نظر إلى ناحيتي.. كيف أنجبتكما بطن واحدة.. كيف رباكما أب واحد.. كيف صار

أحدكما فارسًا مسلمًا وصار الآخر ماردًا من مردة الجحيم.. نظر "محمد الفاتح" إلى جيشه.. لقد انهارت كل جذوة حماس بداخلهم.. التفت "محمد الفاتح" لأول مرة في عمره بجواده لجهة العودة وقال :

- ليس اليوم يوم زحفنا.. لكن بحق هذه الأرواح الطاهرة وبحق كل قطرة دماء.. سنأتي برأس هذا الشيطان على وتد نضعه في منتصف القسطنطينية يرميه صبيانها بالحجارة.

والتفت جيش المسلمين عائدين من حيث أتوا.. لم تكن الحرب هذه المرة مع حاكم عادي.. لقد كانت مع "دراكولا".. الشيطان.

كان مستحيلًا في ذلك الوقت أن تفعل ما فعلت بالمسلمين وتنجو بفعلتك.. كان "محمد الفاتح" يجهز جيشًا قوامه ستون ألف رجل.. مليء بالخيول والمدافع والغضب.. وجعلني أنا على رأس هذا الجيش قائلًا:

- اذهب يا "رادو" وانتني برأس أخيك.. إن عرش والاكيا لم يُخلق لتعتليه الشياطين.. إن عرش والاكيا قد خُلِق من أجلك أنت.
- سآتيك به ياسيدي قبل أن تجف دماء شهدائنا في والاكيا.

وانطلقتُ على رأس ستين ألف رجلٍ إلى والاكيا.. وفي هذه المرة سمع "دراكولا" بخبرنا وبعددنا ففعل شيئًا عجيبًا؛ ترك عاصمة والاكيا واتخذ طريقًا إلى بوينار.. وجيشنا يطارده بغضبٍ.. العجيب أنه كان يحرق مخازن الحبوب والطعام ويسمم الآبار في كل مدينة يدخلها ليتركنا بدون مؤونة.. فجيوش تلك الأيام كانت تزحف على معدتها.. أي أنها كانت تعتمد في الإطعام على المدن التي تدخلها.. لكن هذا لم يفت في رجال كان الذكر طعامهم وشرابهم.. طاردنا "دراكولا" لمدة طويلة جدًا.. ودخلنا في عدة معارك مع جيوشه.. فزنا باثنتين وخسرنا في ثلاث.. كان كالشيطان يهاجم في آخر الليل.. لكننا استبسلنا حتى حاصرناه تمامًا في قلعته في بوينار..

وانطلقت أنا وورائي جميع الرجال لنحطم بحوافر جيادنا أبواب قلعته.. ونزلت من على ظهر جوادي وأخرجت سيفي من غمده وجعلت أبحث عن الرأس.. رأس الشيطان.

قال لي "دراكولا" وكان يقف في ساحة خارجية تتوسط قصره :

- خنت بلادك يا "رادو" والبسوك عمتهم الطويلة الخاوية ؟
- بل عرف قلبي طريقًا تاه عنه سنين طوال.. طريق تقع في نهايته رأسك.

ورفعت سيفي كما ترفع الفرسان سيوفها.. لأجد "دراكولا" يرمي بسيفه بعيدًا ويفعل آخر شيء توقعته في تلك اللحظة.. قفز في بئر بمنتصف الساحة.. أسرعت إلى البئر لأنظر بداخله في غضب لأرى "دراكولا" ينظر لي بسخرية ثم يركض هاربًا في طريق أسفل البئر.. عزمت على اللحاق به لكنني رأيت رجاله قد أتوا في الأسفل وأوقدوا نارًا عظيمة ارتفع لهيبها إلى أعلى البئر حتى كاد أن يلفح رأسي.. كان هذا نفقا سريًّا من أنفاقه التي عُرف لاحقًا أنه قد بناها في كافة قلاعه.. لقد هرب "دراكولا".. هرب وترك لنا والاكيا.

هرب "دراكولا" إلى هنغاريا ليطلب الدعم من ملكها.. ولكن ملكها بدلًا أن يقدم له الدعم قام بأسره وسجنه في هنغاريا.. وظلَّ مسجونا سنينَ طويلة.. وأصبحت أنا أميرًا على والاكيا حكمت فيها بالعدل وجعلت شعب والاكيا ينسى كل ما فعله به "دراكولا".. حكمت والاكيا تسع سنوات كاملة.. تزوجت فيها امرأة مسلمة وأنجبت طفلة جميلة مسلمة هي "ماريا".. ثم أتاني أجلي وخرجت روحي إلى حيث مستقرها.. ومن جاء بعدي لحكم والاكيا كان رجلًا خارجًا من سجن سنين طوال في هنغاريا.. رجل يدعى الشيطان.. "دراكولا".

شهر واحد فقط حاول فيها الشيطان أن يُعيد أسطورة حكمه في والاكيا.. شهر واحد انتهى برأسه مقطوعة على رماح أحد الحشاشين المتبقين بعد

أن أباد "هولاكو" دولتهم.. ذلك الحشاش الذي أمسك بالرأس وغمسها في العسل ثم أرسلها إلى القسطنطينية.. إلى "محمد الفاتح" حتى يستلمها طازجة.. رأس "دراكولا" التي عُلقت في القسطنطينية في البلاط العثماني ليتفل عليها من يتفل ويرميها بحجارته من يرمي.. رأس حَوَت عينين كانتا متجبرتين متغطرستين.. والآن أصبحتا مفقوئتين تنظران إلى الأرض في ذُلٍّ.

كان "دراكولا" مختلًا عقليًا.. فقد بلغنا أنه كان يفعل أشياء عجيبة جدًا في سجنه في هنغاريا.. كان يصطاد الحشرات والقوارض ويخوزقها على أعواد صغيرة من أغصان الشجر.. ويتسلى برؤيتها تموت.. أي شيطان هذا.. بل أي مخبول.. لكنه أخذ منا ما يستحقه.. ولقد خُلقنا فرسانًا لنوقف أمثال هذا عند حده. . ولا نخشاه وإن خرجت له أجنحة يطير بها.. لا نخشى إلا غضبة من خلقنا.. لهذا خُلقنا فرسانا.. بل لهذا خُلقنا مسلمين.

تمّت

***

لم يكن هناك شخصية تصلح لأن يقتبسوا منها شخصية "دراكولا" مصاص الدماء الشهير أكثر من شخصية "دراكولا" الحقيقي.. وهو فعلًا كان يحب شرب دماء ضحاياه الممزوجة بالخمر.. والواقع أن "دراكولا" الذي نراه في الأفلام يعتبر طفلًا مدللًا أمام "دراكولا" الشيطان الحقيقي.

السبب الذي ذكرت فيه هذه القصة هي أن "دراكولا" قد خَلَف والده في رئاسة تنظيم التنين.. وهو واحد من التنظيمات السرية التي أُنشِئت بعد فرسان الهيكل.. وهي تنظيمات ماسونية ركزت في تلك الفترة التاريخية على تجهيز حملات ضد الدولة العثمانية.

تنظيمات كانت في ظاهرها تدعو للإخاء والمحبة والمساواة كعهد كل التنظيمات الماسونية ولكن لها في الحقيقة أهداف أخرى.. أهداف سوداء.. لكن والد "دراكولا" الذي يدعى "دراكول" لم يقدر على فعل شيء أمام قوة الجيش العثماني وكل الحملات التي قام بها فاشلة.. حتى أذعن في النهاية للسلطان العثماني إذعانًا مطلقًا وأرسل له ولديه كضمانٍ للولاء.

ولكن عندما أصبح ابنه "دراكولا" رئيسًا للتنظيم الماسوني كان يبدو وكأن الشيطان نفسه قد أصبح رئيس التنظيم.. فنظَّم حملات بشعة أذاقت الجيش العثماني ويلات كثيرة أعجبت ملوك أوروبا ورجال الدين فيها حتى أنهم غضوا النظر عن دموية "دراكولا" في تلك الحملات.. فالمهم عندهم أنه كان يقاتل الأعداء ويذيقهم الويل.

تم تمثيل قصة "محمد الفاتح" و"رادو" و"دراكولا" في مسلسل تركي شديد الأهمية هو *Fatih*.. ويحكي القصة كاملة منذ طفولة الثلاثة وحتى فتح القسطنطينية ووفاة "محمد الفاتح".

بغض النظر عن هذا.. دعني أخبرك المزيد عن الماسونية وعن انضمامي لها.. ولا أحد سيخبرك بما سأخبرك به لأنني تدرجت فيها حتى الدرجة الحادية والعشرين.. ورغم أنني سأموت بعد قليل كما هو واضح إلا أنني لم

أعد أخشى شيئًا.. فسأقدم حياتي ثمنًا لما سأخبرك به الآن.. كما قدم العديدون من قبلي حياتهم.. لكنني سأختلف عمن سبقوني لأنني سأورثك من بعدي كتابًا.. كتاب عليك أن تقرأه وتحتفظ بتفاصيله بين جنبات عقلك.. ثم تحرقه حتى لا يطالك مثل ما سيطالني.

الداخل جديدًا على الماسونية لا يستشعر منها بأي خطرٍ.. بالعكس هو يقسم على الكتاب الشائع في البلد الذي هو فيه.. فالمسلم يقسم على القرآن.. المسيحي على الإنجيل.. اليهودي على التوراة.. وعند الوصول للدرجة الثامنة عشرة تحديدًا.. يكون القسم على التوراة فقط.. والرموز نفسها تكون معانيها بريئة في البداية ثم تتطور لتكون معاني متوسطة ثم تتحول لتصبح رموزًا يهودية خالصة.

وهم لا يختارون أي شخصٍ للدخول في الماسونية.. لكنهم يختارون أشخاصًا بعينهم.. أشخاص لهم تأثير في المجتمع.. تأثير سياسي أو ديني أو اقتصادي.. فلديهم مجموعات تحريات تراقب شخصًا معيّنًا.. مرشّحًا من قِبَل ماسونيين آخرين.. يخرج له أشخاص لمراقبته ويجمعون عنه كل ما يمكن جمعه من معلومات.. هم دائمًا يبحثون عن استيطان أذهان النُخب تحديدًا.. أصحاب المناصب وأصحاب الثروات.. حتى يتمكنوا عن طريقهم من إنفاذ أغراضهم.. ثم حتى بعد انضمامهم يقيمون لهم اختبارات معينه تدريجية تؤهلهم للتدرج إلى كل درجة تالية.

فالماسونية ليس فيها تقدم.. لا يمكن أن تتقدم لتكون ماسونيًا.. لابد فيها من ترشيح من أحد من داخل محفل.. والدرجات الثلاث الأولى تعتبر بمثابة كشافات لمعرفة من يصلح للترقي بعد ذلك.. وهو غالبًا الشخص النافذ أو الذي لديه منصب.. الشخص الفارغ أو المستعد لأن يُفرغ.. تكون عنده طموحات.. عنده شهوات مثلًا يحب المال أو النساء أو السلطة.. وهم يوفرون له هذه الأشياء.. ثم يتم تصعيده في سلم الماسونية وتغيير الأفكار في

كل مرتبة وكل درجة وتغيير معاني الرموز.. فإذا وصل للدرجة ال 33 ويسمونها الدرجة السامية .. يفتح له الأستاذ الأعظم للمحفل سجلًا ويقول له.. أنت وأبوك وأجدادك ستتشرفوننا بالانضمام إلى بني إسرائيل.. فالآن نحن نصحح نسبك ونسجل اسمك في سجل السبط الثالث عشر لبني إسرائيل.. وستحوز شرف مشاركة هذا السبط الفخري العظيم في إتمام العمل العظيم.. وإعادة البناء العظيم.. الهيكل العظيم.. هيكل سليمان.

في البداية يقولون إن الإله الذي يعبدونه هو المهندس الأعظم.. وهي كلمة مبهمة قد تظنها تشير إلى الله.. وفي الدرجات المتقدمة بعد العشرين يتحول هذا المهندس ليكون "لوسيفر".. وبالمناسبة لا تظنهم يعبدون الشيطان على أنه شيء شرير.. وإنما على أنه هو الذي هدى الإنسان إلى المعرفة وعرفه بها.. وهو من علَّم الإنسان الزراعة والتجارة والصناعة وعلَّمه ركوب البحر وهو الذي هداه في كل مناحي حياته فطبيعي أن عبادته تكون شيئًا عاديًا ليس فيها شيء.. ولما حدَّث آدم وحواء بأكل التفاحة في الجنة كان هذا لأنه يحبهما ويريد لهما الخير.. وليس الشر كما تزعم الأديان.. وتدريجيًا ستتعلم أن الله لم يلعن "لوسيفر" وإنما حاربه.. لأن "لوسيفر" يريد العِلم للبشر والله يريد لهم أن يظلوا جهلة.

فالله يعدك بوعودٍ زائفة طيلة الوقت.. تدعوه واستجابته لدعائك هو حظ.. أما "لوسيفر" فلما تعبده وتتمنى شيئًا.. مجرد التمني فهو يكون بين يديك في الحال.. يدخلك إلى جنته في الدنيا.. وستتعلم أن الآخرة هي مجرد وهم لا وجود له.. بكل ما فيها من جنة ونار وما إلى ذلك.. هكذا علموني عندما دخلت إليهم.. لكن كانت أجزاء من نفسي تأبى هذا كله.. وخاصة عندما علمت السبب الذي يريدون إعادة بناء الهيكل من أجله.. ذلك السبب الذي سأؤخر إخبارك به حتى تحين اللحظة المناسبة.

ولو أنك رأيت "لوسيفر" كما يمثلونه في رسوماتهم مثما رأيته أنا لتعجبت.. أذكر لوحة ذات طول كامل لإبليس فوق مذبحه.. لقد بدا مثل رجل ذي فكرٍ عظيم رفيع الجبهة.. وعندما تنظر لعينيه تعطيك انطباعًا بعيون شخص واسع الاطلاع وقوي جدًا.. وهذه اللوحة يمكنك أن تراها لو دخلت أيًا من منظمات عبدة الشيطان أو الماسونية أو خلافهم.

لكن المنظمة الماسونية وحتى هذه الحكاية من التاريخ كانت لا تزال في بداياتها ومافعلته على أرض الواقع كانت خطوات مبدئية بطيئة جدًا.. وذلك لأن الامبراطورية العثمانية كانت سيدة العالم كله.. و فتوحاتها في الشرق والغرب لا تتوقف.. ولو أنها تُركت قرنًا آخر فستغزو العالم كله.. ولن تتمكن الماسونية من بناء ذلك الهيكل المقدَّس الذي وهبوا من أجله حياتهم.. لأن بناءه سيكون في فلسطين.. على أنقاض المسجد الأقصى.. ولو أن ذبابة حاولت أن تمس المسجد الأقصى أيامها لذبحتها الدولة العثمانية شر مذبح. . لكننا لازلنا في البداية.. ومعي ستتعلم الصبر حتى تنال غايتك.. وحتى أنال غايتي.

إن الحكاية القادمة بالذات لها عدد كبير جدًا من الأوراق.. سأعرض عليك ورقة واحدة الآن. والباقي عندما تنتهي الحكاية الورقة هي ورقة الإيلو-ميناتي.. وعليها صورة قد تكون مألوفة لديك.. هرم غير مكتمل في أعلاه عين.. يشع من ورائها نور.

وهي حكاية سيحكيها لك شخصان: رجل وامرأة.. أحدهما صادق.. والآخر كاذب.. وسأخبرك سرًا صغيرًا حتى تميّز الصادق من الكاذب وأنت تستمع لهما.. الصادق منهما هو من سيموت قبل الآخر.. تذكر هذا جيدًا.. والآن سأتركك معهما..

* * *

ويرو - كوموكوه .

1600 بعد الميلاد

مذكرة "جون سميث" :

مذكرتي العزيزة.. إنه يوم جديد من أيامي الرائعة.. مغامرة جديدة من مغامراتي التي ملأت صفحاتك.. لكن مغامرة اليوم فيها شيء محبَّب إلى نفسي.. اكتشاف عالم جديد.. فأنا اليوم أتحرك بسفينة كبيرة مع رفاقي ناحية الغرب.. إلى قارة بِكرية.. ليس فيها دول.. ولا نزاعات.. أرض خصبة لكل من يريد أن ينشئ أي شيء.. سمعت أن من يسكن هذه القارة هنود حمر الأجساد يرتدون الريش على رؤوسهم.. وسمعت أنهم متوحشين ويكرهون الغرباء.. وأن الغريب القادم إليهم سينتهي به الأمر مطبوخًا في قدرٍ من قدورهم وجماعة منهم يرقصون حوله في وحشية وتلذذ.

ها هي اليابسة تقترب.. وسفننا المتعَبة من عبور المحيط تتمطى في إرهاق.. أشجار ونخيل وخضرة ورمال ذهبية وهواء عليل وهندي أحمر يحمل رمحا ويجري ناحية السفينة في جنون.. يا إلهي.. رمى علينا الهندي الغاضب رمحه رمية كأمهر رمية رام.. وانغرس رمحه في قلب "كريس" الفتى المراهق الذي كان عقله مليء بقصص البحارة المغامرين وكان يحلم دومًا أن يكون واحدا منهم.. لكن الرمح قد انغرس في قلبه اليوم بطريقة قضت على كل القصص والمغامرات التي كان ينوي أن يخوضها.. قضت على كل شيء قبل أن يبدأ.. إن هؤلاء القوم أشد توحُشًا من نمور "أمور" المفترسة التي قابلتها في روسيا.. وكان "كريس" المسكين أول ضحية قتلوها.

هرب الهندي الأحمر بسرعة.. ولا ندري بصراحة هل هرب أم ذهب لينادي بقية أقرانه الحُمر.. يبدو أن رحلتنا لن تكون سهلة أبدًا.. حطت سفننا على اليابسة.. ونزلنا منها في بطءٍ حَذِرٍ.. وبدأنا نجهز المعسكر بقلق ونتقل

أغراضنا من السفينة ونحن نتلفت يمينًا ويسارًا ونتحفز عند سماع أي صوت.. وهاقد أتى الليل.. ولم نتعرض لأي هجوم ثانٍ.

مذكرة "بوكاهونتاس" :

"بوهاتان" هي مملكتي التي تضم بين أرجائها كل القرى الموالية لنا.. "ويرو- كوموكو" هي قريتي بين تلك القرى.. "وان - سيناكا" هو أبي.. أحب الناس إلى قلبي.. وأنا "ماتواكا" الصغيرة ابنة العشرة سنوات وأحب الناس إلى قلب أبي.. واسمي يعني "زهرة بين مجريين" لأن قريتنا كانت تقع على مجرى نهرين.. واسمي الآخر هو"أمانوتي".. وأبي هو زعيم مملكة بوهاتان كلها.. لست ابنته الوحيدة.. فأبي له ما يقرب من الثلاثين بنتا.. نتيجة زواجه بما يقرب من الثلاثين زوجة.. لكن من بين كل هؤلاء كنت أنا الأقرب إلى قلبه.. وكنت كذلك فقط لأنني "بوكاهونتاس" ليس بسبب أي شيء آخر.

"بوكاهونتاس" هو أشهر أسمائي.. وهو اسم له معنى مثل كل أسمائنا.. ومعناه هو الفتاة الشقية.. وشقية يعني مرحة وروحها حلوة.. لماذا أنا الأحب إلى قلب والدي؟ لأنه لما تزوَّج ثلاثين مرة فعل ذلك بدافع من تقاليدنا التي تحتم على زعيم المملكة أن يتزوج فتاة من كل قرية ويُنجب منها.. فيدخل الدم الملكي إلى القرية فيكون هذا إعلانا من القرية بالولاء للملك.. ملك مملكة بوهاتان.. أما أمي فلم يتزوجها أبي بدافع سياسي.. بل كانت أول امرأة يتزوجها في حياته.. وأول امرأة يحبها في حياته.. وقد كان اسمها "بوكاهونتاس" أيضًا.. وقد تزوجها قبل حتى أن يصير ملكًا على بوهاتان.. وكنت أنا أول إنجاب لأبي.. ولقد ماتت أمي لما أنجبتني.. الأمر الذي أحزن والدي حُزنًا اسودت لأجله طيات روحه.. لكنه لم يلبث أن قرر أن يسميني

"بوكاهونتاس" مثلما كانت أمي "بوكاهونتاس".. لأكون مولِّدًا للسعادة التي ستأتي وتنتزع حزنه الأسود من ثنايا روحه ليكون هباء تذروه الرياح.

أخبرنا "الكويكروز" أن هناك قومًا بيضا قد أتوا بسفنهم ضيوفًا على سواحل مملكتنا.. ونصحنا الكويكروز أن نتودد إليهم أيما تودد وتلطف وأن نُريهم كيف يكون حسن الضيافة لدى البوهاتان.. والكويكروز كما لابد أنك تعلم هم رجال الدين في بوهاتان.. وأصحاب الشورى.. وبالفعل لما وصل أولئك القوم بيض الوجوه إلى سواحلنا خرجت جماعات من أفضل رجال ونساء بوهاتان لاستقبالهم بموائد من أرقى طعام ويرو- كوموكو.. وقد فرحوا باستقبالنا أيما فرح.. وأعطونا الكثير من القطع النحاسية الثمينة.. فالنحاس في بوهاتان هو كالذهب في سائر بلدان العالم.. حقًّا كانوا قومًا بيضا لطفاء.

مذكرة "جون سميث" :

مذكرتي العزيزة.. أربعة شهور مضت علينا ونحن في هذا المكان نبني معسكرنا ونجهز عدتنا.. ونصد هجمات عنيفة كان يشنها علينا الهنود الحمر بين الفينة والأخرى.. حقًّا إنهم متوحشون.. ليسوا فقط متوحشين.. بل هم آكلو لحوم بشر كما سمعت.. لقد حاولنا التودد إليهم أكثر من مرة.. وجل ما وصلنا إليه هو تجارة أجريناها مع بعضهم ممن أتونا في سلام.. نعطيهم قِطعًا نحاسية ويعطوننا طعامًا.. لكن مخزوننا من الطعام الذي جئنا به من إنجلترا كان قد نفد تمامًا.. وقد نفدت منا كل القطع النحاسية التي أتينا بها.. وهؤلاء الهنود لا يعطون شيئًا بالمجان أبدًا.. لذا قررت أن أصطحب أكثر رجالي قوة ونتوغل أكثر في هذه القرية.. علنا نحصل على شيء يصلح للأكل.

وبينما نحن نتفقد أرجاء تلك القرية الجميلة التي لا أصدق أن سكانها بهذا التوحش.. إذ رأينا مجموعة من هؤلاء المتوحشين أقوياء البنية يسيرون بقارب على النهر ببطءٍ وينظرون إلينا في تحفُّز.. وبدون أن أنتظر لحظة رفعت بندقيتي وصوبتها إليهم عازمًا على إزاحتهم عن طريقنا.. لكن أحدهم صرخ صرخة وحشية مدوية سمعنا على إثرها حفيف أشجار كانت حولنا.. أشجار برز منها عشرات منهم.. أُسقط في يد رجالي واستداروا هاربين.. واستدرت مع رجالي عازما على الهرب.. فلا قدرة لدي على مواجهة كل هذه المخلوقات المفترسة التي ترتدي الريش.. هرب رجالي ولم أقدر أنا على الهرب.. لم أتخيل أن نهايتي ستصبح بهذه البشاعة على يد قوم حمر الوجوه يرتدون ريشا.. حاولت بكل مهارتي أن أهرب لكنهم حاصروني من كل مكان.. فرميت سلاحي ورفعت يدي.. وحاولت أن أتحدث معهم لكن سهما انغرز في كتفي كان أسرع من حديثي.. ثم أظلمت الدنيا في عيني.. وسقطت على الأرض.

مذكرة "بوكاهونتاس" :

أربعة أشهر مرت على استضافتنا لهؤلاء القوم البيض في أرضنا.. وكان أحدهم رجلًا شديد الوسامة ذا شعر بني.. كان في نظرنا إلهًا من الآلهة.. يحمل في إحدى يديه سيفًا صارمًا وفي اليد الأخرى يحمل عصا الرعد.. عصا غريبة الشكل يوجهها على من يريد أن يقتله.. فيرتفع دوي الرعد المخيف ويموت الرجل.. كان رهيبًا هذا الرجل.. قتل بعض رجال البوهاتان بهذه الطريقة.. المشكلة أنه كان يدخل في بعض الأيام إلى بعض القرى التي أكرمت رجاله.. يدخلها دخول الصديق.. ثم يهدد زعيمها بعصا الرعد تلك حتى يعطيه ورجاله المزيد من الطعام.. كان يفعل هذا في الأيام التي لا

يزورهم فيها أحد بطعام.. نحن أهل الكرم.. لكن من المستحيل أن تطعم أكثر من مئة رجل يوميًا لمدة أربعة أشهر.. كانت تمضي أيام لا نزورهم فيها بطعام.. عندها يجن جنونهم ويدور هذا الإله الوسيم بين أرجاء قرانا طلبًا للطعام.

لم يحب الكويكروز هذا أبدًا؛ لذا قرروا أن نأخذ هذا الإله ونستضيفه في ويرو- كوموكو.. فيُحدِّثه أبي ويتفاوض معه على الكثير من الأمور.. وفي أحد الأيام خرج عمي "أوبي- شانكا".. أصغر أخ لأبي.. وكان قوي البنية فتيًّا.. باغتهم "أوبي –شانكا" عند النهر.. فهرب رفاق الإله الوسيم وبقي هو وحيدًا أسيرا في يد "أوبي- شانكا" ورجاله.. كان الكويكروز يقولون إن هذا الرجل ليس إلهًا بل هو بشري عادي وعصا الرعد التي معه هذه ماهي إلا سلاح بشري مصنوع بمهارة.

زار "أوبي- شانكا" جميع القبائل بينما ذلك الرجل الوسيم مقيد وراءه.. فعل "أوبي- شانكا" ذلك حتى يقول لكل القبائل أن هذا الرجل ليس إلهًا.. والدليل أننا أسرناه وقيدناه.. بل إننا ذاهبون به إلى الملك "وان- سيناكا" ليراه.. وبالطبع لم يمسه أحد رجال البوهاتان بسوء مطلقًا سواء في عملية الأسر نفسها أو أثناء زيارة القرى.. هكذا كانت أخلاق البوهاتان العظيمة.

مذكرة "جون سميث" :

انتفضت فجأة.. رأيت أربعة هنودًا حُمرا يحيطون بي ويمسكونني بسواعد قوية يجرونني جرًّا إلى مكان معين لا أدري ما هو.. فكرت في التملص منهم لكني كنت داخل قريتهم المليئة بهنود حُمر آخرين ينظرون لي في فضول.. مشينا حتى دخلوا بي إلى مبنى طويل غريب الشكل.. هناك رائحة غريبة في الجو.. وحديث بلغة متوحشة وأصوات رفيعة أسمعه كل حين.. كان يبدو

أن هذا المبنى ذو أهمية كبيرة.. هؤلاء القوم بدائيون جدًا في مبانيهم وديكوراتهم وملابسهم وتصرفاتهم.. وجدت نفسي أقف فجأة أمام رجل يختلف زيّه عن بقية أزيائهم.. وفوق رأسه عدد من الريش أكثر بكثير من البقية.. وقد دهن وجهه بألوان غريبة.. واضح أن هذا هو الزعيم.. وواضح أنه ليس سعيدًا.. إن له ملامح لا أظنها قد عرفت كيف تبتسم.

قال لي بصوت خشن جدًا كلامًا خشنًا بلغة خشنة لا أدري كيف يفهمونها.. نظرت إليه بدهشة ورفعت كتفيَّ في عدم فهم.. ويبدو أنه غضب جدًا.. لكن ما كل هؤلاء الفتيات والفتية الصغار حوله.. قال شيئًا ما بغضب للرجال المحيطين بي.. فتحفزوا وأمسكوا بي بقسوة وأرقدوني على ظهري في منتصف هذه الغرفة الغريبة.. ثم أخرج أحدهم سيفًا طويلًا ونظر لي بغِلّ.. وثبتني رفاقه بغِلّ أكبر.. وقع في قلبي الخوف.. هؤلاء كما هو واضح مقبلون بعد ثوانٍ على قطع رأسي بهذا السيف.. حاولت أن أتملص بكل قوتي لكن هيهات.. هناك ما يقرب من عشرة أذرع تمسك بي في إحكام وترفع رأسي بطريقة تبدو معها رقبتي جاهزة لاستقبال نصل السيف.. صرخت وصرخت.. سمعت كثيرًا من الكلمات الهندية الغاضبة التي يبدو أنها آخر كلمات سأسمعها في حياتي الحافلة.. نظرت إلى السيف بخوف.. رفعه الرجل ذو اليدين القويتين والعينين المخيفتين.. وتأهب لينزل به على رأسي.. أغمضت عيني بقوة وصرخت صرخة طويلة.

زار أذني صوت يختلف عن نوعية الأصوات التي أسمعها حولي.. صوت أنثوي كان بعيدًا ثم اقترب حتى صار قريبًا جدًا.. ذراعان أنثويتان رقيقتان أحاطتا بي في رقة.. أنفاس أنثوية برقة الزهر شعرت بها على وجهي.. فتحت عينيَّ ببطءٍ مندهش.. رأيتها.. وكأنما توقف وعيي عن الوعي بكل شيءٍ حولي.. وصارت كل صورة حولها مموهة وصورتها وحدها في عيني.. رأيتها وهي تصرخ

وتحيط بي وترفع يدها في وجه السياف وتضع وجهها أمام وجهي ورقبتها أمام رقبتي.. عطر أنثوي.. شعر طويل كأنه قطعة من ليل.. وعينان.. عينان ورمشان وشفتان.. هل أنا في الجنة؟ يستحيل أن أكون لازلت في تلك القرية الهندية.. إنها تضع يديها على وجهي في رقة وتنظر إلى عيني في قلق ثم تنظر لهم في غضب.

"بوكاهونتاس".. هذا هو اسمها.. فتاة شابة في الثامنة عشر.. فاتنة سمراء.. هي ابنة الملك الهندي الغاضب.. تدخلت لتحميني من قسوة أهلها.. وقد ذهل القوم بفعلتها هذه وتسمر الملك في مكانه وتحول غضبه إلى دهشة.. وقال لها كلامًا بلهجة متسائلة.. فردت عليه بصوتٍ ملائكي بكلمات تمنيت من حلاوتها ألا تنتهي.. خفض السياف سيفه.. وتراخت عضلات الرجال الممسكين بي.. وصمت الجميع.. وتكلمت "بوكاهونتاس".

مذكرة "بوكاهونتاس" :

كنت جالسة بجوار أبي كالعادة.. حتى دخل علينا "أوبي- شانكا" ومعه الرجل الوسيم ينظر مندهشًا إلى ما حوله.. كان عمري عشرة سنوات وقتها.. كانت المرة الأولى التي أرى فيها شخصًا من عرق مختلف.. فكنت أنظر له في دهشة حقيقية.. قام أبي من مجلسه وحيَّاه مبتسمًا بتحية البوهاتان.. لم يفهم الرجل شيئًا بالطبع لكن كان هناك رجل من الكويكروز ترجم للوسيم التحية بلغته الإنجليزية.. أومأ الوسيم برأسه محييا ومدَّ يده يصافح أبي.

كان أبي سياسيًّا رائعًا.. عاتبه في البداية على مافعله في بعض القرى طلبًا للطعام.. وعرض عليه أن يعطيه البوهاتان أرضًا أفضل من الأرض التي بنوا عليها معسكراتهم.. أرض "كاباهوسيك".. فيها ماء عذب وماء مالح.. ومخرج

يمكن أن يضعوا فيه سفنهم.. وعرض عليه أن يكونوا قرية تابعة للبوهاتان وموالية لهم.. وسيمدهم البوهاتان بالطعام ويساعدونهم في البناء ويزوجونهم أجمل فتيات البوهاتان.

أقام عندنا الرجل الوسيم الذي عرفت أن اسمه "جون سميث" أربعة أيام فقط.. أكرمناه فيها أيما كرم.. وكنت أقدم له الطعام بنفسي وألعب معه وأمدّ يدي لأشد شعره الذهبي كل حين.. علمني بعض الكلمات الإنجليزية وعلمته بعض كلمات من لغتنا.. لغة "ألجونكو".. وافق "سميث" على التعاون معنا وعلى عرض أبي موافقة كاملة بدون شروط.. وطلب منه أبي أن يساعده ضد الإسبان المخرّبين الذين يهاجمون مملكة بوهاتان كل فترة.. ووافق "سميث" ووعد أبي أن يكون هو والإنجليز تحت قيادته.

مذكرة "جون سميث" :

بعد أن اعترضت "بوكاهونتاس" طريق السيّاف بهذا الشكل.. تبدلت معاملة القوم لي إلى النقيض.. يبدو أنها محبوبة جدًا بين قومها.. أصبح الجميع يعاملونني بلطفٍ وقدَّموا لي الطعام والشراب.. إن طعامهم غريبٌ لكن مذاقه رائع.. شهر كامل أمضيته مع الهنود الحمر في قريتهم العجيبة.. كنت أود لو أخطف "بوكاهونتاس" الجميلة وأهرب بها من هذه الأرض إلى أرض ليس فيها سواي أنا وهي.

اتفق معي الملك الذي أصبحت أسميه "بالاتين" نسبة إلىَ "بوهاتان" على أن نكون موالين له وأن نوقف المناوشات المتكررة بيننا.. وقال إنه سيرسل لنا الطعام بشكلٍ منتظم.. كان يجب أن أهادنه وأوافقه.. فهو لا يعلم نية الإنجليز بعد.. إن نيتنا هي احتلال بلاده كاملة سواء رضي بهذا أم لم يرضَ..

هذه أرض راقية تستحق شعبًا متحضّرًا راقيًا.. ليس شعبًا همجيًا مثل شعبه.. إلا إذا رضوا أن يرتقوا فسيعيشون معنا في سلام.

بهذا عدت إلى المعسكر وفوجئ الرجال بعودتي.. لأنني عدت ومعي هنود كثيرون محملون بموائد الطعام.. أثناء وجودي في المعسكر كانت "بوكاهونتاس" تأتي كل ثلاثة أيام أو أقل لنمضي اليوم معًا على نهر يورك.. لقد أحببت "بوكاهونتاس" وأحبتني.. المشكلة أن أبوها الملك لا يقبل بالخضوع تحت لواء إنجلترا.. بل يريد أن تخضع إنجلترا تحت لوائه هو.. وكان هذا يعني صراعًا قريبًا.. وقتلًا كثيرًا لأهل "بوكاهونتاس".. هذا صعب على نفسي لكن مصلحة بلادي فوق شهوتي الشخصية.. هكذا تعلمت.. لكن القدر لم يمهلني لأشهد الحرب مع الجنود.. فوسط كل الترتيبات والتجهيزات التي كنا نقوم بها.. انفجرت ذخيرة من الذخائر في وجهي بالخطأ.

مذكرة "بوكاهونتاس" :

فجأة مات "جون سميث".. قالوا لنا إنه مات وتم نقل جثته إلى إنجلترا.. بدأ أبي ينتظر أن يعرف القائد الجديد ليعقد معه نفس الاتفاق الذي عقده مع "جون سميث".. لكن بعد موت "جون سميث" مباشرة بدأ الإنجليز في مهاجمتنا.. وتحولت المناوشات إلى حرب طاحنة مميتة قُتِل فيها الكثير جدًّا من أبناء البوهاتان.. كانت الأسلحة التي يستخدمها الإنجليز فتّاكة تبدو أسلحة البوهاتان بالنسبة لها دُمى أطفال.. وقد احتاج البوهاتان وقتًا طويلًا جدًا ليطوروا طرقًا لمقاومة هذه الأسلحة.. ظلت الحرب مشتعلة ما يقرب من الأربعة سنوات.. ذقنا فيها طعم الجحيم الحقيقي.. كان الإنجليز قومًا شديدي القسوة يقتلون بالجملة ويستخدمون أشد الأساليب حقارة وينقضون كل العهود.

بقي الطرفان يتصارعان حتى أتى ذلك اليوم الذي ذهبت فيه بأمرٍ من أبي إلى قرية "باتاوميكس".. وهي قرية من القرى التي لم تكن موالية للملك.. كنت ذاهبة هناك في مناسبة اجتماعية مهمة.. ولما وصلت هناك نصبوا لي فخًا وخدعوني وقبضوا عليَّ.. كان الباتاوميكس هم من نصب لي الفخ.. عرفت أنهم موالون للإنجليز ضد أبي.. شعرت بغصة في حلقي.. إنهم يودون استخدامي للضغط على أبي.. الموت أهون علي من أكون سببًا في هزيمة أمّتي في هذه الحرب.

كنت محبوسة في سفينة من سفنهم الكبيرة في غرفة ضيقة.. وحالتي سيئة جدًا بسبب اهتزاز السفينة المستمر أثناء وقوفها في الماء.. أفرغ ما في جوفي كل يوم وأدوخ وأفقد الوعي وهؤلاء لا يفهمون أني أود الانتقال بعيدا عن السفينة ويظنون أن ما بي هو بسبب الاكتئاب والخوف.. خسئتم جميعًا.. ليست "بوكاهونتاس" من النساء اللاتي يخفن أو يضعفن بسبب الأسر.. الأمر فقط دوّار البحر.

وفي ظلمة الليل.. بين هزة للسفينة وهزة.. انفتح باب غرفتي الضيقة.. ودخل كيان لم أتبينه جيدًا.. لكنه كان رجلًا ضخمًا بالتأكيد.. وقف على الباب قليلًا كالصنم.. كان يدخّن.. أعطاه الظلام والدخان المتصاعد منظرًا مُقبضا.. تقدَّم مني الرجل وسألني بالإنجليزية سؤالًا لم أفهم منه شيئًا.. ثم تقدم أكثر وامتدت يده لتتحسس عنقي.. كنت مقيدة لكني رفعت ركبتيَّ وطعنته بها في بطنه فانقبض متألمًا وصاح بكلمات غاضبة.. ثم بدأت المأساة.. جن جنون الرجل وأمسك بي وفعل كل ما يمكن أن يفعله ذئب بفتاة جميلة مقيدة.. ثم قام عني وقال بضع كلمات.. وعدل ملابسه وانصرف. . تاركًا إياي أتجرع دماء عذريتي وأتجرع معها دموعي.. هنا.. في هذه الليلة.. وفي هذه الغرفة الحقيرة.. فقدت أنا "بوكاهونتاس" ابنة الملك.. أغلى

حلم من أحلام الفتيات.. سرقه مني حيوان.. فقدت عذريتي.. لم أعد أصلح لشيء.. ليتني مت قبل هذا.. ولولا أنني مقيدة بهذه الحبال لرميت نفسي في اليم.

مذكرة "جون سميث" :

انفجرت في وجهي ذخيرة من الذخائر عن طريق الخطأ.. أُصِبت بحروق كثيرة لكنني لم أمت.. وغادرت إلى إنجلترا للعلاج.. وقال الإنجليز للهنود الحمر إن "جون سميث" قد مات.. في محاولة منهم للتملص من المعاهدة التي عاهدتهم إياها.. مرَّ شهر أو شهران ولم يستطع قومي الاحتمال أكثر.. وبدأوا الهجوم بضراوة.. كنا دائمًا ننتصر لأن تسليحنا يفوقهم وإن كان عددهم يفوقنا.. استمرت الحرب بيننا وبينهم سنين طويلة.. حتى أسر الإنجليز "بوكاهونتس" أثناء إحدى الحملات.. كانوا يعرفون مدى تعلُّق والدها بها لذا اختطفوها كوسيلة للضغط عليه.. وكوسيلة حماية.. فليس مجنونًا لعمل أي هجوم وأغلى ما يملك بين أيدينا.. طلبنا منه فدية كبيرة تعجيزية لكنه لم يدفعها كاملة.. ولهذا أبقينا "بوكاهونتاس" الجميلة عندنا.

أثناء وجود "بوكاهونتاس" في الأسر بدأت بذرة إعجابها بحضارتنا تتكون وتكبر.. منذ علاقتي بها وهي تعشق حضارتنا وقد لمست فيها حب الحضارة وكراهية التخلف والهمجية التي تراها في قومها.. وبدأت هذه البذرة تنمو أثناء أسرها خاصة مع التعامل الراقي الإنجليزي الذي كنا نعاملها به.. حتى إنها اقتنعت بالمسيحية وتحولت إليها.. وتم عمل طقوس تعميد لها وتغيير اسمها إلى "ربيكا".. سميناها بهذا الاسم تيمنا بربيكا المذكورة في التوراة أم "يعقوب" و"عيسيو".. فكل واحد من "يعقوب" و"عيسيو" انحدرت منه

أمة.. فكانت ربيكا أما لأمتين.. وكانت "بوكاهونتاس" تمثل التقاء أمتين.. أمة الإنجليز وأمة الهنود الحمر.

تطور حبها لحضارتنا إلى كره لحضارتها.. حتى إننا أثناء أسرها سمحنا لها بمقابلة وفد من قومها كان أبوها وسطهم.. فلما رأتهم صرخت في والدها وقالت له إنها تكرهه لأنه اتضح لها أنها أرخص عنده من سيوف قديمة وقطع من فؤوس.. وتقصد الفدية التي طلبناها والتي كانت تشمل أسلحة قومها.

تقدم للزواج ببوكاهونتاس واحد من أكبر تجار إنجلترا هو "جون رولف".. وقبلت الزواج بسعادة بالغة.. وكان هذا الزواج إعلانًا للسلام بين الأمتين بعد طول حرب فكانت حقًّا أمًا لأمتين. . سافرت "بوكاهونتاس" مع "رولف" إلى إنجلترا.. وقُدمت إلى المجتمع الإنجليزي باعتبارها حمامة السلام بين أمتين عظيمتين.. لكن المشكلة أنني أنا أيضًا كنت في إنجلترا.. وقد رأتني "بوكاهونتاس" صدفة فجأة أمامها.

مذكرة "بوكاهونتاس" :

كرهت نفسي.. أنا سبب هزيمة قومي.. أنا بلا شرف.. بلا قيمة ولا وزن.. لست أعلم من هو الذي اغتصبني حتى الآن.. لكن في اليوم التالي جاءني رجل يبدو ثريًا اسمه "جون رولف".. وعرض عليَّ الزواج مقابل أن تنتهي الحرب بين قومه وقومي.. وفي غمرة ألمي وحيرتي وجدتها فرصة لإصلاح كل شيء.. فشعوري بأني سبب مأساة قومي سينتهي بهذا الزواج الذي سأحقن به دماءهم الغالية.. وشرفي الذي أضاعه حيوان يمكن أن يجبره الزواج..

وإن كان زواجا من أناس لم أكره في حياتي مثلما كرهتهم بكل حذلقتهم وتنطعهم وقسوتهم وخداعهم.. إلا أنني كنت مضطرة.. من أجل قومي.

وحتى يتم الزواج قالوا لي إنه يجب أن أدخل في المسيحية وأتخذ لنفسي اسمًا جديدًا هو "ربيكا".. وافقت على كل هذا بلا شروط.. وتم زواجي إلى ذلك الرجل الغني وتوقفت بالفعل حرب دامت سنين طوال كان قومي فيها هم الضحية دائمًا.. وسافرت مع "رولف إلى انجلترا.. وهناك عرفت أن زواجي لم يكن بدافع السلام كما يحاولون أن يُظهروا لقومهم في إنجلترا.. لقد كان دعاية.. دعاية لمستعمرتهم التي بنوها في أرضي.. والتي سموها مستعمرة "فيرجينيا".. كانوا يريدون للعالم أن يرى كيف أن الأوضاع في القارة الجديدة التي ذهبوا لاستعمارها أوضاع رائعة وأن أهل القارة الجديدة أحبوهم والدليل هو الأميرة"بوكاهونتاس" ابنة الملك الهندي الأحمر.

أثناء وجودي في إنجلترا عرفت أن "جون سميث" ذلك المخادع الكبير لم يمت.. وإنما قالوا لنا ذلك لأنه كان قد عقد اتفاقًا مع أبي لم يكن ينوي هو وقومه الالتزام به.. بل إنني قابلت "جون سميث" بالصدفة ذات يوم وقلت له في وجهه إنه مخادع كبير.. وأنني كنت أظنه رجلًا صالحًا كما ظنه قومي.. لكنه في الحقيقة ليس سوى مستعمِر دموي قذر.. وبدأ صوتي يعلو في مواجهة كل هذا الخداع الذي يجبروننا أن نعيش فيه.. ودخلت في صراعات عديدة مع "جون رولف" وبدأت أرفض بشدة حضور الاجتماعات والمناسبات التي كانوا يجبروني على حضورها.. حتى لم يعد أمام "جون رولف" إلا حل واحد لا ثاني له.

ذات يوم بعد شربة من ماء.. شعرت أن الدنيا تدور حولي.. وتدور بداخل رأسي.. ووهن جسدي على وهنه وسقطت على الأرض.. أدركت أن "رولف" قد دسَّ لي السم في شربة الماء.. أدركت أنهم أرادوا أن يرتاحوا من إزعاجي ويحافظوا على الصورة التي صوروها للعالم عنّي.. الفتاة التي تكره قومها الهمج وتحب إنجلترا وتدعو الإنجليز للقدوم إلى أرضها واحتلالها لنشر حضارتهم فيها.. هذا ما أرادوا للعالم أن يصدقه.. وقد صدقهم العالم ولازال يصدقهم وسيظل يصدقهم حتى النهاية.. أما البوهاتان.. وحضارة البوهاتان العظيمة.. ودماء البوهاتان الغالية التي سالت على أرضنا أنهارًا.. فلا أحد يكترث بها.. فماذا تعني هذه الدماء مقارنة بالدماء الملكية الإنجليزية.. لا شيء.

تمّت

***

وبهذا غزت إنجلترا القارة الأمريكية غزوًا وحشيًا لا يعترف بحقوق إنسان أو بغيرها.. كانوا يقتلون الجميع بدم باردٍ أهوج.. الحقيقة المريعة التي يخفيها التاريخ الأمريكي أن تمثال الحرية في الحقيقة قد أقيم على حساب أرواح ملايين الهنود الحمر.. فالمشكلة التي واجهت الأوروبيين المستعمرين البيض هي أنهم وقعوا على أرض خصبة زراعية واسعة الأرجاء تحتاج إلى عددٍ كبيرٍ جدًا من الأيادي العاملة.. ولقد حاولوا أول ما حاولوا بدلًا من أن يقتلوا الهنود الحُمر أن يستعبدوهم.

كنت ترى مئات الشاحنات المحملة بالأطفال الهنود الحمر والنساء.. وكان النساء أكثر أهمية.. لأنهم فضلًا عن العمل الشاق الذي يقومون به في الأراضي الزراعية فهم كانوا يمثلون متعة جنسية لا حصر لها للسادة البيض.

ومن يرفض من الهنود أن يتم استعباده كان يقتل.. والتاريخ يحكي آلاف عمليات حرق القرى وإبادة السكان كاملين فيها وتسميم الآبار حتى وصل رقم الهنود الذين تم قتلهم إلى 80% من عدد الهنود الأصلي.. وهذا يعني رقمًا مهولًا يقترب في أكثر الإحصائيات خجلًا من الخمسين مليون هندي أحمر أو ربما أكثر من ذلك.

لكن الأرض كانت واسعة جدًا ولا يمكن للهنود وحدهم أن يعملوا عليها.. كانت هناك ملايين الأفدنة تحتاج لمن يعمل عليها.. وهنا توجه المستعمرون البيض إلى أكثر قارة تنجب رجالًا أشداء أقوياء في هذا العالم.. توجهوا إلى إفريقيا.

عشرات الملايين من الزنوج تم حشرهم مقيدين بالأغلال في السفن الإنجليزية وتهجيرهم قسرًا إلى أمريكا ليعملوا هناك في الأراضي.. هؤلاء كانوا

يشكّلون قوة عاملة عظيمة جدًا.. ومجانية.. والزنوج الذين سيقوا إلى أمريكا كان يموت أكثرهم إما جوعا أو عطشا أواختناقا من تكديسهم على بعضهم البعض بالمئات أو يموت من رصاص البيض الغزاة ذوي المزاج المتعكر.. كانت أكبر ملحمة لاإنسانية أقيمت في التاريخ كله.. حرب إبادة شاملة عرقية على الهنود الحمر وحرب استعباد شاملة على الزنوج.. وهكذا أقيمت أمريكا.. بلد الحرية والديمقراطية الرائعة.. حتى إن أبو الحرية الرئيس الأول "جورج واشنطن" نفسه كان يملك ثلاثمئة عبد وجارية في مزرعته الخاصة.. ولم يحرر واحدًا منهم قَط حتى وفاتهم.

إن "بوكاهونتاس" هي الصادقة.. و"جون سميث" هو الكاذب.. ولقد ذكر الكاذب في مغامرات متعددة من مغامراته قصصاً من وحي خياله عن فتيات يحببنه وينقذنه من الموت.. بالطبع حكاية "بوكاهونتاس" اشتهرت بعد فيلم ديزني الشهير لها.. والذي يحكي القصة من وجهة نظر "جون سميث".. أما وجهة نظر "بوكاهونتاس" فكان من المستحيل أن تعرفها لولا أنك قرأت كتابي هذا.

إن البوهاتان لا يكتبون.. لم يكتبوا تاريخهم في أي كتب.. إنما يحتفظون به في أدمغة الكويكروز.. وهم رجال حكماء يعرفون كل شيء.. حتى أتى اثنان من الهنود الحمر المعاصرين من الذين يحملون الجنسية الأمريكية وقررا أن يكتبا القصة الحقيقية لـ "بوكاهونتاس" حتى يعطيا الحق لأهله.. لكن كتابهما هذا بالطبع تمت محاربة انتشاره ولم يشتهر.. حتى لا تسوّد الصورة اللامعة الجميلة التي أظهرتها ديزني في فيلمها الذي أصدرت منه جزئين.. ولا تظن أن الحكاية مروية في الفيلم فقط.. بل إنها مروية في جميع الموسوعات وكتب التاريخ العالمية بناء على وجهة نظر "جون سميث" فقط.. أما وجهة نظر الهنود الحمر فلا أحد حاول حتى أن يستمع إليها.

ولعلك تتساءل ما سر الورقة التي أريتك إياها قبل هذه الحكاية.. ورقة الإيلوميناتي ورسمة الهرم والعين أعلاه.. هذه الرسمة نفسها هي الموجوده على الدولار الأمريكي.. وقبل أن أخبرك بأي شيء أريد منك أن تزيح كل ما قرأته أو سمعته عن هذا الموضوع جانبًا.. وتستمع لي جيدًا..

لعلك قد لاحظت أن "جون سميث" كان يعرف بعض المعلومات عن الهنود الحمر قبل أن يحط بسفينته عندهم.. هذه المعلومات كلها كان قد جمعها رجل يدعى السير "والتر راليج" وهذا الرجل هو الأستاذ الأعظم لمنظمة سرية تدعى منظمة الصليب الوردي أو الروزكروشن.. وقد كان مستكشفًا.. وبمناسبة هذه المنظمة ها أنا أريك ورقة من أوراق اللعبة هي ورقة الروزكروشن.. وعليها صورة صليب مزيَّن بالورود ذات اللون الزهري.. وهي منظمة تفرعت عن الماسونية لكنها أكثر منها انغلاقًا وأكثر سرية.

عرف "والتر" أن أرض أمريكا هي أرض خالية من العوائق.. ليس فيها سلطات.. وليس لها تاريخ.. وليس فيها عقائد.. ولا حواجز تحول بين من يسيطر عليها وبين أن يكون مجتمعًا جديدًا.. بأفكاره هو.. ولغاياته هو.. وهي فرصة للحركات السرية لن تتكرر.. فرصة لهم ليقيموا لهم وللمرة الأولى دولة.. بعيدًا عن زحام دول أوروبا وتعقيداتها.. وبدا أن الحركات السرية كلها مقبلة على أهم انعطاف في تاريخهم.. منعطف اسمه أمريكا.

وبعد حكاية "جون سيث" و"بوكاهونتاس" والمستعمرات الإنجليزية السفاحة التي قتلت من الهنود الحمر ما قتلت.. أصبحت هناك ثلاث عشرة مستعمرة إنجليزية.. تجري من تحتها أنهار من دماء الهنود الحمر.. وهنا أرسلت الماسونية رجلًا يدعى "لافاييت".. رجل من الدرجة 33.. هذا الرجل هو الذي وحَّد صفوف المستعمرات الإنجليزية كلها.. ثم أرسلت الماسونية أحد الماسونيين المهمين وهو "فريدريك شتوبين".. جنرال عسكري محنك..

نزل إلى المستعمرات وحول الميليشيات العسكرية المفككة لها إلى جيش موحد.. ثم قامت الثورة الأمريكية.

بدأت بما يعرف بحفلة شاي بوسطن.. الحكومة الإنجليزية رفعت الضريبة على الشاي.. فتسلل رجال ماسونيون متنكرون في زيّ هنود حمر إلى سفينة تحمل حمولة الشاي.. ورموا كل حمولة الشاي التي على السفينة في البحر.. غضبت الحكومة البريطانية أو مثلت أنها غضبت وردت ردًا عنيفًا مما أدى لنشوب ما يدعى بالثورة الأمريكية.

ونجحت الثورة الأمريكية وحصلت أمريكا على استقلالها وصارت دولة كبيرة مستقلة.. وها أنا أعرض عليك ورقة أمريكا وعليها صورة علم أمريكا وأمامه تمثال الحرية يلعب بكرة تحت قدمه.. الكرة الأرضية.

كل هذا جميل ولكن دعنا ننظر إلى وثيقة استقلال أمريكا والتي وقّع عليها أربعون اسمًا.. كان أول تسعة عشر اسمًا منهم ماسونيين.. وهذا ليس كلامًا أتكلم به في الهواء بل هو كلام موثق.. دستور أمريكا.. وقّع عليه ستة وخمسون شخصًا.. أول ستة وعشرين اسمًا منهم ماسونيين.. أول رئيس لأمريكا هو "جورج واشنطن" ماسوني.. وكل هؤلاء معروفون رسميًا.

استقلال أمريكا كان عام 1776.. وفي نفس العام بالضبط أنشئت حركة سرية في بافاريا بألمانيا اسمها منظمة الإيلوميناتي.. ورمزها هو الهرم غير المكتمل والذي تعلوه عين وراءها نور ساطع.. أنشأها رجل يدعى "آدم وايزهاوبت".. ودمجها بالماسونية ليصبحا منظمة واحدة عالمية.. والآن دعنا ننظر معًا إلى ورقة الدولار الأمريكي الواحد.. وكما تعرف دائمًا فئة عملة الواحد في أي دولة هي التي تمثلها.. دعك من الوجه الأمامي ولنقلبه معًا على

وجهه الخلفي.. هل ترى الهرم والعين على يسار كلمة *ONE*؟ هذا الرمز لا علاقة له بأمريكا من قريب ولا من بعيد.. إنما هو رمز الإيلوميناتي.

فوق العين ترى كلمة *Annuit Coeptis* وهي كلمة لاتينية معناها الحرفي "هو .. الذي وافق على حمايتنا".. وتحت الهرم كلمة هي *Novus Ordo Seclorum* وهي كلمة لاتينية أيضًا معناها الحرفي هو "النظام العالمي الجديد".

لو كنت عضوًا في الماسونية أو الإيلوميناتي فستتعلم معنى جديدًا لكل رمز من الرموز كلما ترقيت درجة.. فالعين في البداية هي عين الله المطلعة على كل شيء.. ثم تكون عين أوزيريس.. ثم تتحول لتكون عين "لوسيفر" المطلعة على كل شيء.. فـ "لوسيفر" يجري من ابن آدم مجرى الدم وهو مراقب مطلع على كل ما يقوم به البشر.. ثم في الدرجات المتقدمة جدًا.. ستتعلم أن هذه العين هي عين أخرى تمامًا.. عين أنتيخريستوس.. والنظام العالمي الجديد هو نظام أنتيخريستوس.

والنور حول العين تتدرج معانيه أيضًا.. فهو في البداية نور الله.. ثم يتحول ليصير نور "يهوا".. و"يهوا" هي الله في اليهودية القديمة.. وممنوع على أحدٍ أن يتفوه بهذا الاسم إطلاقًا لأنه اسم الله الأعظم.. ثم يتحول في النهاية لنور "لوسيفر".. لأن "لوسيفر" هو حامل النور.. والهرم تتعلم أنه يرمز إلى الحد الغربي لحُلم بني إسرائيل " من النيل إلى الفرات".. فالحد الغربي هنا هو النيل.. لأن النيل قديمًا كان يمر من الهرم.. ولذلك فالهرم موضوع في يسار الدولار.. ثم ستتعلم أنه يرمز إلى محل استحضار الإله "لوسيفر".

أما الرمز على يمين كلمة *ONE* فهو رمز لطائر يبدو وكأنه نسر أو صقر.. فوق رأسه ثلاث عشرة نجمة صغيرة تكون فيما بينها نجمة سداسية.. نجمة

داوود.. الشكل الذي عليه قدس الأقداس.. هيكل سليمان.. وهو موضوع فوق رأس الطائر كرمز على أن هذه النجمة السداسية فوق رأس أمريكا وشعار أمريكا.

طبعًا من قام بتصميم هذا الشعار لجنة كل أعضائها هم أعضاء رسميون معروفون في منظمة الإيلوميناتي وأشهرهم "بنجامين فرانكلين" و"جون أدامز" و"توماس جيفرسون"

وبالنسبة كلمة النظام العالمي الجديد التي يرددونها ويدعون لها طيلة الوقت.. فهم يريدون أن يوحّدوا أفكار العالم وأزياء العالم واهتمامات العالم لتصير كلها أمريكية.. وقد نجحوا في هذا إلى حدٍ بعيد.. هذا واضح في أزياء الناس والمطاعم التي يأكلون منها والأغاني التي يسمعونها.. ولا أقول أن هذا سيء لأنني أمريكي ومن المفترض أن يعجبني هذا.. لكنني فقط أقول أنه لا توجد أمة من الأمم نهضت بغير لغتها.. خذ اليابان كمثالٍ.. هؤلاء يفرضون لغتهم فرضا.. خذ فرنسا وألمانيا كمثال آخر.. هل فهمت قصدي الآن؟

لازلت لا تصدق أن أمريكا دولة ماسونية وأنني ممن يطلقون عليهم "المؤمنين بنظرية المؤامرة" والتي يلقون عليها كل مشاكل العالم؟

حسنًا.. إن الاحتفال الذي تم فيه وضع حجر الأساس لمبنى الكابيتال الأمريكي هو احتفال تمَّ بطقوس ماسونية وأزياء ماسونية ومن كان يديره هو محفل الميريلاند الماسوني.. وهم يعترفون بذلك ولا ينكرونه بل ويفتخرون به.

رؤساء أمريكا كلهم ماسونيون من أكبرهم إلى أصغرهم.. من أولهم حتى "أوباما" وهذا رسميًا وليس ادعاء من عندي.. كلهم ماعدا واحد فقط هو

"جون كينيدي" الذي عندما نما إلى علمه وجود منظمة خفية تدير بلاده.. خرج في خطاب رسمي على الملأ يهاجم فيه وجود منظمات سرية ويقول إن هذا غير مقبول وأن على الدولة أن تحارب مثل هذه التنظيمات.. حتى إنه أراد تفتيش مفاعل "ديمونة" النووي الإسرائيلي.. هل تدري كيف تم قتل "جون كينيدي" بعد أن ألقى الخطاب أم تريدني أن أضيع مزيدًا من الوقت في إخبارك؟

ومن قتلوا "جون كينيدي" هم أنفسهم الذين قتلوا الملك "فيصل بن عبد العزيز" لما قطع البترول عن أمريكا.. وهم أنفسهم الذين قتلوا "السادات".. ولا أعني بـ"هم" نفس الأشخاص بل أعني نفس المنظمة أو منظمات تابعة لهم.. فكل هؤلاء كانوا رجالًا كما يجب أن يكون الرجال.. وهذا الصنف من البشر واجب القتل الفوري عند الإيلوميناتي.

عندما ظهرت رائحة الماسونية العفنة بدأت تخصص جزءًا كبيرًا جدًا من أموالها للأعمال الخيرية والمنظمات الخيرية.. وعندما أقول أموال فأنا أعني بلايين.. حتى يُقنعوا العالم أنهم منظمة تسعى إلى الحرية والإخاء.

هناك العديد من المؤسسات الماسونية في بلادك تدعي أنها تعمل أعمالًا خيرية فلا تنخدع بها.. أبرزها نوادي الروتاري ونوادي الليونز.. لكن مهلًا.. ليس كل من رأيته حاضرًا في أحد هذه النوادي هو ماسوني.. فهذه النوادي هي نوادي عامة وخلال عملها الخيري على قد يستعينوا من آنٍ لآخر بشخصيات هامة كنوع من الدعاية لحملاتهم.. وهذه الشخصيات العامة قد تكون من أنظف شخصيات البلد.. ولا يدري أيٌّ من تلك الشخصيات شيئًا عن الحقيقة المريعة التي تختفي وراء تلك النوادي أو تلك المنظمات.. أو ربما يدري ولكنه لا يسمح لهم باستغلال نفوذه وتأثيره إلا في عمل من أعمالهم الخيرية.

وليس كل من انضم إلى الماسونية شريرًا بالمناسبة فلا تنخدع أيضًا.. فقد سبق ونوهت إلى أن هناك درجات كثيرة في الماسونية وأن أول ثلاث درجات فيها هي بمثابة كشافات لأخيار من يصلح إلى الترقي بعد هذا.. ولا يكون المرء ماسونيًا شريرًا إلا بعد وصوله إلى الدرجات العالية.. حيث يبدأ في معرفة حقيقة المنظمة وأنها يهودية ذات أهداف يهودية.. وأنه هو نفسه لابد أن يقسم على التوراة وحدها.

وأي رجل لامع حاولت الماسونية أن تجتذبه وقبل الانضمام.. ثم ترك الماسونية في الدرجات الثلاثة الأوائل فهم لا يتعقبونه ولا يؤذونه.. لكن المشكلة فيمن هم أمثالي ممن يحاولون أن يتركوها بعد أن يصلوا فيها لدرجات متقدمة جدًا.

ولقد صدرت فتوى رسمية من الأزهر بتحريم الانضمام للماسونية وكل ما يتبع لها من نوادي مثل الروتاري والليونز.. وكذلك أصدر المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي فتوى مماثلة.. وهي فتاوى طويلة تبين بشكل واضح أهداف الماسونية الحقيقية التي تم كشفها وتحريم الانضمام لها بناء على هذا الكشف.

والآن حان الوقت لأكشف لك معلومة هامة وعدتك بكشفها في أول حديثي معك.. سأكشف لك اسم لعبة الأوراق التي نلعبها هذه.. وهو اسم سيدهشك نوعًا ما.. اسمها لعبة الإيلوميناتي: النظام العالمي الجديد.. وهي متوفرة في الأسواق العالمية بسعرٍ غالٍ نوعًا ما يقترب من الثلاثمئة دولار أمريكي.. تحتوي على حوالي خمسمئة ورقة.. كل ورقة تحمل سرًا.. أوراق منها تحمل سرًا من أسرار الزمن.. وأوراق تحكي أحداثًا غيرت مجرى الزمن.. وأوراق كتب فيها أسرار الماسونية والإيلوميناتي.. وأوراق تحكي خططًا يود الإيلوميناتي تحقيقها.

وقبل أن نكمل أود أن أعطيك نبذة شديدة الاختصار عن وجود الماسونية والإيلوميناتي في الميديا.. الأمثلة كثيرة جدًا لا حصر لها لكن سأذكر لك أهمها.. لو شاهدت فيلم ديزني "علاء الدين".. ألا تذكر أن علاء الدين لما خرج له الجني الأزرق وقَّع معه عقدًا في ورقة طويلة ثم بدأت الأموال والنساء ينهالون عليه.. كان سكيتش راقص كوميدي ولكنه يعبر تمامًا عن الحقيقة.. بع نفسك للشيطان يأتيك الشيطان بكل ما تشتهي.. كما أذكر ذلك النادي الذي أنشأه "سبونج بوب" والذي كانت علامته هل نفسها علامة الإيلوميناتي.

صانع هذه اللعبة هو "ستيف جاكسون".. وهو عضو في منظمة الإيلوميناتي.. وهذه المنظمة على خفائها إلا أنها مولعة بترك بصمة لها في كل مكان.. ففي أفلام السينما تُخفي رموزها بين ديكورات المشاهد. . الهرم والعين.. المربعات البيضاء والسوداء التي ترمز لاتحاد عالمي الجن والإنس.. المسطرة والفرجار.. ويتم دسها أيضًا في الفيديو كليبات وفي أفلام الكارتون.. وفي مئات الكنائس حول العالم.. والخلاصة أن هذه اللعبة التي بين أيدينا هي أكثر خطوة جريئة قام بها المتنورون لترك بصمة لهم.. فرغم أن اللعبة صدرت عام 1990 إلا أن فيها تسطيرا لأحداث حدثت بعد هذا التاريخ بكثير.. هل تود أن أخبرك بأمثلة؟ فليكن سأخرج لك تلك الأوراق.

هل ترى هذه الورقة.. إنها ورقة الإرهاب.. وعليها صورة واضحة جدًا لبرجي التجارة العالميين وهما يتفجران.. تذكر أننا نتحدث عن لعبة صدرت في 1990.. أي قبل 11 سنة من انفجار البرجين فعليًا لما اصطدمت بهم طائرتان عام 2001 في أحداث 11 سبتمبر.

هذه الورقة الثانية وهي ورقة البنتاجون.. وعليها صورة مبنى وزارة الدفاع الأمريكية وهو يحترق.. ولقد احترق بالفعل بعد أن اصطدمت به الطائرة الثالثة في أحداث 11 سبتمبر أيضًا عام 2001.

وهذه الورقة الثالثة هي ورقة الثورة.. وعليها صورة مبانٍ تبدو عربية بينها مبنى طويل معلقة عليه صورة ضخمة لرئيس الدولة في رداء عسكري مبالغ فيه.. وهذا المبنى الطويل يحترق من أعلاه وتبدو البلد في حالة ثورة واضحة.. وهذه الورقة تعبير عن الثورات العربية قبل حدوثها بواحد وعشرين سنة.. وهذا الملك المرسومة صورته يبدو أقرب شيء لـ "معمر القذافي".

الورقة الرابعة هي ورقة الديكتاتورية.. وعليها صورة نفس البلد العربي ونفس المبنى وصورة الرئيس نفسه في ردائه العسكري نفسه.. لكن لا توجد مبانٍ تحترق وتبدو البلد في حالة مستقرة.. وفي هذا تعبير عن زعيم ديكتاتور عربي.. سيثور شعبه عليه.. وخذ هذا وطبّقه على أي ثورة من الثورات العربية تراها مناسبة.

الورقة الخامسة والسادسة هي ورقة الأميرة "ديانا" وورقة "صدام حسين".. وتشير إلى مخطط مقتلهما.. فالأولى قتلت عام 1997 بعد سبع سنوات من صدور اللعبة.. والثاني قُتِل عام 2006.. بعد 16 سنة من صدور اللعبة.

وهناك أوراق لأمور لم تتحقق بعد مثل كارت الكارثة.. وعليه صورة تدمير برج "جينزا واكو" الشهير في طوكيو.. وتبدو الساعة المميزة أعلى البرج واضحة وهي تنفجر والناس تجري مذعورة من تحتها.

لكني تعلمت أن أتعامل مع هذه الأوراق تعاملًا مختلفًا.. تعامُل ساحر يأمر الجان وينهاهم.. ولقد شكّلت من هذه الأوراق تعاويذ خاصة يتم تفعيلها لما

أضعها بترتيب معين.. تعاويذ تخدم الغرض الذي عزمت على فعله.. وهو كشف الحقيقة لك أنت.. وللعالم كله من بعدك.

والآن يجب علينا أن نكمل.. فكل شياطين العالم والإيلوميناتي والماسونية والسحرة وكل شرور العالم تطالب برأسي الآن.. ولقد باتت رأسي قريبة جدًا منهم كما أرى.. فلتعلم أنه علينا أن نكمل.. ولنترك هذه الأحاديث جانبًا.

أنت الآن عرفت كيف بدأ السحر في هذا العالم.. كيف نزل "لوسيفر" وعلّمه لأول ساحر في التاريخ وهو النمرود.. ثم عرفت كيف استشرى السحر في أهل بابل حتى صار سحرتهم يحكمونهم بالشر.. وعرفت كيف أنزل الله "هاروت" و"ماروت" ليعلما الناس السحر المضاد.. ثم عرفت كيف بعث الله النبي العظيم سليمان ليقتل كل السحرة.. وعرفت كيف احتال الجن ودفنوا كتب السحر والعلوم الشيطانية تحت عرشه.. ثم بعد أكثر من ألف سنة نزل الشيطان "بافوميت" إلى تسعة فرسانَ فرنسيين يهود وأخبرهم بمكان كتب السحر والعلوم فاستخرجوها.. وكونوا من بعد استخراجها منظمة كانت أغنى منظمة في أوروبا.. منظمة فرسان الهيكل.. والتي غيرت اسمها لاحقًا إلى المنظمة الماسونية.. التي كانت المنظمة الأم التي تفرعت عنها العديد من المنظمات الأخرى السرية.. وعرفت أن أهم إنجاز من إنجازات تلك المنظمة كان إنشاء دولة أمريكا.

بالتوازي مع كل هذا تابعت حركة الأفعى الشيطان "سيربنت" وهو يفسد عقيدة اليهود ثم يفسد عقيدة المسيحيين ثم يفسد عقيدة المسلمين.. ويُخرج من عباءة كل عقيدة عدة طوائف.. وقد حان الوقت الآن لتجتمع الماسونية مع الأفعى "سيربنت".. لنتعلم إنجازات أخرى خطيرة قامت بها المنظمة.. وقام بها "سيربنت".. إنجازات كانت البداية في طريق الغاية

العظمى.. سواء للمنظمة أو للشياطين.. بناء هيكل سليمان المقدس.. ولن تعرف لماذا يود هؤلاء وهؤلاء بناء هذا الشيء اللعين إلا بعد حين.

لدينا على طاولتنا هذه المرة اثنتا عشرة ورقة.. يبدو عددًا كبيرًا.. تنتظرنا حكاية شديدة الدسامة دعنا نرى..

الورقة الأولى هي ورقة إنجلترا وعليها صورة نبيل إنجليزي سعيد ووراءه تبدو ساعة بيج بن الشهيرة..

الورقة الثانية هي ورقة الرشوة وعليها صورة يدين تصافحان بعضهما وبداخلهما نقود خضراء..

الورقة الثالثة هي ورقة قوة الناس.. وعليها صورة أيادٍ كثيرة مرفوعة تبدو وكأنها لأناسٍ في ثورة..

الورقة الرابعة هي ورقة بنك إنجلترا وعليها صورة ماكينة صرف عملاقة تبدو مليئة بالنقود..

الورقة الخامسة هي ورقة الثورة المضادة وعليها صورة لأفراد عسكريين يكيلون اللكمات لرجال مدنيين..

الورقة السادسة هي ورقة ألمانيا وعليها صورة المصانع الألمانية وسيارة الفولكس فاجن..

الورقة السابعة هي ورقة فرانكفورت.. وعليها صورة ليلية لمدينة فرانكفورت الألمانية..

الورقة الثامنة هي ورقة فرنسا وعليها صورة برج إيفل من زاوية سفلية..

الورقة التاسعة هي ورقة دعهم يأكلون الكعك.. وعليها صورة نبيل فرنسي ونبيلة فرنسية تحمل طبقًا عليه كعك مأكول..

الورقة العاشرة هي ورقة الدائنين الأشرار وعليها صورة رجلين أحدهما يبدو غاضبًا متعسِّفًا دائنًا والآخر يبدو خائفًا مذعورًا مدينًا من الرجل الغاضب..

الورقة الحادية عشرة هي ورقة الإشاعات..

الورقة الثانية عشرة هي ورقة السم.

إن "سيرينت" هو الذي سيحكي لك الحكاية القادمة.. لكنه هذه المرة يزحف في أوروبا.. وسيحكيها بطريقة مبتكرة..

* * *

فيلم أخرجه شيطان . .

1648 بعد الميلاد - 1800 بعد الميلاد

في ظلمة هذا الليل البهيم البارد.. سكتت كل الأصوات في أذنك ولم تعد تسمع سوى صوت فحيحي واهتزاز لساني المشقوق في الهواء.. ويبدو أن فحيحي قد تركك في حالة من الخدر المندهش مما سمعته من أمري.. لكني اليوم قد أعددت لك قبسات من الأسرار قد لا يقدر عقلك البشري المحدود على استيعابها كلها.. سأجهز لك أطيب شراب دافيء تحب.. وسألتف حول رقبتك لأدفئها.. وسأريك في هذه الليلة عجبًا.. ولأنك إنسان حديث فسأتعامل معك بأساليبك الحديثة هذه المرة.. لقد جهزت لك فيلمًا وثائقيًا شيطانيًا لن تراه في أي مكان إلا في مكتبتي.. مكتبة الثعبان.. استرخ يا صديقي على هذا المقعد.. وانظر إلى تلك الشاشة الحديثة أمامك.. واستمع إليَّ جيدًا.. فسأحكي لك كمالة قصتي.. بأسلوبك العصري الذي تألفه.

بدأت الشاشة عملها وبدأت تعرض لك مشهدًا مهيبًا.. أناس مجتمعون في أحد الشوارع.. عرفتَ من نظرتك إلى ملابسهم أنهم في زمن قديم ما.. دعني أوفّر عليك مشقة الظن.. هؤلاء شعب إنجلترا.. هل ترى كيف يقفون في صمتٍ فلا تسمع حتى حركة أجسادهم.. إنهم ينتظرون الملك.. وبكلمة أكثر دقة.. هم ينتظرون إعدام الملك.. الملك "تشارلز".. إنهم يحبونه ويبدو أنه قد فُرِض عليهم حكم إعدام ملكهم هذا فرضًا.. وفجأة فُتِح باب خشبي.. وظهر على عتبته رجل.. يرتدي ملابس ملكية وقبعة ملكية.. وبدأ الرجل يمشي على جسرٍ خشبي ارتفاعه يحاذي رؤوس الناس.. إنهم ينظرون له بصمت مهيب.. بعضهم يبكون وبعضهم يئنون.. بعضهم يمد يده ليلمس قدم الملك وهو يمشي على الجسر.. وصل الملك إلى نهاية الجسر.. وهاهو ينظر إلى عتبة عليها قماش أبيض.. يقف بجوارها رجل قوي البنية يمسك

ببلطة حادة.. لابد أنك فطنت ما هية هذه العتبة.. لقد كانت المكان الذي سيضع الملك عليه رأسه ليقطعها صاحب البلطة.

هذا الملك يتصرف بأنفة عجيبة.. حقًا هكذا يكون الملوك ملوكًا حتى في إعدامهم.. وهاهو يضع رأسه على العتبة.. ويقول بلهجة آمرة لحامل البلطة :

- انتظر إشارتي.

حقا يعجبني هؤلاء الملوك الذين يظلون ملوكًا حتى آخر ثانية في حياتهم.. وهاهو يعطي الإشارة للرجل.. وها هي البلطة تنزل على رأس الملك "تشارلز" لتقطعها.. ويضج الجمهور بالأنين والبكاء وتحدث جلبة.. يُسكتها رجل بزي قيادي يضع يده على دماء الملك ثم يرفع يده للجمهور ويقول :

- هل رأيتم؟ إن دماءه حمراء مثلنا وليست زرقاء.. ليس موفدًا من عند الله كما كان يقول.

وركزت الكاميرا على وجه ذلك الرجل قليلًا.. هذا الرجل يدعى "كرومويل".. وعلى طريقة أفلام هوليوود التي تحيها تموهت صورة "كرومويل" هذا لتظهر لك لقطة من الماضي.. لقطة لهذا الرجل وهو يكتب رسالة موجهة لجهة لا تعرف ما هي.. جاء في الرسالة "سوف أدافع عن قبول اليهود في إنجلترا مقابل المعونة المالية.. ولكن ذلك مستحيل طالما الملك تشارلز لازال حيًا.. ولا يمكن إعدام تشارلز دون محاكمة".. ثم عرضت لك الشاشة لقطة أخرى لهذا الرجل وهو يتسلم خطاب الرد فيما يبدو.. وقد فتحه ليجد رسالة جاء فيها " سوف نقدم المعونة المالية حالما تتم إزالة تشارلز ويُقبل اليهود في انجلترا.. يجب أن تدبر طريقة تُهرِّب بها تشارلز ثم تقبض عليه.. وبهذا يكون هناك سبب مقنع للمحاكمة"

والآن أخذتك الشاشة للقطة أخرى من الماضي.. إنه الملك "تشارلز" نفسه.. وهو يجلس على منصة خشبية تتوسط قاعة مليئة بالرجال ذوي الملابس الرسمية.. إنها محاكمة الملك "تشارلز".. إن "كرومويل" قد نفَذ ما أملته عليه الرسالة التي تلقاها.. ودبر هروب الملك "تشارلز" والقبض عليه والآن ها هو يحاكم.. قال له المتحدث :

- ما قولك في التهمة الموجهة لك وهي إساءة استعمال السلطة المعطاة لك من قبل القانون الذي..

قاطعة الملك "تشارلز" وقال في كبرياء ملك:

- عن أي قانون تتحدث.. من أنت أصلًا حتى تتحدث عن القانون.. أنا الملك هنا وكل الرجال في هذه القاعة رجالي وأنت منهم.

قال "كرومويل" بلهجة قوية :

- أنت تحاكم هنا لأنك أسأت استخدام سلطتك وتسببت في كبت حرية الشعب الذي..

قاطعه الملك في عزم :

- أنا أعرف عن حرية شعبي أكثر مما يعرف عنها أي واحد منكم.. إن حكومة يديرها برلمان ويسيطر عليها الجيش هي أسوأ طغيانًا من أي طغيان تزعمون أنه صدر مني على الإطلاق.

يبدو أنك بدأت تُعجَب بشخصية هذا الملك.. للأسف كان الرجال من حوله هم رجال البرلمان البريطاني المعارضين له.. وكان "كرومويل" هذا رجلا منهم وهو أشد المعارضين للملك.. وتلك الرسائل التي كان يتلقاها ويرد عليها كانت من أصحاب الذهب والمال اليهود.. اليهود الذين طُردوا من إنجلترا قبل

400 سنة وصمموا على العودة إليها ثانية ولو بعد حين.. فأغروا "كرومويل" هذا بالمال لينقلب على الملك.. وها هي الشاشة تعرض لك "كرومويل" وقد أسقط الملكية البريطانية وأعلن الجمهورية.. وأصبح هو رئيس بريطانيا.

وكما تنبأ الملك "تشارلز" تمامًا.. كان حكم الجمهورية الجديدة ديكتاتوريًا متعسّفًا.. وهاهو "كرومويل" ينفذ وعده لليهود ويجمع عددًا من الفقهاء والمثقفين ويناقشهم بحماس في إعادة اليهود إلى البلاد.. وقد أظهرته شاشتنا وهو يقول :

- لابد من تبشير اليهود بالمسيحية.. فكيف نبشرهم ونحن لم نستطع حتى أن نحتمل عيشهم بيننا؟

ردَّ عليه أحد الحاضرين:

- هؤلاء اليهود سينتزعون التجارة منا وسيحتكرون الثروة.

ومع أنه لم يُصدر مرسومًا بعودة اليهود إلى البلاد إلا أنه سمح لهم بالدخول إلى في صمتٍ.. انتقلت بك الشاشة إلى مشهد عجيب.. مشهد لجثة متحللة.. معلَّقة من رقبتها إلى منصة خشبية ذات شكل مميز.. واقتربت الكاميرا من وجه الجثة.. إنها جثة رجل.. لو دققت النظر سترى أن هذا هو "كرومويل".. تسألني لماذا جثته متعفنة على هذا النحو؟ إن جثته متعفنة لأنه بعد أن مات ودُفِنَ في قبره.. صعد إلى العرش "تشارلز" الثاني ابن الملك "تشارلز" الأول.. وعادت الملكية إلى بريطانيا بعد أن فشلت فيها الجمهورية وأمر "تشارلز" الثاني بأن يخرج كل المتآمرين على أبيه من قبورهم ويعلقوا مشنوقين على مشنقة تايبيرن.. ولو أنك زرت لندن في يوم ما وزرت شارع إدجوار الملقَّب بشارع العرب.. فستجد في بدايته دائرة تشير إلى مكان هذه المشنقة.. هنا عُلق الخونة من رؤوسهم.. لكن الشاشة عرضت لك منظرًا

لرجال يلفهم السواد والظلام.. رجال ليسوا راضين عما آلت إليه الأمور.. هم اليهود أصحاب المال والذهب.. اليهود المرابين.. ورغم أنهم نجحوا في الدخول لبريطانيا بعد أن طُردوا منها إلا أن خططهم كانت أبعد من مجرد دخول البلد.. كانت خططهم تقضي بالسيطرة على اقتصاد البلد.. ومن ثم استعباده.

اقتربت الكاميرا من هؤلاء الرجال أكثر.. ثم وضعت لك الشاشة أسفل هؤلاء الرجال رجالا آخرين كثيرين جدًّا أصغر منهم حجمًا.. وظهرت على الشاشة كلمة "الشعب اليهودي".. ثم ظهرت لك خريطة أوروبا.. وبدأ الفيلم في الشرح.. لقد طُرد هؤلاء اليهود منذ 400 سنة من بريطانيا ثم من هولندا ثم من البرتغال ثم من النمسا ثم من فرنسا وسكسونيا وتشيكا وهنغاريا وأخيرًا من إسبانيا.. لماذا طُردوا؟ لأنه قد ظهر فسادهم في البر والبحر.. ثم اقتربت الشاشة من مجموعة الرجال الكبار الذين في الأعلى وظهرت عليهم كلمة "أغنياء اليهود المرابين".. وأظهرت لك الشاشة على وجوههم تعبيرات غاضبة.. ثم أكمل لك الفيلم الشرح.. صمم أولئك الأغنياء على الثأر لشعبهم.. وكانوا زعماء ماسونيين كلهم.. وخرج سهم من الرجال العلويين والسفليين إلى هولندا.. وسهم آخر إلى ألمانيا.. لقد عادوا أول ما عادوا إلى هاتين الدولتين.. لأن الدولتين كانتا الأكثر تساهلًا.

اقتربت الكاميرا من هولندا وحركت لك الشاشة الرجال العلويين إلى هولندا.. ووضعت لك الشاشة بجانب كل رجل منهم امرأة هولندية.. نعم لقد تزاوج المرابون اليهود في هولندا من الشعب الهولندي وكونوا لهم أسرًا هناك.. ثم ركزت الكاميرا على رجل من المرابين اليهود هؤلاء وأظهرت لك اسمه.. "مناسح بن إسرائيل".. وأسرته من أكبر الأسر الهولندية في هولندا.. ثم أظهرت لك الشاشة تحته شخصًا آخر كتبت لك اسمه "ويليام ".. هذا

هو ابن "مناسح".. ثم حركت لك الشاشة "ويليام" هذا من هولندا إلى بريطانيا.. وأظهرت لك الشاشة بجواره امرأة بريطانية.. وفوق المرأة بالضبط أظهرت لك الشاشة رجلًا سمته "دوق يورك".. نعم لقد تزوج "ويليام" من ابنة الدوق "يورك".. ومن هو الدوق يورك هذا؟ هذا هو الرجل الذي أصبح ملك بريطانيا بعد وفاة "تشارلز الثاني".. هل رأيت كيف اقترب اليهود من عرش بريطانيا؟ لكنك لم ترَ شيئًا بعد.

ها أنت ترى على الشاشة منشورات كثيرة ومقالات صحفية كثيرة تشوه سمعة ملك البلاد الدوق "يورك".. حتى إنه هرب إلى فرنسا.. والآن عرضت لك الشاشة الملك الجديد لبريطانيا.. "ويليام" ابن المرابي اليهودي "مناسح".. وعرضت لك الشاشة الآن رجالًا ونساء على خريطة بريطانيا.. وكتبت تحتهم "أسر ملكية بريطانية".. ثم رسمت عليهم علامة خطأ حمراء كبيرة.. ووضعت على جانب الشاشة الآخر رجالا ونساء آخرين وكتبت تحتهم "أسر ملكية يهودية".. وفوقهم وضعت لك الشاشة رجلًا واحدًا هو "ويليام".. فكل العائلة الملكية البريطانية تم استبدالها بسلالة أخرى يهودية هي التي ينحدر منها كل ملوك بريطانيا حتى هذا اليوم.. سلالة يهودية.

لكنك لم ترَ شيئًا بعد.. عرضت لك الشاشة كنيسة من الخارج.. ثم اقتربت بك من بابها المغلق بإحكام.. وعبرت بك الكاميرا عبر الباب المغلق لتدخل بك إلى الداخل لترى "ويليام" وهو جالس على مائدة واحدة مع مجموعة من الرجال.. هؤلاء هم مندوبون عن كبار المرابين اليهود.. فلتنتظر ماذا سيفعل "ويليام" معهم الآن.. إنهم يكتبون عدة أوراق.. عرضت لك الشاشة هذه الأوراق.. الورقة الأولى هي قرض استدانه "ويليام" من المرابين اليهود قيمته مليون وربع جنيه استرليني.. ولإعطائه هذا القرض الضخم أيامها كتب اليهود شروطًا شيطانية.. وهي التي أظهرتها لك الشاشة في الورقة الثانية..

[illegible].. أن تبقى أسماء مانحي القرض سرية أبد الدهر.. وأن يعطى مانحو القرض تصريحًا بإنشاء بنك إنجلترا.. وأن يُمنَح مديرو بنك إنجلترا هؤلاء حق إصدار العملة وتحديد سعرها وتحديد سعر الذهب.. ولتسديد القرض المعطى لـ "ويليام" وتسديد فوائده تلتزم الحكومة بفرض ضرائب مباشرة على الشعب البريطاني.. وفي النهاية أظهرت لك الشاشة تاريخ منح القرض وهو 1660.. ثم كتبت لك الشاشة بجانب هذا التاريخ تاريخًا آخر.. 1950.. وعرضت لك الشاشة حالة القرض.. لقد تحول الدين من مليون وربع.. إلى 22 مليون جنيه استرليني.. تدين بها بريطانيا للمرابين اليهود.. وهكذا ركب اليهود الحمار البريطاني.. وظهرت لك خريطة أوروبا.. وظهر لك عليها ثعبان.. هذا أنا ألم تعرفني؟ وها هي الشاشة تحرك لك الثعبان من إنجلترا إلى فرنسا.

وها هي الكاميرا تنزل بك كما تنزل الطائرات على أوروبا وتقترب وتقترب حتى تظهر فرنسا.. ولكن الكاميرا لم تدخل فرنسا.. بل حادت عنها قليلًا ونزلت في الطريق المؤدي من فرانكفورت الألمانية إلى باريس.. طقس ممطر.. الرعد يدوي كما يجب أن يدوي الرعد.. وفارس على جواده الأسود يركض وسط كل هذا متجهًا إلى باريس.. ثم أبرقت السماء فوقه حتى خُيّل إليك أنه الظهر.. ثم دوى صوت كارثة.. ونزلت صاعقة رعدية في غاية القسوة من السماء إلى الأرض.. فتابعتها بنظرك تلقائيا لترى ماذا ستصيب.. لقد أصابت الصاعقة ذلك الفارس الذي كان يركض بفرسه بسرعة محاولا الهرب من هذا الغضب الإلهي.. لا تكلف نفسك بمحاولة معرفة ما الذي حدث له بالضبط.. لقد أصابته الصاعقة فاحترق هو وجواده فماتا فسقطا على الأرض.. ثم عرضت لك الشاشة مشهدًا لرجلين من رجال الشرطة يمران من

ذلك الطريق بعد انتهاء المطر والرعد وهاهما يريان الرجل الميت.. وهاهما يحملانه.. وهاهما يسلمان أغراضه إلى مركز الشرطة القريب.

ويبدو أن هناك توترًا كبيرًا حدث في قسم الشرطة بعد فحص أغراض الرجل.. لقد كان يحمل وثائق غاية في الغرابة.. وثائق مرعبة.. ولأن فضولك قد اشتعل أنت أيضًا لمعرفة ما هية تلك الوثائق فقد اقتربت بك الكاميرا من حقيبة الرجل الموضوعة على إحدى طاولات قسم الشرطة.. ثم عرضت لك الشاشة الوثائق الموجودة بداخلها ورقة ورقة.. أعرفك لا تحب القراءة والثرثرة.. لذا سأخبرك أنا بالخلاصة.

لقد كانت هذه أوراقًا مرسلة من رجل يدعى "روتشيلد" رئيس أحد المحافل الماسونية في فرانكفورت بألمانيا إلى السيد الأعظم للماسونية الفرنسية في باريس الدوق "دورليان".. كانت الوثائق نسخة مصغرة من بروتوكولات حكماء صهيون لو كنت قد قرأتها.. وملخص ما جاء في هذه الوثائق هو التحدث بشكلٍ عامٍ عن مؤامرة ثورية عالمية لإسقاط كل عروش أوروبا.. وتتحدث عن عيوب الثورة الإنجليزية وبطئها.. وعن خطط كاملة لإشعال ثورة عارمة في فرنسا.

وتتحدث الوثائق بشكل عام عن أن الديمقراطية شيء وهمي وأن المُلك الاستبدادي للشعب هو الحل.. ولذلك ينبغي تصدير فكرة الديمقراطية الوهمية تلك إلى جميع شعوب أوروبا فينقلبون على ملوكهم.. ولكن هذا لن يصلح إلا بتدبير أزمة اقتصادية حادة في تلك البلدان.. واليهود أساتذة كبار في تدبير الأزمات الاقتصادية لأنهم مالكو المال والذهب.. فيظن الناس أن ملوكهم المستبدين هم السبب في فقرهم.. وأن الديمقراطية هي الحل.. وتقول الوثائق إنه ليس مهمًا من الذي سينتصر في هذه الثورات.. فالمنتصر حتمًا سيحتاج إلى المال.. ونحن وحدنا من نملك المال.. فسنقدم

له غصنًا يتعلق به قبل أن يغرق.. فإن تعلق به صار عبدًا كما صارت بريطانيا عبدة.. وإن تركه غرق.. هذا ملخص ما جاء في تلك الوثائق التي اكتشفتها السلطة في حقيبة ذلك الفارس.

ربما يبدو اسم "روتشيلد" الذي أرسل هذه الوثائق مألوفا لك.. إن "روتشيلد" هي أغنى عائلة على وجه الأرض.. بل على وجه التاريخ كله.. وهم عائلة يهودية من كبار المرابين اليهود.. ورغم أنهم لم يكونوا من العائلات التي دبَّرت الثورة الإنجليزية.. إلا أنهم دبَّروا كل ثورة حدثت بعدها.. ذلك لأن "روتشيلد".. مهلًا.. لماذا أثرثر لك؟ يمكنك أن تتابع وترى بنفسك.

يعرض لك الفيلم الآن محلًا صغيرًا للصرافة في فرانكفورت بألمانيا.. اقتربت الكاميرا من المحل.. يمكنك أن تلاحظ علامة مميزة أعلى المحل.. علامة الدرع الأحمر.. وهاهي الكاميرا تدخل بك إلى الداخل.. رأيت رجلًا بالداخل كتبت لك الشاشة اسمه "آمشل موسى باور".. يهودي كان صائغًا والآن فتح محلًا للصرافة.. حادت الكاميرا عن اليهودي لتصور لك ابنه الصغير "آمشيل ماير باور" والذي يقف بجانب والده ويتابع ما يقوم به في شغف حقيقي.. وعلى طريقة الجرافيكس ركزت الكاميرا على وجه الطفل فبدأ يتحول تدريجيًا إلى وجه شاب يافع.. ثم ابتعدت عنه الكاميرا لتراه يدخل إلى مصرف أوبنهايمر.. لقد كبر الطفل الآن وصار كاتبًا في هذا المصرف.. لكنه كان بارعًا.. بارعًا جدًا.. حتى إن المصرف قد جعله شريكا جزئيًا فيه.

عادت الآن بك الكاميرا إلى المحل ذي الدرع الأحمر إياه في فرانكفورت.. ورأيت الشاب يفتح المحل.. لقد مات أبوه وقد قرر أن يستأنف أعمال أبيه بعد أن صار غنيًا.. نظر الشاب إلى الدرع الأحمر بالأعلى.. وقرر من يومها أن يسمي عائلته "روث شيلد" وتعني بالألمانية الدرع الأحمر.

ولشدة براعة "روتشيلد" فقد استمر في أعماله وعظُمت ثروته أكثر فأكثر حتى صار من أغنى أغنياء ألمانيا.. وهاهي الكاميرا تعرض لك "روتشيلد" بعدما صار رجلًا وهو يجتمع مع اثني عشر رجلًا آخرين من المرابين اليهود.. كان يشرح لهم شفهيًّا كل ما لخصته لك في الوثائق.. كان يريد إشعال ثورات عالمية تجتاح أوروبا وأمريكا وروسيا.. بل إنه كان يريد ماهو أكثر من ذلك.. وليس هذا معرض الحديث في هذا الأمر الآن.. أنت قد عرفت من هو "روتشيلد".. وعرفت أن وثائقه التي أرسلها تم كشف أمرها.. فماذا حدث بعد ذلك؟

نحن الآن في باليه رويال بفرنسا.. من أعظم القصور الملكية في التاريخ.. تعال لندخل معًا بكاميرا الفيلم من بوابة القصر المهيب.. لكن عليك أن تحفظ عينيك يا صديقي.. فالمقطع القادم من الفيلم غير خاضع للرقابة أو *Uncensored*.. أنت تدخل معنا الآن إلى حفلة متحررة.. من كل شيء متحررة.. من الحياء متحررة.. ومن الأعراف متحررة.. ومن الاحترام متحررة.. حفلة يراقص الرجال فيها نساء خلعن ثوب الحياء عن أجسادهن وصدورهن.. يشربون جميعًا نخب الانحلال.. ويطلقون على أنفسهم اسم ثوريين.. لأن الثوري الحق في رأيهم هو أكثر الناس تجرُّدًا من الأخلاق.. دعك من هذا كله وانظر معي إلى بضعة وجوه حاضرة هذا الحفل.. وركز فيما سأقوله لك جيدًا.. فلست أنوي أن أعيد كلامي مرتين.

انظر أولًا إلى ذلك الرجل الواقف هناك.. ركزت الكاميرا معي على شخص يرتدي ملابس لها طراز ملابس المهمين.. ضخم الوجه والأنف.. في وجهه ندوب.. لم يكن جذابًا.. لذلك ستستغرب هذه الحسناء المتحررة التي تتأبط ذراعه بطريقة فاسقة.. هذا الرجل هو الكونت دي "ميرابو".. وهذه السيدة الحسناء المنحلة هي عشيقته مدام "هيرز".

هذا الرجل الأربعيني ذو الشعر الكبير الخشن هو الأصل الذي تفجرت منه الثورة الفرنسية كلها.. مغرقًا في الديون كان.. علاقاته النسائية أكثر من أن يتذكرها هو نفسه.. خطيبًا مفوها كان.. شديد التأثير والإقناع.. لسانه قادر على إقناعك بأي سخافة يريدك أن تقتنع بها.. ولهذا صار صديقًا لمعظم طبقة النبلاء.. أضف إلى ذلك أنه كان ثوريًّا معارضًا للنظام.

استدارت الكاميرا ومرت بك عبر العديد من المنحلين.. حاول أن تغض بصرك حتى تستطيع التركيز معي.. أعرف أن ما يحدث من فسق يفوق الحد ولكن أيقظ عقلك قليلًا معي وأطفئ أي شيء آخر.. والآن توقفت الكاميرا بك أما م رجل ذي شعر أبيض وفراغات على جانبي جبينه تميز الشروع في الصلع.. وملابسه تميز الملوك والزعماء.. هذا الرجل هو الدوق "دورليان".. ابن عم ملك فرنسا الحالي "لويس" السادس عشر.. وهذا القصر المنيف هو قصره.. وهاهو يترك من كانوا يحادثونه ويتجه ناحية الكونت دي "ميرابو" الذي كان لا يزال يلاعب الحسناء في إباحية.

سأخبرك بالسر.. لقد تقرب المرابون اليهود من الكونت دي "ميرابو" لكونه الرجل الوحيد القادر على تهييج الجماهير فكان يصلح أن يكون زعيم الثوار بلا منازع.. ولأنه كان مغرقًا في الديون فقد أقرضوه أموالًا وسددوا له دَينه.. ولكن كعادة اليهود.. لا يقترض منهم أحد شيئًا إلا وتضاعفت ديونه حتى صارت كالجبل.. كان هذا هو حال "ميرابو" وهو واقف في هذا القصر الآن.. ولقد عرفه اليهود بمدام "هيرز" المتزوجة المنحلة لتكون له لهوًا وشغلًا.. وهكذا انغمس حتى قمة رأسه في وحل الدين اليهودي.. ولأنه كان صديقًا مقرّبًا للدوق "دورليان" ابن عم الملك الذي كانت لديه مشاكل مالية هو الأخر . فقد عرفه "ميرابو" على اليهود وأخبره كيف أنهم كرماء

ويقرضون أموالاً طائلة.. فتعرَّف الدوق "دورليان" بدوره على اليهود.. وانغمس غمسة كغمسة صاحبه في الوحل اليهودي.

الحقيقة هي أن اليهود كانوا يُعِدون الدوق "دورليان" لاعتلاء العرش الملكي بعد أن يسقط الملك "لويس" عن عرشه.. ولقد اتخذوا قصره هذا وبيوته الأخرى مركزًا للتجمعات الثورية والحفلات الثورية المنحلة ومطبعة لطباعة المنشورات الثورية.. وبهذا أعد اليهود أهم أساسين للثورة.. مهيج الجماهير "ميرابو".. والملك المستقبلي "دورليان".

وعلى طريقة الأفلام السينمائية سرَّعت لك الشاشة الفيلم فصار حاضرو الحفل يتحركون بسرعة حتى انتهوا من حفلتهم وغادروا القصر الملكي.. وخرجت بك الكاميرا من قصر الدعارة هذا إلى قصر آخر هو قصر فيرساي.. وبالتحديد في الحديقة الخارجية منه حيث ترى رجلًا سمينًا يجالس سيدة ذات ملابس راقية جدًّا.. كنت ترى السيدة من ظهرها.. وكتبت لك الشاشة اسمها بالأسفل "ماري أنطوانيت" ملكة فرنسا وزوجة الملك "لويس".. وهاهي الكاميرا تدور حول الملكة لتريك وجهها من الأمام بوضوح.. فلما دخل وجهها في كادر الكاميرا.. ظهرت علامة إكس حمراء كبيرة على اسم "ماري أنطوانيت" المكتوب بالأسفل.. وكتبت لك الشاشة محذرة باللون الأحمر المضيء "ليست ماري أنطوانيت".. كان الرجل قد بدأ بالإمساك بها وتقبيلها.. كتبت لك الشاشة اسمه بالأسفل "روهان".. ثم إنه أخرج لها علبة فاخرة جدًّا.. فاتجهت بك الكاميرا تلقائيًّا ناحية العلبة.. وفور أن فتحها الرجل أمام السيدة.. رأيت مشهدًا متلألئًا لم ترَ مثله من قبل على أي شاشة وفي أي صورة.. وكتبت لك الشاشة بالأسفل عبارة متلألئة "العقد الماسي".. ثم كتبت بجانب العبارة قيمة العقد.. 2 مليون ليرة فرنسية.

والآن انتقلت بك الكاميرا بعيدًا عن قصر فرساي وطارت بك إلى قصر ملكي آخر.. قصر ملك فرنسا.. وبالداخل كان هناك مشهد غريب نوعًا ما.. دخلت بك الكاميرا عبر إحدى النوافذ لترى سيدة يشابه ثوبها ثوب السيدة التي رأيتها في حديقة قصر فرساي منذ قليل.. دارت الكاميرا حول السيدة التي كانت تحادث شخصًا ما بحدة لترى وجهها بوضوح.. كتبت لك الشاشة بالأسفل "ماري أنطوانيت الحقيقية".. ثم بدأ الفيلم يزيد لك من درجة الصوت لتسمع المحادثة.. كانت الملكة "ماري" تقول للرجل الذي أمامها بحدة :

- أنا لم أشتري هذا العقد يا هذا وليس لي علم بأي ورقة سخيفة تريد أن تريني إياها فلم أكتب أي أوراق تخص عقدا أو غير عقد.. وهيا انصرف من أمامي قبل أن آمر الحراس أن يُخرجوك بالقوة.
- معذرة ياسيدتي لكنك مطلوبة للمحاكمة العليا

ثم هرعت بك الكاميرا إلى قصر فيرساي مرة أخرى بسرعة.. لتجد الفتاة المزيفة تأخذ العقد من الرجل شاكرة ثم تنصرف.. وفي أحد البيوت الباريسية رأيت الفتاة المزيفة تخرجه ثم تسلمه لفتاة أخرى جميلة تدعى "جين".. والتي كانت تبتسم في سخرية وتنظر إلى عظمة لألأة هذا العقد.

والآن بدأ الفيلم يفسر لك كل هذه المشاهد.. إن اليهود كانوا قد بدأوا حملة واسعة للتشهير بالملكة "ماري أنطوانيت" وتلطيخ سمعتها في الوحل كعادتهم إذا أرادوا أن يثيروا شعبًا أهوجَ على مليكه.. أشاعوا أن الملكة تقيم علاقة محرَّمة مع رجلٍ من رجال الكنيسة يدعى "روهان".. وأن "روهان" هذا قد اشترى لها عقدًا ثمنه 2 مليون ليرة هدية في ظل الأزمة الاقتصادية الرهيبة التي تمر بها البلاد لتقبل أن تسلمه مفاتنها الملكية.. على الجانب الآخر فالفتاة المزيفة تلك كانت شبيهة بالملكة ماري وقد دبَّر اليهود لقاء تلك المزيفة مع "روهان" أكثر رجال الكنيسة فسادًا.. في البداية زيفوا له رسائل

حب موجهة منها إليه بخطها.. ثم زيفوا بخط الملكة وتوقيعها رسالة له تطلب فيها منه أن يشتري باسمه لصالحها عقدًا ماسيًا يكون أغلى من أغلى عقد في أوروبا لو أراد أن يتمتع بمفاتنها. . لأنه لا يمكنها أن تشتريه بنفسها خوفًا من غضب الشعب وستنقده ثمنه لما يأتيها به.. هرع الرجل الفاسد إلى جوهريٍّ شهير ووصف له العقد.. صنع الجوهري العقد.. اتفق "روهان" على دفع ثمنه بالأجل.. قدَّم "روهان" العقد للفتاة المزيفة ظنًا منه أنها الملكة.. أعطته الفتاة ما أراد من مفاتنها.. أعطت الفتاة العقد لسيدتها مدبرة المؤامرة "جين".

لما جاء أجل الدفع.. اختفت الفتاة المزيفة.. وجن جنون "روهان".. أرسل للملكة "ماري" رسالتها له بالتعهد بالدفع.. أنكرت الملكة معرفتها به أصلًا.. رفع الجوهريُّ قضية في المحكمة.. تمَّت المحاكمة.. تأكدت المحكمة من زيف الرسائل.. وقبضت المحكمة على "جين" مدبرة المؤامرة وطبعوا على كتفها حرف"V " دلالة على أنها لصة.. ورغم أن الملكة "ماري" خرجت من هذه الدوامة بريئة إلا أن اليهود خلال وبعد المحاكمة نشروا أخبارًا مكذوبة عنها تفيد بأنها تستخدم نفوذها وبأنها مسرفة.. وبأنها ذات يوم سُئلت لماذا شعب فرنسا غاضب، فقيل لها لأنهم لا يجدون مالًا لشراء الخبز، فقالت وماالمشكلة فليأكلوا الكعك إذن.. كل هذه الأكاذيب وغيرها هيجت الشعب الفرنسي هياجًا لا هدوء بعده ولا هدنة.. وانطلق الثوار إلى شوارع المدينة يطالبون بالرؤوس.

والآن قد حان أوان قطف الرؤوس.. ويبدو أن رؤوسا كثيرة تم قصها في تلك الأحداث.. اختارت لك الكاميرا مشاهدة إعدام الملكة "ماري أنطوانيت".. هاهي الملكة تمر بين الحشود الغاضبة بعربة مكشوفة.. والحشود يرمونها بالأوساخ وبكل ما أمكن أن يرمونها به.. وهاهي تصل إلى مقصلتها.. لقد بدأوا

يقصون لها شعرها الطويل.. ثم وضعوا رأسها الصغير في المكان المخصص له في المقصلة.. وقبل أن يضع الجلاد رأسها التفتت له وقالت :

- معذرة لا تؤاخذني

لقد داست على قدمه خطأ وهو يقودها إلى المقصلة.. وهاقد اقتادتك الكاميرا المتحمسة إلى مشهد آخر تشبع به فضولك.. إنه موكب عظيم مهيب.. الملك لويس على عربته الملكية المذهبة في كامل أبهته وبهائه.. وهاهو ينزل من العربة ويتجه إلى المقصلة.. وهاهي تنزل على رأسه الملكية فتقطعها ولما سالت دماء رأسه على الأرض ركض الغوغاء إليها يدوسون على الدماء بأقدامهم إظهارًا لكرههم الشديد له.. الكره الذي غذته ببراعة آلة الإعلان الماسونية التي لو وضعت شخصًا نصب عينها أهلكته.

ثم قفزت الكاميرا لك فترة من الزمن.. فبعد أن نُصِّبَ الدوق "دورليان" على عرش فرنسا بعد نجاح الثورة كما خطط المخططون.. قرروا أن ورقته قد احترقت وأن دوره قد انتهى.. وبدون خوض في التفاصيل التي ستبدو لك مكررة.. هاهي الكاميرا تصوره في داخل عربة مغلقة يمشي بين الجماهير ويسمع سبابهم وسخطهم على فضائحه المزعومة.. وينظر لهم باكيًا غير قادرٍ على الرد.. حتى وصل إلى المقصلة فنظر لهم نظرة باكية أخيرة ثم وضع رأسه بداخل المقصلة بذل.

أما "ميرابو" فبعد أن فطن أن السيناريو تكرر مع الدوق "دورليان".. عرف أن هذه كانت مؤامرة للإطاحة بالنبلاء جميعًا وليس لتطهير السياسة الملكية كما كانوا يزعمون.. ولكنه لما فطن اليهود بأن رأسه قد أينعت وقد حاد أوان قطفها هي الأخرى.. ولكن لم يكن لديهم الوقت للتشهير به والبدء في نفس الفيلم المكرر.. فوضعوا له السم فمات.. وأظهروا موته على أنه حادثة انتحار.

وكان هناك شخصان لم ترهما في الفيلم لكنهما من رجال الثورة.. أحدهما هو "روبيسير" والآخر هو "دانتون".. وقد تم التشهير بهما وإرسالهما للمقصلة هما أيضًا بدون الدخول في تفاصيل.. ولكن الفيلم أظهر لك أحدهما وهو "روبيسير" وهو يخطب ذات يوم أمام الشعب قائلًا :

"إني لا أجرؤ على تسميتهم هنا.. وفي هذا الوقت.. كما أنني لا أستطيع تمزيق الحجاب الذي يغطي هذا اللغز منذ أجيال سحيقة "

وفي طريق "روبيسير" إلى المقصلة أصابه أحدهم بطلقة في فكه.. وهكذا سقطت ورقة أخرى لعب بها اليهود وانتهى دورها.. وفي نهاية هذه الثورة أظهر لك الفيلم باكورتها.. هاهم اليهود يمدون يد العون بالقروض إلى فرنسا للخروج من أزمتها الاقتصادية.. واشترطوا أن يكتبوا هم اتفاقية القرض.. وكان من الشروط وضع السيد "نيكر" وزيرا للمالية الفرنسية لأنه رجل بارع وقادر على انتشال فرنسا من الأزمة خلال وقت لا يذكر.

وفي النهاية أظهر لك الفيلم شاشة سوداء كتب فيها. .

"هذا ولقد تسبب نيكر في أن تصل ديون دولة فرنسا لليهود المرابين حوالي 170 مليون ليرة"

تمّت

* * *

صفقوا لليهود.. وصفقوا للأفعى "سيربنت" الشيطان الذي ينظر إليَّ الآن ومعه ستة شياطين آخرين.. صفقوا لهم جميعًا.. الثورة الإنجليزية وركوب الحمار الإنجليزي.. ثم الثورة الفرنسية وركوب الحمار الفرنسي.. ثم الثورة الأمريكية وركوب الحمار الأمريكي.. ثم الثورة الإسبانية وركوب الحمار الإسباني.. ثم الثورة الروسية وركوب الحمار الروسي.. وغيرها وغيرها.. ولو أردت أن أحكي لك كيف سقطت ملكيات أوروبا جميعًا لملأت كتابين غير هذا الكتاب الذي بين يديك.. على أية حال لا تتعجل.. يكفيني حاليًا أن تعرف أن الماسونية هي التي أشعلت ثورات أوروبا كلها.. ولقد ذكر لنا "سيربنت" مثالين هما الأهم.

إن "روتشيلد" وأولاد "روتشيلد" وأحفاد "روتشيلد هم أغنى أغنياء العالم حتى هذه اللحظة.. وهي العائلة التي تملك حاليًا نصف ثروة العالم.. ويملكون "البنك الدولي".. وهو البنك الذي لا توجد دولة حاليًا إلا وهي مقترضة منه ملايين لا حصر لها.. ولذلك فيمكنهم التحكم بكل دول العالم حتى أمريكا.. هو البنك الآمر الناهي لكل بنوك العالم بلا استثناء.. أي أنهم فوق الدول.. هذه حقيقة يسهل التأكد منها ببحثٍ سريعٍ على الإنترنت.. وهناك عائلة أخرى في أمريكا هي "روكيفيلر".. وهاتين العائلتين تربطهما علاقات مصاهرة كثيرة وعلاقات عمل.

وحتى أبسّطها لك تخيَّل هرمًا.. ونحن الشعب في أسفل الهرم. . فوقنا مباشرة الحكومات التي تتحكم بنا بلا حول منا ولا قوة.. فوق الحكومات نجد الشركات العظمى أمثال مايكروسوفت وسوني وغيرها ممن يتحكمون باقتصاد تلك الحكومات.. فوق الشركات العظمى نجد البنوك الكبيرة المسيطرة على رؤوس الأموال.. ثم فوق البنوك الكبيرة نجد البنوك المركزية مثل البنك الفيدرالي الأمريكي الاحتياطي.. في قمة الهرم المصدر الأصلي لكل

أموال العالم وهو بنك التسويات الدولية وهو الموجِّه الحقيقي لكل تلك بنوك العالم ويراقب عملها وهذا البنك الأخير هو ملك لعائلة "روتشيلد" وشركائهم.. وهو المحرك الحقيقي للدول من وراء الستار.

أشعر في عينيك بعدم تصديق لكلامي.. هل يعقل أن الماسونية هي التي دبَّرت كل هذا؟ نعم يعقل.. هل تريد أن ترى دليلًا ملموسًا؟ إذن تعالَ معي إلى الغابة البوهيمية.. هيَّا نعم أنا لا أمزح.. تعالَ إلى الغابة البوهيمية.. غابة في شمال كاليفورنيا.. يلتقي فيها كل سنة نخبة الولايات المتحدة الأمريكية في اجتماع كبير.. الرئيس الأمريكي والوزراء وكبار رجال المال والأعمال والسياسيون وكبار رجال الجيش والإعلاميون وحتى رجال الجامعات.. الذين وصلوا في الماسونية إلى درجات متقدمة جدًّا.. وهو اجتماع سري لا يسمح للصحافة بأن تنفذ إليه أبدًا تحت أي ظرفٍ من الظروف.. وما يقال للعامة إنه اجتماع لمدة أسبوعين يرفه فيه هؤلاء الكبار عن أنفسهم ويستجمون وينسون قليلًا همومهم الضخمة ومسؤولياتهم.. فقط لمدة أسبوعين في السنة.

تقام في هذا التجمع عروض مسرحية سرية واستعراضات وهكذا.. وذات يوم من الأيام نجح صحفي أمريكي في التسلل إلى داخل الغابة البوهيمية وتصوير ما يحدث بالداخل بالصوت والصورة.. صحفي يدعى "أليكس جونز".. وكان ما صوره عجيبًا.. فضيحة عالمية هزت أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية كلها.

كان ما صوره بكاميرا الفيديو خاصته هو الطقس الرئيسي الذي يقام على المسرح الرئيسي في تلك الغابة البوهيمية.. طقس عبادة لأحد الأصنام.. فالحقيقة أن كبار رجال الدولة كانوا يعبدون صنمًا في عصر يُفترض أن انقرضت فيه عبادة الأصنام.. ولولا المبالغة لقلت أن هناك تشابهًا مريعًا

بين الفيديو المعروض وبين ماكان يصنعه البابليون قديمًا من عبادة الأصنام.. أو حتى ما كان يصنعه كفار قريش العرب.

ومن يرى الفيديو لأول مرة سيرد على ذهنه أنها مسرحية إغريقية.. فأنت ترى أناسًا بملابس احتفالية يؤدون مشهدًا مسرحيًّا ما.. يقفون على مسرح حجري مقام على بحيرة صغيرة.. هذا ما تراه في الوهلة الأولى.. ثم تفطن إلى أن هناك تمثالًا كبيرًا أسود لبومة ضخمة بشعة.. والممثلون في العرض يتوزعون حول البومة يحملون مشاعل في أياديهم ويبدون أقزامًا بجانب ضخامتها.. ثم تسمع صوتًا يتحدث بلهجة ساحر يؤدي طقسًا ما.. رأى المشاهدين على كل الشاشات هذا المشهد بصوت واضح جدًّا لكن لم يفهم أحد شيئًا.. وكما تعرف. . أنا هنا لأجعلك تفهم.. سأنقل لك مقاطع من تلك الطقوس وليس كلها لأن فيها الكثير من الثرثرة الفارغة.. وسأوقف الفيديو كل حين لأشرح لك.. تابع معي. .

في البداية يقول المتحدث بصوته المسرحي. .

" السيد البومة في معبده المصنوع من أوراق الشجر.. الكل في هذه الغابة يوقره.. ارفعي رؤوسك أيتها الأشجار الكبيرة.. وارفعي قممك أيتها الأعشاب الصغيرة.. انتبهوا فهاهو ضريح بوهيميا المقدَّس.. ومقدسة هي الأعمدة التي تحمل بيته"

إذن فهناك بومة مقدسة.. ولها معبد.. وكل الحاضرين في هذه الغابة من رجال الدولة يوقرونها.. وهناك أيضًا ضريح مقدَّس.. والضريح هو القبر الذي له شأن ما.. مثل مقام أو مزار.. قال الصحفي الذي صوَّر المقطع إن هذه طقوس عبادة أوثان.. وأن الوثن المعبود هنا هو الإله البابلي القديم "مولوك".. لكن هذا ليس صحيحًا.. فمولوك هذا تيس وليس بومة.. ولم

يتحول إلى بومة في أي حضارة من الحضارات.. الحقيقة أن هؤلاء في طقوسهم هذه إنما كانوا ولازالوا يعبدون الشيطانة "ليليث".. والتي ترمز لها كل الحضارات برمز البومة.. يعبدونها لأنها رمز التمرد.. ولقد أصبحت رمزًا للتمرد لأنه وحسب كلام التلمود اليهودي كانت الشيطانة "ليليث" هي زوجة "أدم" قبل أن يخلق الله "حواء".. ولكن "ليليث" مخلوقة خلقًا مستقلًا مثل "آدم".. أما "حواء" فمخلوقة من ضلع "آدم".. ولما حاول "آدم" أن يتحكم بـ "ليليث" تمردت عليه.. ولما تمردت عليه لعنها الله ومسخها إلى بومة.. فهي بالنسبة لهؤلاء المجتمعين من نخبة الولايات المتحدة تعني التمرد على كل القيود والأديان والعقائد وكل شيء.. فـ "ليليث" بالنسبة لهم مقدسة.. والله هو الذي لعنها لأنه شيء شرير.. يكره البشر ولا يريد لهم الخير.

"الذكريات تعيد أسماء محبوبة لأصدقاء رائعين.. عرفوا هذه الغابة وأحبّوها.. أعزائي رفاق الزمان القديم.. نعم فلندعهم ينضمون لنا في هذه الطقوس.. ولا تكون بيننا مساحات فارغة.. احضروا إلى حكايتنا.. هيًا اجتمعوا يا رفاق الغابة.. وألقوا بتعاويذكم على هؤلاء البشريين.. المسوا أعينهم العمياء على العالم بعنايتكم.. افتحوا أعينهم على أوهامهم.. اتبعوا ذكريات الأمس"

هنا ينادون أعزاءهم الشياطين.. أصدقاءهم منذ فجر التاريخ.. لينضموا إليهم وينقذونهم من طريق الضلال والعمى إلى طريق النور.. وفجأة ترى قاربًا يتحرك في البحيرة ويرسو على المسرح الحجري.. ويُخرج منه أحد الواقفين شيئًا ملفوفًا برداء أسود.. ثم يقول المتحدث..

"هذا القربان الشرير وكل أعماله.. كتم أحلامنا.. وكما أبيدت بابل.. لابد أن تتم إبادته هو أيضًا.. كما جعل الطحالب تنمو على أحجار بابل المتكسرة"

القربان الشرير هنا هو الشيء الذي دمر مدينة بابل.. أول أرض تحالف فيها الإنس والجن الشياطين.. الشيء الذي دمَّر هذا التحالف وحارب السحر.. وهذا الشيء بالطبع هو الله.

"أيها البوهيميون والكهنة.. نداؤكم اليائس الذي ناديتموه بقلوبكم المثقلة قد تمت إجابته.. وبقوة رفاق الزمن القديم.. هذا القربان ستتم إبادته.. وهاقد أحضرنا جسده إلى المحرقة الجنائزية.. ولتغني الجنازة السعيدة.. فمحرقتنا الجنائزية تنتظر جثة القربان.. أنت يامن عبرتَ به إلى الميناء.. هذا القربان عدو لدود للجمال.. وليس لأمثاله الغفران ولا الراحة في القبر.. النار النار ستحقق كل رغباتكم"

يبدو أن البومة المقدَّسة "ليليث" قد استجابت دعواتهم وأرسلت الشياطين رفاق الزمن القديم ليحرقوا الله.. ثم تلاحظ أنهم قد أوقدوا نارًا..

"أحضَروا النار.. أغبياء.. أغبياء.. أغبياء.. متى ستتعلمون.. أنه لا يمكنكم ذبحي.. سنة بعد سنة وأنتم تحرقونني في هذه الغابة.. وتوصلون صيحاتكم المنتصرة إلى النجوم.. وعندما تحولون وجوهكم خارج هذه الغابة.. هل تجدونني منتظرًا كما السابق؟ أغبياء.. أغبياء.. أغبياء إن ظننتم أنكم قتلتموني"

هذا هو الله يتحدث ويتحداهم ويقول إنه لا يمكنهم قتله.. لأنهم كلما يحرقونه كل سنة يعود من جديد..

"قل أيها الروح الساخرة.. ليس كل هذا حلم.. نحن نعلم أنك تنتظرنا.. بعد أن تنتهي هذه الإجازة في الغابة.. وسنواجهك وسنقاتلك مثل العادة القديمة.. والبعض منا سينتصر عليك.. والبعض ستنجح في تدميره.. والآن

دعنا نحرقك مرة أخرى في هذه الليلة.. ومع تلك النيران التي تلتهم روحك.. سنقرأ اللافتة.. الصيف يحررنا"

وهم يتحدون الله.. ولافتة الصيف يحررنا هو رمز للغاية من اجتماعهم في هذه الغابة كل صيف.. أن يتحرروا من الله..

أنتم ستحرقونني مرة أخرى.. ولكن ليس بهذه النيران.. التي أحضرتموها هاهنا.. فمن الأراضي التي أسودها.. يا أيها الأغبياء والكهنة.. سأتفل على ناركم"

لازال الله يتحداهم..

"يا أيتها البومة.. أميرة كل الحكمة البشرية.. بومة البوهيميا.. نحن نلتمس منك.. أن تؤتينا حكمتك"

"لا نار.. لا نار.. لا نار في هذه الغابة.. بل دعها تكون في العالم.. حيث يتغذى هذا القربان الشرير.. على كراهية الإنسان.. اطرديه خارج هذه الغابة.. شعلة واحدة يجب أن تشعل النار.. شعلة واحدة يجب أن تشعل النار.. شعلة صافية خالدة.. عبر نور التحالف العظيم.. في مذبح بوهيميًا"

يلتمسون من البومة المقدسة "ليليث" أن تخلصهم من الله الذي يتحداهم..

"يا بومة البوهيميا العظيمة.. نحن نشكرك على هذه المناشدة.. اذهب أيها القربان البغيض.. اذهب.. ومرة أخرى نحن نبعده.. اذهب أيها القربان.. النار ستحمل رغباتهم.. اذهب أيها القربان.. يا نيران التحالف الخالدة.. مرة أخرى الصيف يحررنا"

وهنا حرقت النار القربان الشرير وهو الله في زعمهم.. وتخلصوا منه لمدة أسبوعين هي مدة إقامتهم في تلك الغابة.. تعالى الله عن كل هذا علوًّا كبيرًا.. سبحانه خالق السماء وخالق الأرض وخالق النار.. خالق الجن وخالق الإنس.. ليس كمثله شيء.. استغفره وأتوب إليه ألف مرة لو تجرأت حروفي على كتابة أحاديث أهل الخسة.. واسمح لي أن أوقف الحديث في هذا الأمر ولنكمل ما بدأناه.. لأنه لم يبقَ لي في هذه الدنيا كثير.. ولو كنت لا تصدقني اذهب وابحث عن صور "جورج بوش" وأبوه و"رونالد ريغان" و"ريتشارد نيكسون في تلك الغابة.. وبعضهم كان يذهب إليها قبل حتى أن يصير رئيسًا.. واذهب وابحث عن منظمة "الجمجمة والعظام" التي هي فرع الإيلوميناتي في أمريكا.. وإلى مقابلة "جورج بوش" في التليفزيون لما كان مرشحًا للرئاسة والمذيع يسأله هل أنت عضو في منظمة الجمجمة والعظام فأجاب: هذه منظمة سرية ولا أستطيع التحدث عن ذلك ونفس الإجابة بالضبط أجابها منافسه "جون كيري" في نفس البرنامج على نفس السؤال بنفس الضحكة اللزجة.

وشاهد المقطع الذي تم تصويره سرًّا لما يحدث داخل محافل منظمة الجمجمة والعظام وهي تحديدًا طقوس الانضمام حيث هناك امرأة تصرخ صراخًا مؤلمًا جدًّا يتداخل مع الهمس.. صرخات من النوع الذي كانت تصرخه "إيميلي روز".. المقطع صوره رجل يدعى "رون روزنبام"

إنه دين رائع دين أولئك الذين يعبدون الحقير "لوسيفر".. دين لا يدعوك للتقشف والرضا وكل هذه الأمور التي امتلأت القبور بالذين يصدقونها.. هذا دين يقدم لك الكاش.. المستقبل.. النساء.. الشهرة لو أردت.. الطاعة لو أردت.. يقدم لك كل شيء كالعصا السحرية.. وهو مثله مثل أي دين آخر.. لابد أن تطيع فيه ربك الذي تعبده.. تطيعه طاعة عمياء.. فلو أطعته

حصلت على النعيم المقيم وليس الوعد المزيف بالنعيم المقيم.. ذلك الوعد الذي لا يمكنك الوثوق به.. بل النعيم المقيم منذ اللحظة التي تخرج فيها من هذا المكان.. ولو أنك عصيت سيكون هناك جحيم.. جحيم محسوس أيضًا سريع جدًا.. ولهذا يسمى المؤمن بالله مؤمنًا لأنه مؤمن بشيء لم يره ولم يحسه لكنه مؤمن به.

فلنر ماذا لدينا من أوراق هذه المرة.. ثلاث عشرة ورقة..

الورقة الأولى هي ورقة زعماء صهيون وعليها صورة شيوخ يهود كما تبدو من شعورهم وسوالفهم الطويلة يرتدون بذلات ويضعون على أكتافهم أزارًا بنيًّا غريبًا..

الورقة الثانية هي ورقة قنوات التلفزيون.. وعليها صورة رجل يشاهد أكثر من عشر شاشات تعرض كل واحدة منها شيئًا مختلفًا..

الورقة الثالثة هي ورقة تأثير الإعلام وعليها صورة رجال كثيرين متجمهرين أمام شاشة تلفزيون كبيرة يشيرون إليها وهي تعرض ما يبدو وكأنه مذيع أخبار..

الورقة الرابعة هي ورقة تأثير التلفزيون على المشاهدين وتبدو فيها صورة تلفزيون ورجل وامرأة يشاهدانه مسحورين..

الورقة الخامسة هي ورقة تقييد حرية الإعلام.. وعليها صورة رجل يبدو إعلاميًّا مكمم فمه بكلمة *Censored* حمراء كبيرة..

الورقة السادسة هي ورقة اندماج البنوك.. وعليها خمسة أسماك بأحجام مختلفة يأكل الكبير منها الصغير.. وكلهم تأكلهم سمكة كبيرة بشعة متوحشة..

الورقة السابعة هي ورقة الديمقراطية وعليها صورة رجل أسود وبنت صينية يعبدون نفس الرب الماثل أمامهم وهو عجل ذهبي..

الورقة الثامنة هي وقة الفضيحة وعليها صورة رجلين على مكتب يفعلان أمرًا يبدو مريبًا منذ قلق وجوههم والصورة تبدو وكأنها من داخل كاميرا تصورهم لوجود كلمة *REC* عليها في زاوية الشاشة..

الورقة التاسعة والعاشرة هما ورقتان لنفس الشيء وهو الانتخابات النزيهة.. وتبدو على أحدهما صورة فتاة سعيدة ترتدي علم أمريكا.. وتبدو على أخرى صورة لنفس الفتاة ترتدي نفس العلم لكن بوضعية أخرى..

الورقة الحادية عشرة هي ورقة التأثير الخفي وراء القضاء.. وعليها صورة قاضٍ يضرب بمطرقته ووراءه ستار أحمر يبدو في منتصفه ظِل رجل يرتدي قبعة..

الورقة الثانية عشرة هي ورقة الفضيحة الجنسية وعليها رجل وامرأة على السرير وهناك من فاجأهما والتقط لهما صورة فيبدو في الصورة مذعورين يرفعان بأيديهما في وجه الكاميرا..

الورقة الأخيرة هي ورقة حرق الأدلة وعليها أوراق تبدو مهمة يتم حرقها..

الحكاية القادمة في الواقع ليست حكاية.. إنما هي محاضرة.. حضر فيها 300 من أغنى رجال صهيون.. من وصلوا للدرجة الثالثة والثلاثين في الماسونية.. كبار رجال السبط اليهودي الثالث عشر.. كان هذا بعد الثورة الفرنسية وقبل اندلاع الثورة الروسية.

المحاضر فيها يدعى "تيودور هرتزل".. وهي المحاضرة التي اشتهرت بتسجيلها في كتاب يعد أخطر الكتب على الإطلاق.. كتاب سمي "بروتوكولات حكماء

صهيون".. وهي محاضرة طويلة جدًّا عُقدت على ثلاثة أيام متتالية.. وقد اختصرتها لأجلك.. فحذفت منها كل الثرثرة التي لا طائل منها.. وأبقيت لك فقط الكلام المهم.. لأني أعرف أنك تكره الثرثرة.

أما الآن.. فلنذهب معًا إلى مدينة "بال" في سويسرا.. إلى أحد المحافل الماسونية الكبيرة هناك حيث عُقدت هذه المحاضرة.. ولنجلس وسط هؤلاء الكبار ونستمع إلى "هرتزل" وهو يتحدث إليهم.. لكن أود أن أنصحك نصيحة.. ربما ستجد الكلام صعبًا نوعًا ما.. فعليك أن تركز في كل مقطع تركيزًا شديدًا حتى تستوعبه جيدًا.. ولتجد أن الكلام قريبًا جدًّا مما يحدث في دولتك.. ولو كنت تعيش في أقصى الأرض..

***

ياحكماء صهيون .

1900 بعد الميلاد

اليوم الأول

يا حكماء صهيون.. يا صفوة الأرض.. يا ملوك الذهب.. لقد كان حقا على الله أن يختاركم شعبا.. لقد اصطفاكم من بين شعوب العالم البهيمية الفاسدة (الغوييم) لتؤسسوا مملكته العظيمة على الأرض.. وها نحن نلتقي اليوم في هذا المحفل.. وغدًا وبعد غد.. وستكون هناك اجتماعات أخرى فيما سيأتي من السنين.. نحن هنا اليوم لنتحدث في أمر خطتنا الاستراتيجية العظيمة الكاملة التي بدأها أسلافنا.. وسلمها أسلافنا لأسلافنا.. ثم سلمها أسلافنا إلينا.. وكان حقًّا علينا أن نسلمها نحن لمن سيأتي بعدنا.. ولو انحرفنا عنها حطمنا عمل قرون طويلة.. فالحذر كل الحذر يا بني إسرائيل.

أنتم تعلمون جيدًا أصول الخطة القديمة.. تعلمون كل الأعمال الجليلة التي قدمها لشعبنا الملاك الساقط "بافوميت".. والخدمات العظيمة التي أداها في خريطة العالم التاريخية الملاك الساقط الجليل "سيربنت".. لا داعي للخوض في تفاصيل تاريخية نحفظها جميعًا عن ظهر قلب.. يا حكماء صهيون.. لقد حان دورنا في هذه الحكاية العظيمة.. لقد آن الأوان الذي ننفض فيه عن أكتافنا كل ما علق بها ونتحرك.. ونحرك العالم كله إلى الناحية التي نريد.

إن أعظم طريقة يمكنك أن تحطم بها مبادىء أي جيل.. سواء الدينية أو الاجتماعية.. ليس بنقض هذه المبادىء أو تغييرها.. ولكن بتحريفها عن مواضعها ووضع تفسيرات لها لم يقصدها واضعوها.. ولذلك حالفنا الحظ ببركة الأفعى "سيربنت" بتغيير مبادىء المسيحية لتصير شيئًا آخر تمامًا غير ما أُريدَ لها أن تكون.. وكذلك الإسلام الشيعي المشوه الذي تمكنا من السير

به إلى طريق آخر تمامًا يعارض إسلام محمد.. بل ويحاربه.. بل ويستعين على حربه بأعدائه.. وهذه هي العبقرية اليهودية بعينها.

قد نعرض في هذه الخطة بعض الأمور الغير أخلاقية والتي نحن مأمورون بالقيام بها.. لكن تذكروا دائمًا.. إن هذه الأمور كلها تصير أخلاقية تمامًا بالنسبة لشعب مثل شعبنا.. شعب مضطهد مُهاجَم داخليًا وخارجيًا.. واعلموا أنه في هذا الزمن الذي أتى على بني الإنسان .. الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى الخير.

إن قوتنا أعظم من أي قوة أخرى.. لأنها ستظل مستورة حتى اللحظة التي تبلغ فيها مبلغًا لا تستطيع معه أن تسعها أي قوة عظمى ولا أي خطة ماكرة.. حقًّا القوة الخفية هي أكبر قوة.. فمن ذا الذي يقدر أن يخلع قوة خفية عن عرشها.. نعم يا بني صهيون.. فبرغم أننا شعب مشتت.. إلا أن تشتتنا هذا هو سر قوتنا.. لأنه سمح لنا أن نتسلل إلى كيانات كل شعوب العالم ونصعد فيها إلى أشد مراكزها حساسية.. وبهذا صار أمر أقوى شعوب العالم بين إصبعين من أصابعنا نوجههم أينما نشاء.. ولقد حانت لحظة التوجيه يابني إسرائيل وانتهت مرحلة التسلل.

لقد تمكّنا من إشعال نار الثورة الفرنسية.. نحن من نادى أول مرة وقال "حرية.. إخاء.. مساواة".. كلمات كلما رددها الناس كلما فشلوا أكثر وتقيدت حرياتهم أكثر.. إن هناك كلمة نتنة تقال دائمًا.. ديمقراطية.. لا شيء يدعى ديمقراطية أو تحرُّرًا وما إلى ذلك.. كل هذا وهم.. نحن الوحيدين الذين نعرف أنه وهم.. ونحن الوحيدين الذين نعرف متى نسخر هذا الوهم ليكون طُعمًا لجذب الناس إلى صفنا.. سنشرح لاحقًا حقيقة هذا الوهم شرحًا وافيًا.. لكن مبدئيًا.. اعلموا أن كل الناس غوغاء مفترسون عميان يحتاجون إلى القوة لتكبح جماحهم.. وهذه القوة تأتي في الديكتاتورية

الاستبدادية وحدها.. أو الديمقراطية متنكرة في هيئة شيء يدعى القانون.. والكل يخضع له.

الديمقراطية تعني الفوضى.. كيف يمكن أن تثق في أحكام الغوغاء الذين يجتمعون بمناقشات ومجادلات.. مع أنه يمكن مناقضة مثل هذه المناقشات بمجادلات ومناقشات أخرى خبيثة لكنها مقنّعة بقناع عالٍ من الإغراء.. والجدال مفيد لأنه يحول الأمور من سعي لمعرفة الحق إلى سعي الجدال نفسه.. إن الجمهور الغر الغبي ينغمس دائمًا في هذه المناقشات بطريقة تعوق كل إمكان للاتفاق ولو على المناقشات الصحيحة.. فإن اتفقوا على رأي أغلبية يكون رأيًا مشبعًا بالجهل بالأسرار السياسية.. وهذا ما يبذر بذور الفوضى في الحكومة عندما تقول إنها ديمقراطية.. ولهذا فقد قدمناها إلى حكومات الغوييم البهائم على أنها أرقى أنواع الفكر الإنساني.

ولو تفكر أصحاب الديمقراطية والجمهورية قليلًا لوجدوا أن الشعوب الآن تتحمل من وزرائها ورؤسائها إساءات لو حدثت في الماضي كانوا سيقتلون من أجلها عشرين ملكًا.. لكنهم لا يقرأون التاريخ ولا يحبونه.

الاستبداد وحده هو الذي يقيم الحضارة.. فهل يمكن لخطة مجزأة عدد أجزائها بعدد العقول التي صنعتها أن تقيم حضارة؟ محال طبعًا.. فالغالب أنها تكون حضارة هشة ضائعة القيمة.. فالجمهور بطبعه بربري.. وفور أن تعطيهم شيئًا من الحرية فهم يمسخونها إلى فوضى.. القوي يحكم دائمًا والضعيف يخضع دائمًا.. لهذا ينجح الأب في تربية ابنه الصغير.. ويفشل في تربية ابنه الكبير.. ولذلك في حكومتنا يجب أن نكون صارمين جدًّا في كبح كل تمرد.. أما الكلمات الجوفاء والتربيت على الرؤوس وهذه الترهات كلها يجب أن تكون من خصال حكومات الغوييم.

الحقيقة التي يفرضها علينا هذا الزمان هي الاستبداد.. قل لي ما نوع الحكومة التي يمكنها أن تحكم مجتمعًا تفشَّت فيه الرشوة والفساد حتى ذبلت أوراقه وتساقطت.. قد تقول لي إن حكومة الاستبداد هذه قد ولَّى زمانها ولم تعد تصلح للعصر الحديث.. لكنني سأبرهن لك أن العكس هو الصحيح.. لما كان الناس ينظرون إلى ملوكهم نظرة من معهم إرادة من إرادة الله.. كانوا يخضعون في هدوء لاستبداد ملوكهم.. لكن لما أوحينا لهم بفكرة الحقوق والمساواة وما إلى ذلك بدأوا في النظر إلى الملوك نظرتهم إلى أبناء الفناء العاديين وسقطت عنهم المسحة المقدسة.. وبهذا لن يقبلوا منهم استبدادًا ولا حتى نصف استبداد.

إن السياسية لا تتفق مع الأخلاق في شيء.. والحاكم الملتزم بالأخلاق ليس بسياسيٍ بارعٍ.. وهو لذلك غير راسخ على عرشه.. لابد لطالب الحكم من الالتجاء للرياء والنفاق والمكر.. الإخلاص والنبل والأمانة تصير رذائل في السياسة.. وهي تساهم في زعزعة العرش بأكثر مما يساهم ألد الخصام.

وإني أود أن أحدثكم في أمرٍ هام.. كيف يمكن أن تستعبد دولة كبيرة مثل روسيا.. في البداية قم بتوسيع الفجوة مابين الحكومة الغبية والشعب الغوغاء العميان.. وزد من كراهية كل طرف للطرف الآخر.. فكلما زدت من كراهية الشعب في نفوس حكومته الغبية .. ستقوم بإساءة استغلال قوتها الغاشمة وتكسر قوانين الديمقراطية العفنة.. وكلما زدت من كراهية الحكومة في نفوس شعبها سيبدأ في التمرد على القوانين العفنة التي وضعتها حكومته ثم كسرتها.

وإن أي دولة تنتكس فيها هيبة القانون وتصير شخصية الحاكم فيها عقيمة بتراء.. هنا يمكننك أن تتخذ خطًا هجوميًا وتقوم بثورة أو انقلاب تحطم فيه كل القواعد والنظم القائمة.. وتمسك بالقوانين فتلقيها في أقرب قمامة

وتعيد تنظيم الهيئات جميعًا.. وبذلك تصير ديكتاتورًا على حكومة تخلصت بمحض إرادتها عن قوتها وأنعمت بها عليك.

وعندما تقع الدولة بعد ذلك في قبضتنا.. ولأننا نحن اليهود مالكوا الذهب الوحيدون في العالم.. سنقدم لهذه الدولة عودًا تتعلق به.. وهذا العود هو المال.. فإن تعلقت به أصبحت عبدة لنا.. وإن لم تتعلق به غرقت إلى الأبد.. إن الذهب هو المحرك الأول لعجلة أي دولة.. وطالما نمتلكه ونحتكره فيمكننا شل حركة أي دولة في أي وقت نريد.

نحن اليهود وحدنا من نملك الاقتصاد.. علم الاقتصاد هو مملكتنا.. إننا محاطون بجيش كامل من الاقتصاديين.. وأغلبهم حاضرين معنا اليوم.. أنتم أقوى سلاح من أسلحتنا سواء كنتم رؤساء بنوك أو أصحاب صناعات أو أصحاب ملايين.

نحن إذا صارت دولة من الدول في قبضتنا فسنعهد بالمناصب الحكومية الرئاسية أو الوزارية فيها إلى القوم الذين ساءت صحائفهم ولديهم في تاريخهم نقاط سوداء يخفونها دائمًا.. فإذا عصوا أمرنا توقعوا المحاكمة أو السجن.. وبهذا فسيدافعون عن مصالحنا حتى النفَس الأخير الذي تنفث به صدورهم.. وأحيانًا لابد أن تظهر الحكومة بمظهر المعارضة لنا.. لكنها في حقيقة أفعالها موالية لنا ولمصلحتنا قلبًا وقالبًا.

ولكننا نخشى أكثر ما نخشى في هذه الدول أن تتحالف قوة الحكام مع قوة الرعاع العميان.. لكننا أخذنا كل احتياطاتنا لضمان عدم وقوع هذا.. فقد أقمنا بينهما سدًّا قوامه الرعب الذي تحسه كل واحدة منهما من الأخرى.. وحتى نضمن بقاء هذا السد لابد أن نكون متصلين بكل الطوائف.. ليس

بصورة مباشرة طبعًا ولكن عبر أكثر عملائنا إخلاصًا.. وهؤلاء هم من يخاطبون الرعاع ويوجهونهم أينما نراه نحن مناسبًا.

ولتسهيل تنفيذ كل هذه المخططات لابد أن يكون لنا وكلاء دوليين لديهم ملايين العيون ووسائل غير محدودة على الإطلاق.. وهؤلاء يوجهون الحكومات.. أما الشعب فلا يوجد أسهل من توجيهه.. وتوجيهه يكون بكلمة واحدة سأفصل في أمرها لاحقا.. الصحافة.. وهي السلاح الذي لا يدري الغوييم كيف يستخدمونه.. ونحن سنلعب به دائما من وراء الستار.. وهو الشيء الذي يوجه الناس للاتجاه الذي نريده تماما.

من اللازم أن نضع في كل المجتمعات هيئات نصبغها بصبغة تحررية لها خطباء مفوهون يسحرون العامة بالكلام البليغ.. وهو مجرد كلام بدون أفعال حقيقية.. لكنه يسحرهم ويصدقونه في يأسٍ أملًا في تغيير الحال.. في نفس الوقت سنزيد المرتبات ونزيد الأسعار في ذات الوقت.. فنرهق أصحاب الأعمال برفع المرتبات.. ونرهق العمال برفع الأسعار فلا يستفيد أحدٌ شيئًا إلا مزيدًا من الإرهاق.

بالنسبة للحكومات فسنختار لها رؤساء إداريين ووزراء ممن لهم ميول العبيد.. ليخضعوا لسلطة مستشارينا الحكماء الذين تدربوا على السياسة منذ كانوا أطفالًا.

سنبدأ بروسيا ثم سندور مع دوران الأفعى "سيربنت" في أوروبا حتى تصير أوروبا مغلولة بأغلال لا تنكسر.. ثم ستكون مرحلة في غاية الحساسية والخطورة.. الإمبراطورية العثمانية الكبيرة.. سينزل إليها "سيربنت" وسننزل معه.. ولن نهدأ حتى نهلكها هلاكًا لا قيام بعده.. ثم سيختتم "سيربنت"

أوزاه ليهبط في أورشليم.. وسنهبط معه.. وهناك ستكون دولتنا.. هناك ليلاقي شتاتنا في الأرض.

لما نستقر في دولتنا.. سنكون قوة دولية عظيمة إذا هاجمتها إحدى الحكومات قامت الأخرى بنصرتها.. عندها سيمكننا أن نبدأ في إعداد العالم كله لاستقبال الملك "هاماشياح" الذي نعده لحكم العالم أجمع.

اليوم الثاني

يا علماء صهيون وصفوة صفوتها.. لقد وصلت قوتنا اليوم إلى حدِّ أن أي معاهدة تتم في العالم الحالي لابد أن تكون لنا يدٌ خفية فيها.. ولقد وصلت قوتنا إلى حد أننا نحن الآن من نقرر العقوبات.. نعدم من نشاء ونعفو عمن نشاء.. ولم نصل لهذا إلا لأن الله أعطانا عبقرية لم يعطها لأي شعب من شعوب الأرض.

اليوم هو اليوم الثاني وغدًا سيكون اليوم الأخير لهذا الاجتماع التاريخي.. ويجب أن يعرف الجميع أنه وبدون أن أنوّه.. لابد أن يظل كل ما يدور في هذا الاجتماع طي الكتمان التام. رغم أن الغوييم بطبيعتهم ذوو عقول بهيمية محضة لا يمكنهم ملاحظة أي شيء فضلًا عن التكهن أو تحليل أي شيء.. على النقيض منا بالضبع.. فهذا الاختلاف في العقلية بيننا وبينهم يرينا لماذا اختارنا الله وأعطانا طبيعة ممتازة فوق البشرية.. ولو ظهرت هذه العبقرية لغير اليهود فهي عارضة مصادفة لا أصلية.. ويجب علينا حربها لأنها خطرٌ كبيرٌ علينا.. بغض النظر عن هذا سأبدأ الحديث اليوم بشرح النظام الجمهوري والذي سنبدله مكان النظام الملكي في كل الدول التي سيمر عليها الأفعى "سيربنت".

الملك في النظام الملكي سيُستبدل بشيءٍ هزلي يدعى الرئيس.. وسنختار لهذا المنصب رجلًا لديه فضيحة من الفضائح السرية.. ونحن نعرفها جيدًا.. أخلاقية كانت أو جنسية أو رشوة.. بحيث يكون طوال فترة حُكمه أسيرًا للخوف من التشهير به.. وسنضع تحت يده شيئًا هزليًا ما يدعى مجلس الشعب.. وهو مجموعة من الناس ينتخبهم الشعب للتعبير عنه.. وهذا المجلس هو الذي سينتخب الرئيس ويحميه.. ولكننا سنسحب من هذا المجلس سلطة تعديل القوانين.. فيكون للرئيس السلطة الكاملة.. فالرئيس في نظامنا هذا هو رئيس الجيش أيضا.. فمن حقه إعلان الأحكام العرفية لحماية الدستور الجمهوري الجديد كما سيدعي.. ولن يكون من حق مجلس الشعب هذا أن يعرف أو حتى يسأل عن القصد من مخططات الدولة.. وسلطة تعيين رئيس مجلس الشعب الهزلي هذا تكون في يد رئيس الدولة فقط.. باختصار هو مجرد مجلس من ورق لا فائدة حقيقية منه.

وللرئيس حق حل المجلس في أي وقت وعمل مجلس جديد.. ومن حق الرئيس أن يخالف أي قوانين موجودة ويضع قوانين وقتية في أي وقت.. وحجته في ذلك ستكون مصلحة البلاد.. وبهذا تكون الحكومات ديكتاتورية في الحقيقة ديمقراطية في الظاهر.. وممثلوا هذه الحكومات ما هم إلا أستار أو آلات لتنفيذ ما تريده الإدارة المتمثلة في الرئيس وأعوانه من الوزراء.. وهؤلاء ماهم إلا ستار لتمرير ما نود منهم أن يمرروه.

ولأننا سنقيم الاضطرابات الدائمة بين الشعوب والحكام وسنضيق الخناق الاقتصادي على جميع الدول.. ستنوء الشعوب بحكّامها يومًا ما وينادون بعزل أولئك الحكام جميعًا وتعيين حاكم عالمي واحد يستطيع أن يوحّدهم ويمحق كل أسباب الخلاف.

نحن الوحيدين في هذا العالم الذين نملك أسرار الماسونية ونَقودها.. فأنّى للغوييم أن يفهموا مقاصد وأهداف الماسونية وهم غوييم خنازير لا عقل لهم.. وعلينا أن نضاعف خلايا الماسونية ومحافلها في جميع بلدان العالم.. وسنجذب إليها كل من يُعرف عنه أنه ذو روح عامة شهيرة.. وكل هذه الخلايا ستكون تحت قيادة واحدة مؤلفة من حكمائنا.. ولابد أن نضم إلى هذه الخلايا كل الوكلاء في البوليس السري في أي دولة لأنهم قادرون على إسدال الستار على مشروعاتنا وأن يعاقبوا من يكثر ضجيجهم ويسببون لنا الصداع.. وسنجد أن معظم الداخلين لهذه الخلايا من المغامرين الراغبين في الثراء السريع ونحن نمتلكه وحدنا.. وسنستغل هؤلاء لدفع عجلة هذه الخلايا إلى أي اتجاه نشاء.

وبالنسبة للصحافة.. فيجب أن نردع كل الصحف التي تحاول المساس بنا ردعًا حازمًا بسُلطتنا.. ولكن يجب أن ننشر هجومًا على أنفسنا من آنٍ لآخر نحن الذين نكتبه.. ويكون في الواقع هجوم على النقاط التي نود تغييرها في سياستنا.. هكذا تكون العبقرية الحقة.. وكل المعارضات التي سندبرها لأنفسنا ستكون معارضات سطحية لا تقترب من الأمور الهامة.

ولابد أن نتحكم نحن وحدنا بالأخبار دون غيرنا.. فمعروف أن الأخبار تصل للصحف عن طريق وكالات معدودة تتركز فيها الأخبار وتوزعها على الصحف.. وحينما نصل إلى السلطة سنمتلك كل هذه الوكالات ولن ننشر إلا ما نحتاج إلى التصريح به من أخبار.

ولابد أن نشتري أكبر عدد من الصحف بأنواعها الثلاثة.. الصحف الحكومية يجب أن ترعى مصالحنا كلية.. والصحف الشِّبه رسمية الهدف منها هو استمالة قلوب المحايدين.. أما الصحف المعارضة هي النوع الثالث

وهي ستظهر وكأنها مخاصمة لنا.. وسنجذب بها كل معارضينا ليفرغوا فيها أفكارهم.. وبالتالي نتركهم يكشفون لنا أوراقهم بأنفسهم.

أما ناشروا الصحف أنفسهم فيجب أن نختارهم ليكونوا من أصحاب الفضائح السرية المخزية التي نعرفها وستسمح لنا بكشفهم في حال أردنا ذلك متى أردنا ذلك عند ظهور أي بادرة من بوادر العصيان لديهم.

فصحفنا يجب أن تدعم وتمثل كل الطوائف بلا استثناء.. وبهذا تكون مثل الإله الهندي "فيشنو" ذي مئات الأيادي.. وكل يد منهم ستجس لنا نبض طائفة من طوائف الرأي العام المتقلب.

بالنسبة للنشر فيجب أن تكون هناك هيئة في كل دولة تسمح أو ترفض نشر المنشورات.. سواء كانت كتب أو أفلام أو دوريات.. وهذه الهيئة يجب أن تكون بين أيدينا نحن.. لنقدر على التحكم بكل ما ينشر في كل مكان.. فالأدب والثقافة أعظم سلاح لنهضة أي أمة وطالما هما في أيدينا فسنكون مطمئنين.

حتى نبعد الناس عن مناقشة الأمور المهمة سنختلق لهم دائمًا مشاكل جديدة تبعدهم عن هذا.. مشاكل اقتصادية أو سياسية في بلدانهم.. وحتى نلهي عقولهم عن الخوض في المسائل التي لا يجب عليهم الخوض فيها سندعوهم لمختلف مزجيات الفراغ مثل المسابقات الرياضية والفنية على اختلاف أنواعها.. فالجماهير الغوغائية مثل الطفل.. عندما يلح في طلب شيء ما تقول له "انظر هذا العصفور" فينظر له ناسيًا ما كان يلح على طلبه.

لن يرتاب أحد في أننا نحن الذين ندبر كل مشكلات الدنيا عبر خطة سياسية لم يفهمها بشر طوال قرون كثيرة.. ولو قيل لأحدهم أننا ندبر كل

هذا فسيقول مستهزئًا إن هذا مستحيل.. لأنه لا يمكن لأحد أن يدبر كل هذا ويخطط لكل هذا.. غير عالم أننا في سبيل أن نصل لما وصلنا إليه كافحنا وضحينا بكل شيء حتى ملكنا الذهب والمال وصرنا أغنى أهل الأرض.. ومن يملك المال يملك كل شيء.

لقد تفضل علينا الملاك الساقط "سيرينت" بتدمير كل العقائد البشرية وتحريفها عن مواضعها.. فابتدع الناس التلمود بعد التوراة وجعلوا عيسى ابنًا لله وإلهًا معه بعد أن كان رسولًا.. ورغم أننا لم نقدر على تدمير الإسلام تمامًا كما فعلنا مع اليهودية والمسيحية إلا أننا أخرجنا من عباءته الشيعة فأذاقوه ويلات كانت تتفق في شدتها مع ضربات أشد أعداء المسلمين.

فما وصلنا لما وصلنا إليه إلا لأننا نشرنا جوَّاسيسنا في كل بلدة وجعلناهم يذوبون مع المجتمعات ذوبانًا لا يمكن تمييزهم به.. وهؤلاء يعطوننا تقاريرَ مفصَّلة عن حالة تلك البلدان الاجتماعية والسياسية والدينية ونبض الشارع الحقيقي.

في ختام هذا اليوم أود أن أقول إن الغوييم الحمقى لن يعرفوا أبدًا الطريقة المثلى للتعامل مع أي ثورة.. إن الثورة ما هي إلا نباح كلب على فيل.. مجرد نباح.. وليس على الفيل إلا أن يظهر قوته مرة واحدة لتشرع الكلاب في البصبصة أذنابها لما ترى الفيل.

اليوم الثالث والأخير..

لن أطيل الحديث في هذا اليوم.. سيكون مجرد تنويه بسيط.. وأمل أن يكون الكل قد راجع وكتب وفهم وحفظ.. إن حكام الغوييم بسبب جهلهم.. وكلهم جهلة بالمناسبة قد أجبروا حكومتهم على الاستدانة من بنوكنا أموالا طائلة لو عاشوا قرونًا على قرون لن يستطيعوا أداءها.. نحن عملنا طويلًا

لنصل إلى هذا.. لقد عملنا طويلًا ياسادة حتى نجحنا في استعباد الجميع.. حتى نجحنا أن ندخل الدول جميعها في هذه الدوامة التي لا فكاك منها.. ويجب أن نحافظ على ما فعلناه.. ومافعلناه إلا بتوجيه من حضرة جنابه الكريم.. مليكنا الذي سيحكم العالم كله من عرش داوود.. ومن نسل داوود.

نعم نمتلك الذهب.. ونعم يمكننا في أي وقت أن نسحب منه أي مقدارٍ نشاء من حجرات كنزنا السرية.. ذلك الذهب الذي ظللنا نكدسه قرونًا طويلة.. وفي النهاية ياسادة ستوزع عليكم الآن الوثيقة للتوقيع عليها جميعكم.. لقد اجتزنا دربًا طويلًا.. وإن أمامنا درب أطول وأشد بأسًا.. وعلينا أن نكون متيقظين.

وقَّع على الوثيقة ممثلوا صهيون الماسونيين من الدرجة الثالثة والثلاثين.

تمتً

***

كيف تسربت هذه المحاضرة إلى العامة؟ إنَّ لهذا قصة..

كان أحد الحاضرين في هذه المحاضرة رجلًا سكيرًا.. وقد عاد إلى مخدعه ليستمتع بإحدى الفتيات المومسات.. هذه الفتاة التي سرقت حقيبته ظنًا منها أنها تحوي مالًا وفيرًا جديرًا برجل ملياردير مثل هذا.. لكن تلك الحقيبة في الواقع كانت تحتوي على المستندات التي سُجلت فيها هذه المحاضرة بالكامل.. وقد كانت مكتوبة باللغة العبرية.

لم تفهم الغانية شيئًا بالطبع فأعطت هذه المستندات لرجل مهم من زبائنها.. رجل روسي صادف أن يكون هو "نيكولا نيفيتش" كبير أعيان روسيا القيصرية.. وقد استشعر أنها مستندات تبدو غير مريحة فأعطاها إلى مترجم روسي كان صديقًا له وهو "سيرجي نيلوس" ليترجمها إلى اللغة الروسية.. ولما ترجمها هذا الأخير فزع فزعًا شديدًا من محتواها وأخبر "نيكولا" بفحواها كلها.

غضب "نيكولا" غضبًا شديدًا جدًا وقرر أن يفضح اليهود وكبراءهم على الملأ.. ففي هذه المستندات ذِكر واضح أن اليهود ينوون أن يقيموا ثورة في روسيا كما فعلوا في إنجلترا وفرنسا.. كانت روسيا أيامها قيصرية.. وكان اليهود مضطهدين فيها.. ولقد طبع "نيلوس" كتابًا نشر فيه هذه المستندات كاملة مكملة.. كتاب سمَّاه "بروتوكولات حكماء صهيون".

جنَّ اليهود جنونًا كبيرًا وزعموا أن كل هذا كذب وافتراء.. لكن من قرؤوا الكتاب لم يصدقوهم لتطابق ما حدث فيها مع ما حدث في العالم.. ويستحيل أن تجتمع كل تلك المصادفات لتخدم اليهود وحدهم.. جن جنون العالم على اليهود خاصة بعد أن تمت تصفية "نيلوس" صاحب الكتاب بطريقة مريبة.

وبدأت المذابح تقام ضد اليهود في روسيا.. وأول مذبحة راح ضحيتها عشرة آلاف يهودي.. وكافح اليهود طويلًا لإيقاف تلك المذابح حتى نجحوا في وقفها باستغلال نفوذهم في بريطانيا للضغط على روسيا.

وفجأة حدثت الثورة الروسية كما توقعت البروتوكولات تمامًا.. حدث الانقلاب الشيوعي وسقطت روسيا في قبضة البلاشفة الذين كان أكثرهم من اليهود.. كان الناس يريدون الهرب من القيصرية فوقعوا في جحيم الشيوعية اليهودية.. وبدأت الشيوعية في التسلل بسمومها اليهودية إلى كل الدول الملاصقة لروسيا.. فالشيوعية باختصار هي الكفر بكل الأديان مع الانحياز للدين اليهودي.

وبدأت البروتوكولات في الظهور في العالم مرة أخرى عندما تُرجمت إلى الإنجليزية.. لكن نجح اليهود عبر نفوذهم في وقف انتشارها في بريطانيا.. ثم ترجمت إلى الألمانية ونُشرت في ألمانيا لكن اليهود نجحوا أيضًا في وقف انتشارها عبر نفوذهم في ألمانيا.

ثم انتشرت في أمريكا وإيطاليا لكنها اختفت بنفس سرعة انتشارها.. وظهرت إشاعة مفادها أن كل من يقوم بترجمة أو نشر هذه البروتوكولات تتم تصفيته.. وفي النهاية وصلت إلى مصر.. وتحديدًا إلى "أنيس منصور" الذي رفض ترجمتها خوفًا من الإشاعة.. ثم أخيرًا وصلت إلى "عباس محمود العقاد".. والذي ترجمها إلى العربية بشجاعة نادرة ونشرها.

وأخيرًا ذكرها الممثل المصري "محمد صبحي" في مسلسل من كتابته ورؤيته يدعى "فارس بلا جواد".. وقد انزعجت إسرائيل أيما انزعاج من ذلك المسلسل ووصفته بأنه معادٍ للسامية.

الطريف في الأمر أنه على أغلفة كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون" كان الناشرون يرسمون أفعى.. رأسها حكماء صهيون الذين يبتسمون بخبثٍ وجسدها الشعب اليهودي.. وأنها تمر على البلاد الأوروبية لتسقطها وتشعل فيها النيران والفتن والثورات.. غير عالمين أنهم في الحقيقة قد رسموا رسمًا كاريكاتوريا للأفعى "سيربنت".. الشيطان.

وعمومًا لم يكن هذا هو اجتماع حكماء صهيون الوحيد.. وإنما اجتمعوا مئات الاجتماعات بعدها ليناقشوا نفس الخطة ويراجعوها ويعدلوا عليها.

ولم يكن هذا هو الكتاب الوحيد الذي مات مؤلّفه بشكل مريب.. بل هناك كتب أخرى مثل كتاب "أحجار على رقعة الشطرنج" للمؤلف "ويليام جاي كار".. وكتاب "اليد الخفية" ومؤلفه الأمير الاسكندنافي "شيريب سبيريدوفيتش".. وهذا الكتاب الذي بين يديك الآن والذي سيموت مؤلفه بعد سويعات قلائل.

لقد ذكر حكماء صهيون الإعلام وسطوة الإعلام.. إن أكبر منوم في التاريخ هو عبارة عن صندوق صغير موجود في زاوية الغرفة.. وهو يملي علينا باستمرار ما يجب أن نؤمن به على أنه حقيقة واقعة.. وإني أود أن أصرخ في أذنك بشيء عن الإعلام.. كل ما تسمعه من الإعلام أو من السياسيين هو عن نقاط اختلافنا.. الأشياء التي تمزقنا.. الأشياء التي تفرقنا.. هكذا يريدون لنا.. سيركزون على أي شيء يجعلكم تتفرقون. . العرق.. الدين.. القومية.. المدخول المالي.. التعليم.. المستوى الاجتماعي.. التوجه الجنسي.. الوظائف.. أي شيء يمكنهم أن يفعلوه ليبقونا متصادمين.

وأنت نفسك يمكن أن تتحول لتكون مثل هؤلاء الحثالة.. عندما تفتح الفيسبوك الخاص بك وترى خبرًا ما يهاجم طائفة لا تميل إليها.. فتضغط

زر المشاركة فتنشر الخبر.. دون أن تتاكد منه وتتيقن.. عندئذ يا صديقي تكون مثل هؤلاء.. حثالة.. لأن ما تفعله يهدم ولا يبني.. ماتفعله يروي الدماء ولا يحقنها.. ماتفعله يخدم كلمة فرق تسد.. فرق أمتك.. فرق بلدك.. هذا ما تفعله حقيقة.

لو أنني رئيس عربي في بلدك هل تعرف ماذا سأفعل؟ سأفعل مثل "علي بن أبي طالب" في أحداث الفتنة بين الصحابة.. سأوحّد كل التيارات حتى تلك التي أشك في وجود عملاء وخونة بينهم.. وسأسقط لك مثالًا على مصر.. وماشاهدته يحصل في مصر.

انقسم المصريون إلى طائفتين.. طائفة مؤيدة للعسكر.. وطائفة مؤيدة للإخوان المسلمين.. وكل طائفة تقول إن الطائفة الأخرى هم عملاء وخونة للبلاد.. فالإخوان في نظر العسكر إرهابيون أرادوا أن يبيعوا مصر.. والعسكر في نظر الإخوان منقلبون خونة ديكتاتوريون سارقون وناهبون وظلمة.. فجأة انقلبوا على بعضهم البعض وصاروا يكيلون لبعضهم الهجمات على أرض الواقع ويكيلون لبعضهم الاتهامات على الفيسبوك.. نسى الكل أنهم مصريين يحملون جميعًا نفس الدم ونفس الهم ونفس اللون ونفس النفس ونفس التراث.

لو أنني رئيس لبلدك مصر فأنا أفهم من الذي من مصلحته أن ينقسم شعبي ويتصارع هكذا.. ولعلك حضرت اجتماع قادة صهيون وتعرف كما أعرف من الذي يغذي كل تلك النعرات ويحييها ويشعلها.. فالخطوة الأولى كرئيس لبلدك هي أن أصلح بين الطائفيتين.. فأنا أفهم أنه ولو كان هناك خونة أو عملاء في أي طائفة منهما فهؤلاء الخونة لا يمثلون طائفتهم.. وإنما يمثلون أنفسهم.. فكما أنني لو اكتشفت في المخابرات المصرية جاسوسًا إسرائيليًا لا أحكم على المخابرات المصرية كلها بأنهم خونة.. فأيضًا لو

اكتشفت أن هناك جاسوسًا من الإخوان لا أحكم على كل إخوان مصر بأنهم جماعة إرهابية وألاحقهم كما ألاحق المجرمين بهذا التعسف والغباء.. أتعلم أمرًا؟

حتى لو اكتشفت جماعة من الجواسيس في إحدى الطائفتين.. سأتركهم كما هم.. لن أتخذ إجراء استعراضيًا أفرّق به شعبي إلى قسمين.. سأتركهم حتى تأتي اللحظة المناسبة وأنقضّ عليهم بجريمتهم.. ألم يخبر الله نبيّه "محمد" عن المنافقين وكان يعرفهم؟ ماذا فعل؟ هل قام بمحاكمتهم وملاحقتهم ونفيهم؟ لا لم يفعل.. حتى لا تحدث فتنة ينقسم بها الناس.. لما علم "علي بن أبي طالب" أن قتلة "عثمان بن عفان" هم من كبار قبائل العراق.. ماذا فعل؟ هل ذهب وقاتلهم؟ لا لم يذهب.. بل انتظر لأنه لو قاتلهم ستحدث فتنة وسيخسر قبائلهم كلها.. وكان منهم قواد كبار في جيش المسلمين.. هذا ما سأفعله في بلدك لو صرت رئيسًا لها.. سأترك المنافقين على نفاقهم حتى تحين لحظتهم المناسبة.. لأن في ضربهم تفرقة لشعبي.. وفي تفرقة شعبي هزيمة لبلدي.. ونصر لعدوي.

الأوراق التي تبقت قليلة.. ولدينا هذه المرة ورقة واحدة هي ورقة الأجندة الليبرالية.. وفيها صورة رجل يبدو يهوديًا يمسك بورقة طويلة جدًّا يقرأ فيها بسعادة..

لقد أخبرتك في البداية أن هناك سبعة شياطين تراقبنا.. وسأسمّي لك منهم الشياطين الذن ذكرتهم الحكايات حتى الآن.. الشيطان الأول هو "لوسيفر".. كبير الشياطين وأنت تعرف حكايته مع "النمرود".. الثاني هو "سيرينت" الأفعى .. شيطان الإغواء والفتن.. الثالث هو "بافوميت".. الشيطان معبود فرسان الهيكل .. شيطان السحر وكتب العلوم

الشيطانية.. الرابع هو شيطان من بني الإنسان .. "دراكولا".. وإن روحه المعذبة الدموية تراقبنا أيضًا..

ثلاثة شياطين بقوا لم تعرفهم.. يحملون ثلاثة أسرار.. والحكاية التالية هي حكاية عن شيطان منهم.. شيطان رجيم.. الشيطان الخامس..

***

شيطان بني إسرائيل..

1350 بعد الميلاد - 1912 بعد الميلاد

فجأة أمطرت السماء جثثًا بشرية.. نظر سكان مدينة "كافا" الأوكرانية القديمة إلى سمائهم في ذلك اليوم نظرة من الطراز الذي تنظره إلى الهول ثم تدير رأسك وتفر هاربًا.. لقد كانت السماء تمطر جثثًا على رؤوسهم.. نظرت أنت إلى المشهد بتمعن.. حقًّا إنها جثث تتساقط.. ولكنك ترى بين هذه الجثث كيانًا معلّقًا في السماء.. لا تدري ما هو بالضبط.. عباءة سوداء يهز الهواء أطرافها كما ترى في مشاهد الأساطير.. الرأس يختفي في الظلام لأن العباءة تغطي الرأس أيضًا.. لكن الوجه واضح.. واضح باستفزاز.. الوجه كأنه قناع أبيض له ملامح ساخرة.. كان هذا الكيان معلقًا في الهواء تتطاير من ورائه جثث تُرمَى بسرعة هائلة فوق أسوار مدينة كافا لتمطر على السكان الذين يجرون هنا وهناك غير فاهمين لأي شيء.

حتى تفهم هذا المشهد ينبغي أن تعرف أولًا أن مدينة كافا في هذه اللحظة كانت تغلق أسوارها على نفسها لأن المغول كانوا خارج الأسوار يحاصرون المدينة.. أيامها كان الطاعون الأسود قد بدأ ينتشر في آسيا.. وبدأ يصيب الجنود المغول الذين يحاصرون مدينة كافا.. وتحول غضب المغول إلى أول حرب بيولوجية في التاريخ.. وضعوا جثث جنودهم الميتين بالطاعون على المجانيق وأطلقوها تباعًا لتعبر فوق أسوار مدينة كافا وتسقط وسط أهلها الذين لم يفهموا الأمر في البداية.. ثم فهموه لمّا مات منهم عدد ضخم بالطاعون في الأيام التالية.

إنه "ماستيم".. ذلك الكيان الأسود الساخر الذي رأيته يطير وسط الجثث.. وهاأنت تراه مرة أخرى يطير.. ولكن في سماء أخرى.. في أوروبا هذه المرة وتحديدا في مدينة بيزانسون الفرنسية.. لكنه هذه المرة لم يكن ساخرا.. بل كان حزينًا.. القناع الساخر الذي كان وكأنه يرتديه أصبح الآن قناعًا حزينًا.. كان يطير في السماء ناظرًا إلى مشهدٍ ربما هو الذي أحزنه.. كان هناك نفر

كثير من رجال عراة الأقدام يلبسون ملابس من أكياس الخيش ويمسكون سياطًا يضربون بها اليهود في الشوارع وبداخل البيوت.. يضربونهم حتى سالت الدماء من جلودهم.. وحتى فارقت أرواحهم أجسادهم.

كان حاملي السياط مسيحيين كاثوليكيين أوروبيين.. لماذا يضربون اليهود بالسياط؟ سأخبرك.. لما هرب الناس من مدينة كافا بعد أن رماهم المغول بوابلٍ من الجثث الطاعونية.. سكن الهاربون من المدينة في مختلف مدن أوروبا.. وحملوا معهم الطاعون إلى تلك المدن جميعها.. ولم تمضِ سنة واحدة إلا وعدد الوفيات قد زاد عن العشرة ملايين إنسان أوروبي.. ولم تنته السنة الثانية إلا وقد تضاعف هذا العدد ليصبح خمسة وعشرين مليون إنسانًا.. ثلث سكان أوروبا كلهم ماتوا.. كان من أصابه الطاعون يموت.. وكل من اختلط به ولو مرة يموت.. ومن حمله إلى القبر يموت.. كانت أيامًا رهيبة.

وفقد الناس إيمانهم بالطب وبالرب وبالكنيسة وبكل شيء.. وانتشرت إشاعة لم يستطع أن يسيطر عليها أحد.. إشاعة تقول إن اليهود هم سبب الطاعون.. فهم سمموا الآبار والأنهار الأوروبية كلها بسبب كرههم للمسيحيين الكاثوليك الذين كانوا يضطهدونهم في ذلك الزمن.. وهجم الناس على اليهود هجوم الأكلة على قصعتها.. وأول من هجم على اليهود نفر من الناس يحملون السياط.. كان ذوي السياط هؤلاء قبل الإشاعة يمشون في الطرقات في مسيرات أسبوعية ويضربون أنفسهم حتى تخرج دماؤهم منهم.. عل الإله يخفف عن الناس أمر ذلك الوباء الذي قتل ثلث سكان أوروبا دفعة واحدة.. وبعد الإشاعة.. توقف هؤلاء عن ضرب أنفسهم وهجموا على اليهود بكل القسوة والغِل الساكن في قلوبهم.

إن "ماستيم" يحزن وجهه كلما حدث اضطهاد لليهود في أي ناحية من نواحي الأرض.. إنه يذكر كيف كان حزينًا لما جُمع اليهود ورُبطوا في ساحات مدينة

نوريش الإنجليزية وحُرِقوا أحياء.. كان ذلك لأن المسيحيين اتهموهم بأنهم قاموا بالتضحية بالطفل المسيحي "ويليام" ليستخدموا دماءه في طقوس عيد الفصح اليهودي.. وقد تكررت تلك التهمة مرات ومرات في أوروبا وفي كل مرة يجمع اليهود فيها ويُقتَلون بدم باردٍ.

ولازال "ماستيم" يتذكر حزنه أيام الحملة الصليبية الأولى.. لما فكر المسيحيون قليلًا وقالوا لأنفسهم.. نحن سنسافر عبر الأرض لقتال أعداء الصليب.. أليس أولى أن نقتل أعداء الصليب الذين يعيشون بيننا.. اليهود هم قتلة المسيح وأنصاره.. وهجموا على اليهود هجمة رجل واحد في مدينة مينز الألمانية وقتلوا ألفًا منهم دفعة واحدة.. وظلوا يقتلون فيهم حتى بردت دماؤهم وهدأت قلوبهم.

وبقى وجه "ماستيم" حزينًا وهو يشاهد ألمانيا تطرد اليهود ثم تبعتها إنجلترا.. ثم فرنسا وإيطاليا والنمسا وسويسرا والمجر وهولندا.. ولم يجد اليهود لهم سكنًا في الأرض سوى في الأندلس.. التي كان المسلمون يحكمونها بالعدل.. واستقبلهم المسلمون وأكرموا وفادتهم وأعطوهم الأرض والسكن.. وحرية ممارسة الشعائر بعد أن كانوا يمارسونها في غرفهم المغلقة خوفًا وذعرًا.. حينها كنت ترى الشيطان اليهودي "ماستيم" يطير فوق الأرض الأندلسية وعلى وجهه مايشبه الابتسامة.. ولم تكن ساخرة هذه المرة بل كانت سعيدة.

وفجأة غزا الصليبيون الأندلس واحتلّوها.. وطار "ماستيم" هذه المرة بوجه خائفٍ مما سيحدث لليهود.. ويبدو أن خوفه كان في محله.. فقد أجبر الصليبيون كل سكان الأندلس المسلمين أو اليهود على التنصر أو مغادرة البلاد.. وبالنسبة لمن تنصّروا فلم يتركهم الصليبيون في حالهم.. بل عقدت لهم حكومة إسبانيا محاكم تدعى محاكم التفتيش.. يُعدَم فيها كل من يشتبه بأنه تنصَّر ظاهريًا بينما هو مسلم أو يهودي في الخفاء.. وهاجر كل

من رفض التنصر.. وبالنسبة لليهود.. فلم يجدوا لهم مكانًا يؤويهم بعد هروبهم من الأندلس إلا مكانًا واحدًا.. أراضي الدولة العثمانية الواسعة.. ومرة أخرى استقبلهم المسلمون وأكرموهم.. أدخلهم السلطان العثماني "سليمان القانوني" وأكرم وفادتهم.. ولكنه اشترط عليهم شرطًا صارمًا.. أن يسكنوا في أي أرضٍ من أراضي الدولة العثمانية شاءوا.. عدا أرض واحدة محرَّم عليهم دخولها والسكن فيها.. أرض فلسطين.

ثم توقف الشيطان "ماستيم" لوهلة في السماء.. وأدار وجهه ناظرًا إلى مشهد أثار اهتمامه.. كان ينظر إلى شيطان آخر اقتحم أجواء الدولة العثمانية وتحديدًا في اسطنبول عاصمة الخلافة الإسلامية.. ذلك الشيطان كان مألوفًا.. إنه "سيربنت" الأفعى الغاوية.. يبدو أن دور بلاد العرب قد أتى.. وحان أوان إسقاطها.. كان "سيربنت" يخترق الأجواء متجهًا إلى قصر السلطان "سليمان القانوني" نفسه.. ودخل "سيربنت" إلى القصر.. دخل إلى التوب كابي العثماني.. ولم ينتظر الشيطان اليهودي "ماستيم" ثانية أخرى.. لقد دخل وراءه.

دخل "ماستيم" إلى القصر العثماني بسرعة ليفاجئه مشهدٌ غريبٌ.. كانت السلطانة "ماه دوران" زوجة الخليفة تتعارك بالأيدي عراكًا عنيفًا جدًّا مع جارية تدعى "روكسلانا".. كانت "روكسلانا" هذه فاتنة تبدو وكأنها الفتنة مجسدة في أنثى.. وكان يبدو أنها تخسر هذا العراك.. فقد أدمت السلطانة وجهها.. وتدخلت أم الخليفة وفضت هذا العراك الحاد.. وفجأة دخل الخليفة "سليمان القانوني" لترتمي في حضنه الفاتنة "روكسلانا" باكية شاكية مشيرة بيدها الجميلة إلى جروح رقبتها ووجهها.. نظر السلطان بغضبٍ شديدٍ إلى السلطانة "ماه دوران" وأصدر عليها أمرًا قاسيًا نوعا ما.. لقد نفى السلطانة "ماه دوران" إلى قصر مانيسا.. نظر الشيطان "ماستيم"

إلى الفاتنة "روكسلانا" التي كانت تمسك بالخليفة في ذِلة ومسكنة وعيناها تبتسمان من ورائه ابتسامة ساخرة لم يلحظها أحد.. ابتسامة تحكي الكثير.

نظر الشيطان "ماستيم" إلى الأفعى "سيربنت" الذي كان في تلك اللحظة فاتحًا فكيه في توحُّش ساخر تجيده الأفاعي.. ومن نظرة شيطان إلى شيطان فهم "ماستيم" كل شيء.. لقد كانت الجارية الفاتنة "روكسلانا" ساحرة يهودية أخذت كجارية من جزيرة القرم وأهداها تتار القرم إلى السلطان "سليمان القانوني".. ومن نظرة أخرى إلى الأفعى "سيربنت" عرف "ماستيم" أن أخذها كجارية لم يكن صدفة بل كانت مُرسلة في مهمة محددة.. محاولة التأثير على أقوى سلطان عثماني بالسحر.. حانت من "ماستيم" نظرة إلى الخليفة السلطان "سليمان القانوني".. كان هذا هو السلطان العثماني الذي اتسعت في عهده الدولة العثمانية إلى أقصى اتساع لها.. قويًّا كان.. عظيمًّا.. يستحيل إغواؤه أو التأثير عليه.. فلم يجد اليهود خيرًا من السحر.. ولم يختاروا ساحرًا عجوزًا بل أحسنوا الاختيار كعادتهم.. "روكسلانا" أكثر الساحرات التي عرفهن التاريخ فتنة وجمالًا.. ساحرة كانت تنام بين أحضان الخليفة معظم الليالي السبع في الأسبوع.

ضم الشيطان "ماستيم" قبضتيه الاثنتين وأسند عليهما ذقنه.. وبدأ يشاهد وعلى قناعه ملامح ساخرة.. "روكسلانا" سحرت قلب الخليفة بجمالها قبل أن تسحره بتعاويذها.. وطلبت منه الزواج.. ورغم أن هذا كان ممنوعًا أن يتزوج الخليفة جاريته إلا أن السلطان "سليمان القانوني" ولأول مرة تزوج جاريته وكسر القاعدة.. لم يكن السلطان يملك أن يرفض.. فنحن نتحدث عن سحر الهوى والغرام والمحبة وهذا من أشد أنواع السحر.. كانت "روكسلانا" تقيم في قصر الحريم أو الحرملك.. ولم تكن تحب ذلك.. فصحا الجميع ذات يوم على حريق هدم أحد جدران الحرملك وأصبحت الحريم

تجري و"روكسلانا" تهرع إلى حضن السلطان وتختبىء وترجوه أن ينقلها لتعيش معه في القصر.. وبالفعل نقلها ولكن وضعها في جناح مستقل مجاور لجناحه.. فلم يعجبها هذا.. فأمرت ببناء باب بين جناحها وجناح السلطان فاندمج الجناح والجناح ليصبحا جناحًا واحدًا.. وبهذا أصبحت هي والخليفة لا يفترقان أغلب اليوم.. ولقد أحبت ذلك.. وكانت راضية.. وسعيدة.

ثم أصبح السلطان "سليمان القانوني" يقوم بأمور عجيبة جدًا لا يقوم بها من له تاريخ كتاريخه.. ففجأة أمر السلطان بإعدام مفتي الدولة "إبراهيم باشا" وصديق صباه.. والإعدام في الدولة العثمانية كان يتم خنقًا بخيط من حرير أحمر.. نظر "ماستيم" إلى الأفعى "سيربنت" نظرة متسائلة.. فأشار "سيربنت" إلى "روكسلانا".. كانت مكيدة دبرتها.. مكيدة شككت السلطان في صديق صباه المفتي الأعظم.. فعلت ذلك لأن هذا المفتي كان يؤيد أن يتولى الخلافة بعد "سليمان القانوني" ابنه المجاهد العظيم "مصطفى".. ولم تكن تحب ذلك.. كانت تريد الخلافة لابنها هي من السلطان.. ابنها الخامل المعتوه "سليم".

طار الشيطان "ماستيم" ليلقي نظرة على "سليم" هذا.. فوجده في أحضان "راشيل" جارية يهودية إسبانية أهدتها "روكسلانا" إليه.. كان كثير السكر لا يخرج من مخدعه مع جاريته أبدًا إلا إذا استدعاه السلطان "سليمان".. ظهر على قناع "ماستيم" بعض السخرية.. ثم طار عائدًا إلى الساحرة.. إلى "روكسلانا".

إن "سليمان القانوني" مُصر على أن يتولى "مصطفى" ابنه الحكم من بعده.. لكنها لم تكن تحب ذلك.. وفي ذات يوم كان "مصطفى" في بلاد فارس. . وهانحن نراه يدخل في خيمة يفترض أن يقابل فيها أبوه الخليفة..

وفور أن دخل "مصطفى" إلى الخيمة هجم عليه خمسة رجال ملثمين لا ترى من وجوههم سوى عيون عابسة.. كانوا يخنقونه بخيط من حرير.. وبينما هو يقاوم بكل ما وهبه الله من قوة وعنفوان إذ به يرى والده الخليفة "سليمان القانوني" يقف أمام المشهد ناظرا في صرامة.. إنه يشهد إعدام ولده.. فلذة كبده.. لقد التفت عليه الأفعى حتى لم تترك في روحه مكانا لأي شيء سوى السحر.. السحر الأسود.. أقنعته الفاتنة "روكسلانا" والمفتي الذي وضعته هي بنفسها بدلا من المفتي المقتول.. أقنعاه أن "مصطفى" ولده يدبر مكيدة للانقلاب عليه وأخذ الحكم منه.. وبالنسبة لـ "سليمان القانوني" كان هذا يعني الخيانة.. وصرامته في تنفيذ القانون التي استقى منها اسمه لم تدع له مجالًا للتفكير في مشاعر الأبوّة.. وهاهو "مصطفى" ينهار بين أيدي الملثمين وتخور قواه ويسقط على الأرض جثة هامدة بلا روح.. ثم أرسلت "روكسلانا" من يقتل ابنه الرضيع في بورصة حتى ينقطع هذا النسب تمامًا.

لم يكن الطريق خاليًا بعد للابن الخامل "سليم".. كان هناك للسلطان ابن أخر.. ابن من "روكسلانا".. ولكنه مقاتل صنديد.. المشكلة أنها لم تكن تحب ذلك.. كان اسمه "بايزيد".. كادت الساحرة لابنها مكائدها حتى جعلته يتمرد على السلطان.. وكادت الساحرة مكائدها عند السلطان حتى جعلته يأمر باللحاق به وإعدامه هو الآخر بتهمة الخيانة العظمى.. وكان هذا ثاني ابن للسلطان يأمر بإعدامه.. أي سحرٍ أسود لعين هذا.. بل إن اللعنة كلها كانت تتحدث عن نفسها لحظة الإعدام.. الأمير "بايزيد" يقف في الغابة وحوله أربعة أولاد صغار هُم أطفاله وأحفاد السلطان.. وحولهم نفر كثير من جنود السلطان يحاصرونهم في غِلّ.. قتلوا "بايزيد" ثم قتلوا أولاده بدم بارد.. قتلوهم وهم يعرفون تمامًا أن السلطان سيسعد بهذا وسيكافئهم على

قتل ابنه الخائن.. ولأحفاده الذين لا ذنب لهم.. تحول قناع "ماستيم" من طور الابتسامة الساخرة إلى طور الضحكة الساخرة المتشفية.. وطار عائدًا إلى الساحرة "روكسلانا" مرة أخرى.

الآن فقط صار الطريق إلى كرسي الخلافة خاليًا.. ولم يعد من أولاد السلطان حيًّا سوى "سليم" الذي استحق عن جدارة لقب التنبل.. ظلَّ "ماستيم" يطير حوالي الساحرة اليهودية "روكسلانا" حتى ماتت بين أحضان السلطان "سليمان القانوني".. ماتت بعد أن أنجزت مهمتها على أكمل وجه ممكن.. ثم مات سليمات القانوني".. وصعد ابنه التنبل "سليم" إلى العرش. . لم يتغير شيء من حال "سليم".. ظلَّ سكيرًا عربيدًا.. كان "ماستيم" سعيدًا.. ليس بسبب غباء الخليفة الجديد ولكن بسبب ذكاء زوجته.. "راشيل" تلك الجارية اليهودية الإسبانية التي كان لا يغادر مخدعها ولا زال.. لقد مشت على خطى معلمتها "روكسلانا" وأصبحت تدير زوجها.. بل تدير الدولة العثمانية كاملة.. كانت هي الحاكمة الفعلية.. ليس هذا فقط.. بل إن والدها اليهودي "جوزيف ناسي" كان خليل السلطان "سليم" ومستشاره في أمور الخلافة ويقضي معه أغلب الوقت في السكر والعربدة.. الدولة العثمانية العظيمة الواسعة صارت تحكمها امرأة يهودية.. كذلك كان الحال في ذلك الزمن.. وكذلك كان قناع "ماستيم" منتشيًا.. وأقنعة اليهود الذين أرسلوا "روكسلانا" و"راشيل" منتشية.

توفي التنبل "سليم الثاني" وخلفه ابنه التنبل أيضًا "مراد الثالث".. كان يبدو أنها سلالة من التنابل قد بدأت تظهر.. ظلت "راشيل" تحكم الدولة من وراء الستار.. بل إن سلطتها قد تصاعدت أكثر لأن "مراد الثالث" هذا هو ابنها الفاشل.. وبدأت الدماء اليهودية تنخر في عظام الدولة العثمانية بإشراف الأفعى "سيربنت" والمراقبة المتشفية للشيطان "ماستيم".. وبدأ

اليهود الذين نزحوا من الأندلس من قبل يرتعون ويلعبون في أرجاء الدولة العثمانية كما يحلو لهم.. ويرتقون في المناصب الهامة كما يحلو لهم.. الأخطر أنهم بدأوا ينظرون إلى الأرض التي حُرموا منها طويلًا ولازالوا محرومين.. أرض فلسطين.. ونظر معهم الأفعى "سيربنت" بعينيه المشقوقتين.. والشيطان اليهودي "ماستيم" بقناعه الأبيض.

لم يُطل "ماستيم" المكوث في قصر الخلافة.. بل إنه طار فجأة إلى ساحة وسط مدينة اسطنبول.. كان مشهدًا مهيبًا ذلك الذي يحدث هناك.. رجل موضوعة قدماه في قالب من الطوب ومربوطة ذراعاه ورقبته إلى القالب.. ويحيط به حوالي ألف متجمهر.. وحوله عسكر من عسكر السلطان.. رأى "ماستيم" الشيطان الأفعى "سيربنت" يلتف حول قالب الطوب مرتفعًا برأسه مقتربًا بها من الرجل المقيَّد.. كان ذلك المقيَّد يدعى "ساباتاي زيفي".. وكان اليوم يوم إعدامه.. وكان يومًا مشهودًا كما هو واضح.

إن "ساباتاي زيفي" يهودي.. يتبعه ألف يهودي. . يسموه أتباعه المسيح المخلص.. أما هو فيخاطبهم مسميًا نفسه مسميات عديدة مثل ابن الإله البكر.. أو أبوكم يسرائيل.. بل إنه يقول أنا الرب إلهكم الأعلى.. وُلد بعد فترة اضطهاد اليهود في أوروبا.. وتربى وهو يسمع أحاديث اليهود عن قرب ظهور المسيح المخلص الذي وعدهم به الله.. والذي سيأتيهم ليخلصهم من عذابهم ويحكم بهم الأرض كافة.. درَس التلمود ودرَس الكابالا.. ولما أصبح يافعًا خرج في اليهود يقول إنه المسيح المخلص.. وأنه لا قيام لهم في الأرض إلا بعد أن يدخلوا فلسطين فاتحين.

جمع حوله العشرات ثم المئات ثم الآلاف.. وجاء عام 1666.. ستة وستة وستة.. رقم الوحش كما يقول الإنجيل.. أعلن بين أتباعه اليهود أن الشيء الوحيد الذي يمنعهم من دخول فلسطين هو الدولة العثمانية الغاشمة..

دولة تغلبت جينات وزرائها العربية على الجينات اليهودية التي زرعتها "روكسلانا" في دماء سلاطينها فأصبحوا من بعدها تنابل السلطان.. رجال كانوا يصلحون ما يفسده السلاطين لو أفسدوا.. ويشدون على أيديهم لو أصلحوا.. يولونهم ويعزلونهم ويدبرون شؤون البلاد.. رجال شكلوا دولة واحد قوية.. دولة لابد أن نسقطها نحن اليهود.. فإما هذا وإما لا قيام لنا في هذه الدنيا أبدًا.. خرج "ساباتاي"في عدة مظاهرات تطالب بإسقاط السلطان.. فما كان من السلطان إلا أن أمر بالقبض عليه وإعدامه في الساحة العامة.. وليشهد العالمان إزهاق روحه الخائنة.. وهاهو "ساباتاي زيفي" يركع وأطراقه مثبتة إلى قالب من الطوب.. ورجال من رجال السلطان الأشداء حوله يشمرون سواعدهم للنيل من رأسه.

وكان يبدو أن هناك مترجمًا بجواره يحدثه بحديث ما قبل أن يعدم.. طار "ماستيم" ليستمع.. كان المترجم يقول لـ"ساباتاي" :

- لقد فقدت عقلك يا "ساباتاي".. ويبدو أن حماقتك ستودي بك إلى الجحيم.

نظر له "ساباتاي" وقال له :

- لا جدوى لهذا الحديث الآن يا هذا.

قال المترجم بلهجة من يقول أمرًا خطيرًا:

- اسمعني جيدًا.. أنا يهودي مثلك.. ومؤمن بك وبدعوتك.. وإني أود أن أسوق لك اليوم فكرة تُنجيك من الإعدام وتكسبك عند السلطان هيبة.. بل وتكون لك هبة وعطية من السلطان.

ظهرت الدهشة على وجه "ساباتاي" وقال للمترجم :

- أي فكرة هذه يا بني.. هل تهزأ بي؟

قال له المترجم بسرعة :

- أن تعلن إسلامك الآن وفي التو واللحظة وأنك تائب إلى الله.. وإلى دين المحمديين ارتاح قلبك.

- يبدو أنك تهزأ بي حقا.. هل أنت يهودي حقا يا هذا؟

- ليس هذا ما تظن أيها المسيح.. أنت ستقول هذا بلسانك وحده.. ولن يصدق على هذا قلبك.. وستنشر دعواك سرا بين أتباعك المخلصين.. وسنكيد للسلطان حتى نسقطه.. وسنعود معك إلى فلسطين لتقيم دولة الإله الموعودة هناك.

ضيق الأفعى "سيربنت" عينيه في سعادة أفعى.. ومثله فعل "ماستيم" في ملامح خبث يهودي.. ومثلهما فعل "ساباتاي".. وحدث ما اقترحه المترجم اليهودي بالحرف الواحد.. أعلن "ساباتاي زيفي" إسلامه على الملأ.. فعفى عنه السلطان.. وأعطى له عطية خمسين قطعة فضية شهريا.. خرج "ساباتاي" حرا طليقا.. وسمى نفسه "محمد افندي".. وأمر كل أتباعه أن يتحولوا إلى الإسلام كما تحول.. ويبطنوا اليهودية كما أبطن.. وأصبح هؤلاء يعرفون في الدلوة العثمانية باسم خاص.. يهود الدونمة.. أي اليهود التائبين العائدين إلى الله.. وانتشروا في أرجاء الدولة العثمانية ووصل بعضهم فيها إلى مناصب عالية وحساسة.

كان لكل واحد منهم اسمان.. اسم إسلامي يُظهره ويتعامل به مع الناس.. واسم يهودي يبطنه ويتعامل به مع من هم على شاكلته.. كانوا يقيمون كافة شعائرهم اليهودية خلف أبوابهم المغلقة.. ماعدا الامتناع عن العمل يوم السبت حتى لا يُلفتوا الأنظار.. وابتدعوا فكرة الكتب الصغيرة التي يمكن

إخفاؤها في الثياب.. كتب الجيب.. حتى يسهل عليهم إخفاؤها دائمًا.. كانوا يهودا ذوي مذهب خاص بهم لا يشاركهم فيه بقية اليهود.. شاعت بينهم الحفلات الإباحية التي يتبادلون فيها الزوجات.. ولهم عيد يُطفئون فيه الأنوار ويقعون على بعضهم البعض كالبهائم.. فإذا وُلِد لهم مولود من جراء هذا العيد يكون في عقيدتهم مباركًا.. لم يكونوا يحرّمون الزنا.. وانتشر بينهم بشكل رهيب زنا المحارم.. ينظرون إلى فلسطين على أنها أرض الميعاد.. ويستعجلون احتلالها حتى يُعجلوا بنبوءة التوراة.. المسيح المخلص الذي سينزل إليهم ويحكم بهم العالم من القدس.. ولحدوث هذا فهم لا ينتظرون نزوله مثل بقية اليهود وإنما سيسعون لتعجيل نزوله باحتلال فلسطين.. حتى يتسنى له أن يحكم العالم منها.. كان هؤلاء هم بذرة لشيء شديد البشاعة ظهر في السنين التالية.. شيء عُرف باسم كريه.. الصهيونية.

وبدأ قناع الشيطان اليهودي "ماستيم" يحمل ملامح مرعبة شديدة البشاعة.. وظل طائرًا في الأجواء يتابع الأحداث.. تم نفي "ساباتاي زيفي" إلى ألبانيا حيث مات هناك بالكوليرا.. ظل أتباعه يؤمنون بالفكرة رغم أن مسيحهم مات.. قالوا إنه صعد إلى السماء وأصبح ملاكًا.. وأنه سيعود لما تقوم دولتهم الموعودة في فلسطين.. كانوا ينظرون إلى فلسطين بنهم.. وظلت الدولة العثمانية تمنعهم منها.. زاد عدد الواصلين منهم إلى مناصب الدولة العثمانية الحساسة.. حتى أصبحوا قيادات في الجيش.. وهنا بدأوا يلعبون لعبة أخرى.. لعبة تدعى الاتحاد والترقي.

بعد مرور سنوات طوال، هرع "ماستيم" طائرًا إلى قصر الخلافة العثمانية الجديد المدعو قصر يلديز.. ودخل إلى حيث العرش.. وشهد هناك مشهدًا تاريخيًا.. الخليفة العثماني "عبد الحميد الثاني" واقفًا وجها لوجه مع زعيم ومؤسس الحركة الصهيونية "تيودور هرتزل".. كان "هرتزل" يقول له:

- سيدي إن نحن حصلنا على فلسطين سندفع للدولة العثمانية الكثير.. نعلم أن الخلافة في أزمة مالية شديدة بعد الحروب العديدة.. نحن سنسوي لكم أوضاعكم المالية بدون قروض.. فقط نحن نريد فلسطين مِلكًا لنا.

- لماذا تريدون فلسطين بالذات؟ إن بإمكانكم الاستقرار في أي مقاطعة عثمانية تشاءون.

- إن فلسطين يا سيدي هي المهد الأول لليهود.

- فلسطين لا تعتبر مهدًا لليهود فقط.. بل هي مهد لكافة الأديان.

- لكننا أول من سكنها أيها السلطان .

- كذبت.. سبقكم الفينيقيون والكنعانيون وغيرهم كثير.

- لكننا كنا أطول الأمم حُكمًا لها.

- بل حكمتموها أربعمئة سنة وحكمها المسلمون ثلاثة أضعاف مدتكم.. حكمناها ألف ومئتي سنة ولازلنا نحكمها وسنزال.

- أنتم تؤمنون بالتوراة ياسيدي.. وفيها وعد صريح لنا بالأرض المقدسة

- توراتكم ليست التوراة التي نؤمن بها.. وحتى في توراتكم المحرفة قلتم إن الله وعدها المصلحين من عباده.. وأنتم لم تصلحوا سوى ثمانين سنة زمان الأنبياء.. وأفسدتم في بقية الأربعمئة سنة كلها.

- لسنا في جدل تاريخي يا سيدي.. إننا اليوم أتينا نمد لكم يد العون.. نرد لكم الجميل.. فقد استقبلتمونا في أراضيكم لما طردتنا الأمم.. ونحن نملك المال.. وأنتم في أمسّ الحاجة إليه.. وكل ما نطلبه أرض بسيطة لن نعدو خارجها.. سنهاجر لها من الأرض كلها ونسكن بها.. أراضيكم لا حدود لها يا سيدي.. ولن نزاحمكم فيها.. فبدلًا من أن نعيش متفرقين بين تلك الأرض وتلك.. اجمعونا في أرض واحدة.

- ومن أنا حتى أبيعك فلسطين.. هل تظنها مِلكًا لي؟ أبيع فيها وأشتري متى أشاء؟ إنما هي ملك للأمة الإسلامية العظيمة.. فيها معرج سيدي محمد إلى

السماء فكان قاب قوسين أو أدنى.. وإليها كانت قبلتنا.. اذهب إلى الشعب المسلم فردًا فردًا وائتني به شاهدًا لك ونصيرًا.. وسأبيعك إياها.

- سنأخذ على عاتقنا تنظيم الأوضاع المالية.. وسنقيم لكم في أوروبا سدًّا منيعًا ضد آسيا.. وسنبني حضارة ضد التخلف.

- لقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض ورووها بدمائهم الغالية.. فلتحتفظوا بملايينكم.. إذا مزقت دولتي يمكنك عندها أن تأخذ فلسطين بلا مقابل.. لكني لا أوافق على تشريح جثتي وأنا على قيد الحياة.. ولئن استمريتم في حماقتكم هذه لأطردن منها كل يهودي ولأنفينكم إلى حيث تنهش الأمم في لحومكم.

تحول قناع "ماستيم" المرعب إلى ملامح غاضبة.. ولكن "هرتزل" أعطى السلطان ابتسامة على الطراز الصهيوني.. وسلم عليه وخرج مهزومًا.. لقد حاول إغراء السلطان بالمال.. لكنه عرف معدن "عبد الحميد الثاني" جيدًا.. ليس له إلا حل واحد نطقه بنفسه.. لن يعبر اليهود إلى فلسطين إلا على أشلائه.. وخرج "هرتزل" من القصر العثماني وطار "ماستيم" فوقه لا يفارقه.

منذ سنوات من هذه الواقعة كان "هرتزل" يلقي خطبته المريبة في مجتمع حكماء صهيون.. وكانت خطته أن يدور الأفعى" سيربنت" حول أوروبا فتسقط كل الملكيات فيها ثم تهبط أخيرًا في أرض العرب لتسقط الدولة العثمانية.. بعد مؤتمر صهيون هذا نجح الأفعى في إسقاط النظام القيصري الروسي بالثورة الروسية التي أودت بالبلاد إلى حكم شيوعي يهودي.. وها هي الأفعى "سيربنت" قد هبطت في أرض العرب.. وقد قال "هرتزل" في مؤتمر صهيون إن المنظمة الماسونية هي أداة يجب أن يستخدمها أبناء صهيون في خدمة خطة اليهود في كل زمان ومكان.. طار

"ماستيم" وراء "هرتزل" إلى بلد تدعى سالونيكا في اليونان العثمانية آنذاك.. وهناك فهم "ماستيم" كل شيء.

رغم أن اليهود الذين ادعو الإسلام أتباع "ساباتاي" كانوا قد انتشروا في أنحاء الدولة العثمانية كلها إلا أن أكبر تجمع لهم كان في سالونيكا اليونانية العثمانية.. وهناك نشط محفل ماسوني إيطالي وبدأ يجمع يهود الدونمة الذين وصلوا إلى مراكز قيادية في الدولة.. وخاصة العسكرية.. جمعهم كلهم وكون بهم جمعية اسمها جمعية الاتحاد والترقي.. وجعل تنظيم الجمعية يماثل التنظيم المتبع في المحافل الماسونية عادة.. وكان للجمعية هدف أساسي واحد.. إسقاط السلطان "عبد الحميد الثاني" بأي ثمن.. وشمرت الآلة الإعلامية اليهودية المعروفة عن سواعدها.. وشمر "ماستيم" عن سواعده وبدت يداه لأول مرة.. كان يملك أصابع طويلة وأظافر أطول.. وسواعد تبدو من شدة هزلها وكأنها عظمية وبدأ اليهود في عملهم الذي يجيدونه جيدًا منذ بداية الزمان.

كان يبدو وكأن الدنيا كلها انقلبت فوق رأس السلطان "عبد الحميد الثاني".. مارسوا اللعبة المعتادة.. تهيج الشعب على الملك بأخبار زائفة وأحداث مفتعلة تبدو وكأنها من صنعه وليس له فيها ناقة ولا جمل.. فجأة أصبح السلطان طاغيًا ومستبدًا ومصاص دماء.. وزرعوا في عقول الناس أن الدولة العثمانية يجب أن تتحرر من استبداد الإسلاميين المتعنتين وتتحول إلى دولة متحضرة مثلها مثل إنجلترا وفرنسا.. قالوا إن السلطان هو عدو للتحضر وأنه يلقي المثقفين من نافذة قصره.. وأنه يرفض الموافقة على العمل بدستور متحضر يماثل دستور الدول المتحضرة ويتمسك بدستور قديم عفى عليه الزمن.. وكل هذا بدعم خرافي من الصحافة ودعم أسطوري من أصحاب المال اليهود.. وانضم للاتحاد والترقي كبار رجال

الجيش العثماني. . بل إن وزير المالية في الدولة العثمانية كان يهوديًا.. وقد ساهم طبعًا في تطبيق الطريقة اليهودية في التعامل مع المموليين اليهود مما يتيح لهم السيطرة على السوق.. رئيس مكتب الصحافة كان يهوديًا.. وكان يغلق كل صحيفة تكتب كلامًا لا يخدم الاتحاد والترقي.. كانت حفلة اليهود قد بدأت على الدولة العثمانية.. ولم يكونوا ليرضوا بأقل من تشريحها إلى شرائح لا سبيل إلى إعادتها مرة أخرى.

كان السلطان "عبد الحميد" واضعًا قانونًا صارمًا يتعلق بسفر اليهود إلى فلسطين.. فقد فرض على كل يهودي أن يحمل جوازًا أحمر يمنعه تمامًا من دخول فلسطين.. ويمنعه من شراء أي أرضٍ فيها.. وهاهو التاريخ ينظر معنا ومع "ماستيم" إلى مشهد فرقة من فرق الجيش قد انطلقت من سالونيكا لتخلع السلطان عبد الحميد بالقوة الجبرية.. ووصلت القوات إلى اسطنبول.. ودخل إلى السلطان لتسليمه قرار العزل الرسمي أربعة رجال أحدهم كان يهوديًا والثلاثة الآخرين ليس فيهم عربي أو عثماني واحد.. بل إن أحدهم أرمني والآخر ألباني والثالث جرجي.. كان "ماستيم" في هذه اللحظة يضحك.. بل كان يقهقه.

تم نفي السلطان إلى سالونيكا. بين أحضان اليهود وتم حبسه في أحد البيوت اليهودية هناك لمدة تزيد على الثلاث سنوات.. وكان السلطان يسمع بأذنه هتافات في سالونيكا تقول "سقط المستبد فارض الجواز الأحمر الذي حرم اليهود من فلسطين".. كان لايزال "ماستيم" يضحك بسعادة شيطانية.. وحق له أن يضحك.. فهاهم الاتحاد والترقي قد عينوا للمسلمين خليفة آخر هو "محمد السادس".. كان خليفة صوريًا فقط بينما يحكم رجال الاتحاد والترقي اليهود البلاد.. نعم كانت تلك فترة من فترات الدنيا حكم فيها اليهود خلافة إسلامية واسعة.

أسقط الاتحاد والترقي الجواز الأحمر.. وصار من حق أي يهودي أن يهاجر إلى أي مكان في فلسطين يشاء ويشتري فيها أي أرض أحب.. وارتفعت ديون الدولة العثمانية من ثلاثين مليونًا في عهد "عبد الحميد" إلى أربعمئة مليون.. كما فعلوا من قبل في أي دولة تمكنوا منها.. وتدفق اليهود من كل مكان إلى فلسطين.. حتى وصل عدد اليهود فيها إلى 85 ألف يهودي.

كان الاتحاد والترقي يتعمدون حكم البلاد بالنزعة القومية التركية.. ويحقّرون من شأن العرب الجهلة البدو الرُّحل باعتبار الجنس التركي هو الجنس الفاتح العظيم الراقي.. وبالتالي قد سمح هذا التوجه العنصري لتوجُّه عنصري آخر أن يظهر بشكل طبيعي.. ضاق العرب ذرعًا بحكّامهم الأتراك الذين يظنون أنفسهم فوق البشر.. وانتعشت في قلوبهم فكرة التحرر بعروبتهم من حكم هؤلاء.. خاصة وقد بلغت مناصب اليهود في الدولة العثمانية مبلغًا لا يمكن السكوت عنه.. ودخل اليهود فلسطين بعد أن كانوا محرومين.. فكر العرب في التحرر وعمل دولة إسلامية جديدة يحكمها خليفة عربي يعيد لهم مجدهم وعروبتهم.

كان "ماستيم" الآن في فلسطين.. وتحديدًا في القدس.. يطير فوق الأقصى ويبتسم ابتسامة شيطانية صهيونية مخيفة.. لم تكن هذه نهاية الرحلة.. كان "ماستيم" يعلم جيدًا أنها مجرد البداية.. بداية عهد أنتيخرستوس.

تمّت

* * *

"ماستيم" هو شيطان يهودي نادر الذكر.. لم يرد ذكره إلا في كتاب اليوبيلات الديني اليهودي القديم النادر ولم يُرسم إلا في مكانٍ غريبٍ جدًّا.. لعبة فيديو يابانية نادرة تدعى *Megami Tesni*.. صدرت على جميع أجهزة الألعاب تقريبًا.. ولم يظهر "ماستيم" إلا في الأجزاء التي صدرت على جهاز "نينتيندو دي إس" وجهاز "سيجا ساترن".. وفي المانجا التي رُسمت للعبة..

وبالنسبة لهذه الحكاية فإن كل ما ذُكِر فيا حقيقي تمامًا ومذكور بوضوح في كتب التاريخ المعتمدة.. فلا تظن أنني ألفق لك أخبارًا أو أزيفها.. لكني أعرض لك الحقيقة من أكثر مصادرها وثوقًا حتى تميِّز الخداع لما تسمعه.. فتزييف التاريخ وتشويهه لعبة كبيرة.. تخدم مصلحة واحدة فقط.. مصلحة اليهود.. ليس كل اليهود.. بل الفرع الصهيوني منهم.

وبالمناسبة فتزييف التاريخ في هذا العصر الحديث لا يوجد أسهل منه.. قديمًا كان المؤرخون العرب أو الأجانب يكتبون التاريخ بأقلامهم في كتب أصلية.. ولما ظهرت طريقة طباعة الكتب الحديثة.. نُقلت هذه المخطوطات الأصلية إلى شاشات الكمبيوتر ببرامج الكتابة الشهيرة بمختلف إصداراتها.. وماينقله المحررون يراجعه المراجعون.. ثم تراجعه دار النشر.. ثم تراجعه هيئة النشر في تلك الدولة.. وخلال تلك المراحل جميعها تُحذف سطور أُريدَ لها أن تُحذف من المخطوطات الأصلية للكتب.. وتبقى سطور أُريدَ لها أن تبقى.. وكل دار نشر تطبع الكتاب تمر على هذه المراحل جميعها في كل طبعة.. والسطور التي يتم حذفها يكون ذلك لمصلحة سياسية أو دينية ما أو لأغراض في نفس المحرر أو المراجع أو الناشر.. وإني أتمنى أكثر ما أتمنى أن ينفذ كتابي هذا عبر هذه المراحل جميعًا دون أن يُحذَف منه حرف.

قصة "روكسلانا" مع السلطان "سليمان القانوني" ظهرت في مسلسل تركي حديث يدعى "حريم السلطان" حيث سمَوا "روكسلانا" اسما عربيا هو

"هيام".. وهم أيضًا أظهروا أنها مخادعة وتدبر المكائد طيلة الوقت.. وهو من المسلسلات التي صوَّرت الواقع بغض النظر عن الدراما المدسوسة التي لابد منها في كل مكان.

إن جمعية الاتحاد والترقي كانت تنادي بالليبرالية.. والمشكلة أن من صنع كل الأفكار الكبرى في العالم هي المنظمة الماسونية.. والمتبنين لهذه الأفكار من عامة الشعب يتبنونها وهم أصلًا لا يدرون أن من أنشأها ماسونيون.. فمثلًا لما تسأل أحد اليساريين من أين أتيت بأفكارك سيقول "كارل ماركس" و"فريدريك إنجلز" وكلهم ماسونيون رسميون.. ولما تسأل صاحب المرجعية العلمانية أو الليبرالية من أين أتيت بأفكارك سيقول لك "فولتير" و"جان جاك روسو".. وهم أيضًا ماسونيون رسميون.. فالماسونية هي صاحبة الأفكار الكبرى في العالم حتى وإن تناقضت هذه الأفكار بينها وبين بعضها.. فالغرض هو إبعاد الناس عن أفكارهم وتوجهاتهم الأصلية ليتبنوا توجهات أخرى تسمح لهم أن يتصارعوا مع بعضهم البعض.. وقد لا يكون بينهم وبين بعضهم أي مشاكل في الأصل.

إن قصة "ماستيم" لم تنته كما هو واضح.. لذا دعنا نعرض مجموعة الأوراق التالية..

الورقة الأولى هي ورقة صكوك الغفران التي كان المسيحيون يبيعون فيها أراضي من الجنة للناس وعليها صورة ساخرة لصك مكتوب عليه 90 دولار مرتجعة لك لو تبين لك أننا نكذب..

الورقة الثانية والثالثة هي لنفس الشيء.. إسرائيل.. الورقة الأولى منهما عليها صورة جندي إسرائيلي يقف حارسًا وأمامه نجمة داوود مرسومة باللون الأبيض.. والورقة الثانية منهما عليها صورة قتال بين جندي

إسرائيلي وبين مقاومين فلسطينيين إحداهما سيدة محجبة ترمي عليه الحجارة..

الورقة الرابعة هي ورقة الأمم المتحدة وعليها صورة رجلين في أزياء رسمية يصرخان في بعضهما البعض.. أحدهما أسود والآخر أبيض..

الورقة الخامسة هي ورقة جائزة نوبل للسلام.. وعليها صورة امرأة تبدو خبيثة ترتدي قلادة كبيرة..

الورقة السادسة هي ورقة روسيا وعليها صورة الكريملين.

***

دماء على أرض الميعاد..

1500 بعد الميلاد - 1948 بعد الميلاد

سابحًا في بحر أفكارهم كان.. يغوص فيها ويجول.. يمسك بعض أفكارهم في يده ذات الأظفار الطويلة.. وينظر إليها من وراء قناعه الأبيض المخيف.. ويبتسم.. ويطمئن.. كنت تراه عن بعد فلا تدري من هو.. وكيف يسبح في بحر أفكارهم هكذا.. ثم لم تلبث أن عرفته.. كان هذا هو الشيطان المريد اليهودي "ماستيم".. كان يسبح في بحر أفكار مذهب مسيحي جديد.. مذهب ظهر في أوروبا فجأة بعد أن طُرِد اليهود منها.. كان "ماستيم" يسبح في بحر أفكار أصحاب المذهب البروتستانتي.

" اليهود هم أبناء الله وخاصته والمسيحيون هم الغرباء.. والغرباء لابد أن يرضوا أن يكونوا كالكلاب التي تأكل الفتات الذي يسقط من مائدة الأسياد"

مارتن لوثر

وجد هذه الفكرة في بحر أفكارهم تتهادى.. فكرة لفتت انتباه الشيطان اليهودي.. فكرة قالها مارتن لوثر" مبتدع المذهب البروتستانتي كله.. الرجل القسيس الذي كره سلطة البابا شبه الإلهية.. كره بيع صكوك الغفران التي تضمن للناس حفظًا من النار وفدادين في الجنة.. كره عدة أمور أخرى وعارضها بعلنية وحماسة شديدة.. وفي مذهبه هذا كان يتقرب لليهود ويعارض اضطهادهم وطردهم من البلاد ومعاملتهم على أنهم المذنبون الأبديون قاتلو المسيح.

" دعكم من الإنجيل لأنه محرَّف.. إن الكتاب الصحيح الوحيد هو التوراة اليهودية ولا شيء غيرها.. وبالنسبة للتلمود فلا يجب علينا أن نحرقه بكل هذه القسوة"

مارتن لوثر

فكرة أخرى أمسكها بيده وصار ينظر إليها بتمعن.. فكرة وضعت التوراة اليهودية مكان الإنجيل في هذا المذهب المسيحي الجديد.. اتهمه المسيحيون التقليديون الكاثوليك بأنه يهودي متخفٍ.. بعد فترة تغيرت أفكار هذا الرجل لتنتج شيئًا غريبًا نوعًا ما.

"اليهود كائنات يجب التخلص منها فورًا.. ديدان مقززة وخبثاء وملعونون إلى الأبد.. يجب أن نسلب منهم جميع كتبهم ونحرقها.. لابد أن نطردهم جميعًا من بلادنا"

مارتن لوثر

نظر "ماستيم إلى الفكرة بتعجب.. ألم يكن الرجل منذ قليل محبًا لليهود متقربًا إليهم ؟.. وبينما "ماستيم" يفكر إذا ناداه الأفعى "سيربنت" نداء فهم منه أنه رغم أن أفكار هذا الرجل أصبحت معارضة لليهود إلا أنها كانت صهيونية في نفس الوقت.. بدأ "ماستيم" يسبح باحثًا عن تلك الأفكار الصهيونية في بحر العقلية البروتستانتية.. حتى وجدها مكتوبة بخطٍ أحمر مشع وسط كل الأفكار الأخرى.

"علينا ألا نعيق ذهاب اليهود إلى فلسطين.. بل إن علينا أن نعطيهم كل ما يحتاجون إليه في رحلتهم تلك.. لأنه لما يقدر اليهود أن يقيموا لأنفسهم دولة في فلسطين سينزل المسيح عيسى ليخلص العالم من الشر"

مارتن لوثر

إن هذا الفكر هو الولادة الحقيقية للصهيونية.. فقد خرج قبل أن يُولَد "هرتزل".. بل حتى قبل أن يولد "ساباتاي زيفي".. ترك "ماستيم أفكار "مارتن لوثر وبحث عن أفكار لمصلح بروتستانتي آخر جاء بعده ويدعى "كالفن"

"الربا ليس حراما بل هو حلال لا شيء فيه"

كالفن

هذه الفكرة ساهمت في تسهيل جميع معاملات اليهود المالية وسيطرتهم الاقتصادية على جميع البلاد الأوروبية.. كان "كالفن" هذا يدعو بحماسٍ لأفكار "مارتن لوثر".. وأفكاره تلك فرقت بين الكنيسة والشعب في إنجلترا مما أدى لاشتعال النار في الثورة الإنجليزية التي شاهدناها على الشاشة مع "سيربنت" من قبل.

ترك الشيطان" ماستيم بحر الأفكار البروتستانتية وطار خارجًا منه إلى سماء أوروبا التي شهدت حروبًا دينية ين أتباع المذهب البروتستانتي وأتباع المذهب القديم الكاثوليكي.. حروب دينية راح ضحيتها الكثير.. وانقسمت بلاد أوروبا دينيًا فصار منها ما هو كاثوليكي بحت مثل فرنسا وإيطاليا وإسبانيا.. ومنها ما هو بروتستانتي مثل ألمانيا وإنجلترا.

نظر "ماستيم" خلال هذه الحرب إلى البروتستانت وهم يهاجرون من إنجلترا عبر المحيط إلى أمريكا.. وظنوا أنفسهم في هجرتهم هذه كأنهم يعيدون مشهد الخروج المقدس.. أيام خرج اليهود من مصر بعد أن استعبدهم فرعون.. فشقَّ بهم موسى البحر وأوصلهم إلى أرض صحراء هي أرض سيناء أو أرض التيه.. أما البروتستانت فقد هربوا من اضطهادهم في أوروبا إلى أرض تيه

جديدة هي أرض أمريكا.. وقد أعجبتهم تلك الأرض وصاروا أغلبية ساحقة فيها وبالتالي صار المذهب البروتستانتي هو المذهب الغالب في أمريكا.

لم يكن "ماستيم" يفهم ما الذي يعنيه ذلك وقتها.. كل ما أصبح يعلمه هو أن البروتستانت هؤلاء قد صاروا أغلبية في العالم.. وأنهم موالون ومعينون ومناصرون لعودة اليهود إلى فلسطين.. وأكبر الدول المناصرة ستكون بالتالي هي إنجلترا وأمريكا.. لم يكن يدرك جيدًا ما الذي يعنيه هذا وهو يطير فوق المسجد الأقصى.. لكن الزمن كان كفيلًا بإفهامه.. كان اليهود الآن قد بدأوا يهاجرون إلى فلسطين ألفًا وراء ألف بعد أن حكمت جمعية الاتحاد والترقي عرش الدولة العثمانية.. وهاهو "سيربنت" يزحف على بلاط مسجد قبة الصخرة في هدوء ولسانه المشقوق يخرج من بين أنيابه مهتزًا في نهم لشيء ما.. كان يبدو أن الأفعى "سيربنت" قد وصل لمحطته الأخيرة.. وأنه سينجزها بنجاح كما أنجز كل المراحل التي سبقتها.

بعد وفاة "هرتزل" أصبح "ماستيم" يطير فوق رجل آخر.. خليفة "هرتزل" في زعامة الصهيونية.. "حاييم وايزمان".. عالم كيميائي يهودي.. أوفده اللورد "روتشيلد" ليزور فلسطين أثناء هجرة اليهود إليها.. فعل هذا الرجل أفاعيل خبيثة أعجبت "ماستيم" جدًا.. في البداية أسس شركة تطوير أراضي في يافا.. هدفها شراء الأراضي من الفلسطينيين بطريقة منظمة.. كانت أكبر صفقة عقدها هي شراء أرضٍ واسعة جدًا جدًا كانت مملوكة لعائلة لبنانية مقيمة في أوروبا.. وبدأ "وايزمان" يبني مستعمرات يهودية على الأراضي التي نجح في شرائها.. ثم أنشأ جماعة مسلّحة تدعي حرس الهاشومير.. يهود مسلحين لهم هيئة غريبة نوعًا ما.. يرتدون الغترة البيضاء العربية على رؤوسهم.. وعلى صدورهم حزامان سوداوان متقاطعان.. كان هؤلاء الحرس يحرسون المستعمرات اليهودية.. وبدأ "وايزمان" في إخراج

مظاهرات في فلسطين للاعتراف باللغة العبرية.. وبينما "ماستيم" يطير في شوارع فلسطين.. إذ به يرى جريدة مفتوحة ملقاة على جانب الطريق.. نظر إليها.. كان اسمها الكرامل.. وكان المانشيت الرئيسي في الصفحة تحذير لجميع العرب من قيام الدولة اليهودية.. لأنها ستكون خنجرًا سامًا في خاصرة العرب.. ابتسم "ماستيم" ابتسامة باهتة ثم غادر المكان طائرًا إلى مكان آخر.

فجأة اهتزت أجواء العالم أجمع.. الحرب العالمية الأولى.. تحالفت بريطانيا وفرنسا وروسيا وإيطاليا ضد دولة واحدة هي ألمانيا.. لم تكن الدولة العثمانية لها أي علاقة بتلك الحرب الأوروبية من قريب أو من بعيد لكن جماعة الاتحاد والترقي أقنعوا الخليفة الصوري أن يدخل في الحرب إلى جانب ألمانيا.. وبالفعل هذا ما حدث.. واشتد اهزاز الأجواء واشتد تطاير عباءة "ماستيم" وهو ينظر إلى خسائر الدولة العثمانية المتتالية في تلك الحرب.. سقطت من بين أيدي المسلمين دول كثيرة مثل البلقان وصربيا وبلغاريا واليونان والجبل الأسود والقوقاز.. ولم تعد أي دولة عربية موالية للدولة العثمانية حقيقة وإنما صرخت بين العرب أصوات تنادي بالاستقلال عن ذلك الكيان التركي المغرور الضعيف.. لم تكن الدولة العثمانية بخير.. لم تكن بخير أبدًا.

كان حقًا على "ماستيم" أن يقهقه ساخرًا وهو يشاهد أخيرًا قيام ما أُطلِق عليه لقب الثورة العربية الكبرى.. لم تنطلق في أي وقت.. بل اشتعلت في خضم انشغال الدولة العثمانية بالحرب العالمية الأولى.. كان "ماستيم" متحمسًا جدًا.. طار إلى قلب الحدث مباشرة.. كان ملك الحجاز وشريف مكة الذي يدعى "الشريف حسين" يراسل السفير البريطاني في مصر والذي يدعى "مكماهون".. كان البريطاني يريد من العرب أن يدخلوا في الحرب

العالمية الأولى مع بريطانيا ضد الدولة العثمانية.. على وعدٍ من بريطانيا أن تعترف بدولة عربية كبيرة تضم الجزيرة العربية كاملة والشام والعراق.. ويكون "الشريف حسين" هو الخليفة الأعظم لهذه الدولة.. شرط ألا تضم تلك الدولة لبنان ولا تضم فلسطين.. ووافق الشريف "حسين" واشتعلت النار.

وبينما كانت الدولة العثمانية تقاتل الروس والإنجليز والفرنسيين والإيطاليين من جميع الجهات.. إذ أتاها خنجر طعنها في ظهرها طعنة نجلاء.. خنجر عربي مكتوب على نصله "الشريف حسين".. وصفق "ماستيم" بيديه المخيفتين لهذه الطعنة الرائعة.

ترك "ماستيم" أجواء الثورة العربية الكبرى إلى أجواء أخرى.. اجتماع سري بين إنجلترا وفرنسا.. اتفاقية ذات اسم شهير "سايكس بيكو".. يرأسها من الجانب الإنجليزي "سايكس" مندوب بريطانيا لشؤون الشرق الأدنى ومن الجانب الفرنسي "بيكو" قنصل فرنسا السابق في بيروت.. اتفقا على أن تتوزع الكعكة العثمانية عليهما.. أعني تتوزع الدول العربية عليهما بعد سقوط الدولة العثمانية.. فتأخذ بريطانيا العراق والأردن.. وتأخذ فرنسا سوريا ولبنان أما فلسطين فتبقى تحت سيطرة مشتركة للحلفاء.. وبهذا كانت بريطانيا وفرنسا يريدان أن يأكلا قطع الكعكة العثمانية.. رغم أنهما وعدا أن يُعطيا تلك القطع "للشريف حسين".. لكن "ماستيم" كان يتساءل عن حظ اليهود في تلك الكعكة اللذيذة.. كان يتساءل عن فلسطين.

فجأة فتح "الشريف حسين" جريدة الصباح ليجد أخبار تلك الاتفاقية السرية بين بريطانيا وفرنسا.. رغم أنها سرية إلا أن الروس سرّبوا أخبارها إلى الجرائد.. وضجّ ملك الحجاز وأرغى وأزبد.. لكن حديثًا واحدًا من البريطانيين طمأنه.. قالوا له ألا يصدق كلام الجرائد لأنه كلام جرائد.. ولم

تحدث أي اتفاقيات ونحن على وعدنا الأول واتفاقيتنا.. فاطمأن لذلك واستراح ونام يحلم بأن يكون ملك العرب.

كان "ماستيم" يطير مطمئنًا على أحوال اليهود في فلسطين.. كانوا لا يزالون يشترون الأراضي ويبنون المستعمرات.. أخيرًا أيها اليهود بدأتم تمتلكون جزءًا من فلسطين.. بعد أن شردكم الزمان وأذلّكم أهل المكان.. سمع "ماستيم" أصداء حفل يقام في بريطانيا.. حفل عظيم.. طار في ثوانٍ إلى الحفل.. كان اليهود يحتفلون.. بماذا تراهم يحتفلون.. إنه يرى أكبر حكماء صهيون هنا.. "حاييم وايزمان" و"سايكس" واللورد "روتشيلد" وغيرهم الكثير.. كانوا يحتفلون بحدثٍ جلل.. فقبل أيام أصدرت بريطانيا وعدًا.. وعدًا لليهود بأن تقيم لهم دولة مستقلة في فلسطين.. وعدًا يدعى "بلفور".. والتقت كؤوس الخمر وأكف اليهود وابتساماتهم.. وظللت عليهم عباءة "ماستيم" المتطايرة وقناعه الذي تحول في تلك اللحظة إلى مزيج عجيب من السعادة والإرعاب.

لم يكن وعدًا رسميا.. إنما كان رسالة من وزير الخارجية البريطاني "بلفور" إلى اللورد "روتشيلد".. رسالة كان "ماستيم" يتوق شوقًا لقراءة نصّها.. فطار إلى حيث الرسالة الرسمية وفتحها يقرأها بتركيز.. كانت كالتالي..

وزارة الخارجية

في الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني سنة 1917

عزيزي اللورد روتشيلد

يسرني جدًا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة ملك بريطانيا التصريح التالي.. والذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية.. وقد عُرض على الوزارة وأقرته :

"إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إقامة مقام قومي في فلسطين للشعب اليهودي.. وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية.. على أن يُفهم جليًا بأنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص من الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين.. ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر."

وسأكون ممتنًا إذا ما أحطتم الاتحاد الصهيوني علمًا بهذا التصريح.

المُخلص

آرثر جيمس بلفور

أن تعطِي أرضًا لا تملكها إلى شعب لا يستحقها.. كان هذا هو الوعد باختصار.. بعد أسابيع فتح "ماستيم" رسالة أخرى سرية.. مقدمة من أول صهيوني يصل لمنصب وزير في بريطانيا يرسلها إلى مجلس الوزراء البريطاني..

"الوقت الحاضر ليس مناسبًا لإنشاء دولة يهودية مستقلة.. لذا يجب أن توضع فلسطين بعد الحرب مباشرة تحت السيطرة البريطانية.. لتعطي تسهيلات للمنظمات اليهودية لشراء الأراضي وإقامة المستعمرات وتنظيم الهجرة. وعلينا أن نزرع بين المحمديين ثلاثة إلى أربعة ملايين يهودي أوروبي"

كانت رسالة حكيمة.. وقد تم تنفيذها بحذافيرها.. طلبت بريطانيا من فرنسا تعديل اتفاقية "سايكس بيكو".. وأن تعطي فلسطين لبريطانيا بدلا من أن تكون تحت سيطرة دولية.. وتم التعديل.. وبدأت بريطانيا تُعد جنودها لاحتلال فلسطين عسكريا.. كان الجيش العثماني في فلسطين قوامه حوالي مئة ألف رجل يرأسه رجل من جماعة الاتحاد والترقي.. رجل

يدعى "مصطفى كمال أتاتورك".. وقد جاءته الأوامر من قيادة الاتحاد والترقي بأن ينسحب مع كل جنوده من فلسطين ويُخليها تمامًا.. وهذا ما فعل "أتاتورك".. انسحب بمئة ألف رجلٍ من فلسطين.. وهاهو "ماستيم" يحلق في الهواء ناظرًا إلى مشهد لم يره منذ سبعة قرون.

جيش بريطاني لا تدرك نهايته بعينك البشرية.. كأنه حزام طويل من الجنود يمتد من الأفق إلى أرض فلسطين.. قائد هذا الحزام من البشر كان يدعى الجنرال "أللينبي".. ومن ضمن هذا الجيش كان هناك فيلق يهودي مدرَّب على أعلى مستوى.. بينه وجوه خبيثة لم يتعرف عليها "ماستيم" في البداية لكن التاريخ يحفظ أسماءهم جيدًا.. كان من ضمن الوجوه في الفيلق اليهودي رجلٌ غزا الصلع رأسه من المنتصف فترك جزيرتين من الشعر على الجانبين.. رجل يعرفه التاريخ باسم "دافيد بن غوريون".. ورجل آخر هو "نحميا رابين".. والد "إسحق رابين".. وآخرون ممن سيكون لهم شأن فيما بعد.. كان الجنرال "اللينبي" يدخل مزهوًا وسط أهالي فلسطين الذين لا يدرون أين ذهب جيش الدولة العثمانية بالضبط.. لكنهم كانوا سعداء بالبريطانيين مرحبين بهم.. فبالنسبة لهم كان البريطانيون هم الملائكة الذين أتوا من بلادهم ليساعدوا فلسطين على الاستقلال عن الدولة العثمانية التركية المغرورة.. لم تكن هذه فكرة عامة الشعب فقط.. وإنما كانت فكرة الشيوخ والمفكرين وحتى المفتي العام لفلسطين.. سمع "ماستيم" الجنرال "أللينبي" وهو ينظر إلى تلك الأجواء قائلًا:

- اليوم انتهت الحروب الصليبية .

لم يكن الشيطان الأفعى "سيربنت" موجودًا.. لقد ترك فلسطين فجأة واتجه إلى روسيا.. كانت الحكومة القيصرية الروسية تضطهد اليهود اضطهادًا شديدًا.. وذات مرة ذهب مندوب يهودي إلى وزير المالية الروسي

وعرض عليه أن يتخلص من كل اليهود الذين في بلاده بإرسالهم إلى فلسطين.. حينها قال له الروسي :

- إني أفضّل أن أتخلص من اليهود فعلًا.. ولكن ليس بإرسالهم إلى فلسطين.. وإنما بإغراقهم في البحر الأسود.

كان لابد من تهجير ذلك العدد الضخم من اليهود في روسيا إلى فلسطين بأي طريقة من الطرق.. فدار "سيربنت" في أنحاء روسيا حتى أقام ثورة رهيبة.. ثورة لو أردنا سرد وقائعها لاحتجنا إلى كتابٍ منفصل.. خبث ودهاء أوصل اليهود إلى حكم روسيا بعد أن كانوا مضطَهديها.. خبث لم تعرفه الأرض إلا في أماكن زحف الأفعى اليهودية "سيربنت".. قامت الثورة الروسية وحكمت الشيوعية روسيا.. وكانت الحكومة الجديدة أغلبها يهود.. وأول قرار اتخذوه هو إرسال اليهود إلى أرض الميعاد.. إلى فلسطين.

ضجَّ الشريف حسين وأرغى وأزبد.. ولكن بريطانيا حدثته وهدأته ونومته على سريره الوثير.. فأعطت لابنه حُكم العراق.. وأعطت لابنه الآخر حُكم الأردن.. بدأ "ماستيم" يراقب حياة اليهود في فلسطين بعد احتلال بريطانيا.. أصبحت اللغة العبرية لغة رسمية.. أصبح لهم محطات كهرباء مخصوصة لهم.. أصبحت لهم وزارة للمياه ووزارة للأشغال.. ودخل الاقتصاديون اليهود ولعبوا ألاعيبهم وفتحوا شركاتهم وأصبحوا يشغلون الفلسطينيين فيها.. ولكن بعد الهجرة الكبيرة لليهود من روسيا بدأ الأهالي يضجون ويشعرون بالخطر.. وبدأت ملامح توحي بالخطورة ترتسم على قناع "ماستيم".

على الجانب الآخر تم افتعال حرب زائفة بين الدولة العثمانية واليونان وتم صناعة بطل زائف في الجرائد والمجلات. "مصطفى كمال أتاتورك".. بطل مدحه "أحمد شوقي" قائلًا..

الله أكبر كم في الفتح من عجب.. يا خالد الترك جدد خالد العرب

وسمح التهليل والتطبيل في الجرائد والمجلات لهذا البطل الزائف أن يعلن نفسه ذات يوم رئيسًا لدولة تركيا.. ويعلن سقوط الخلافة العثمانية إلى الأبد.. وفور أن تسلَّم حُكم تركيا اندهش "ماستيم" من كم الأمور العجيبة التي قام بها.. نفى كلمة إسلام تمامًا من دستور تركيا.. ونص أنها دولة علمانية لا دين لها.. حرَّم لبس الحجاب على النساء.. ألغى الاحتفال بالعيدين.. منع المسلمين من أداء فريضة الحج لسنوات.. أغلق عددًا ضخمًا من المساجد.. حول مسجد أيا صوفيا العظيم إلى كنيسة.. منع الأذان باللغة العربية وجعله باللغة التركية.. ألغى منصب المفتي.. أعدم 150 عالمًا مسلمًا اعترضوا على هذه القوانين.. أجبر أئمة المساجد على ارتداء القبعة الأوروبية بدلًا من العمامة الإسلامية.. ألغى التقويم الهجري تمامًا.. ساوى بين الذكر والأنثى في الميراث.. ألغى من اسمه كلمة مصطفى واكتفى بكلمة أتاتورك.. وفي النهاية أوصى عند موته بألا يُصلَّى عليه.. ورغم أن هذه الأمور كلها أسعدت روح "ماستيم".. إلا أن الاندهاش لم يستطع أن يفارق قناعه لمدة طويلة لكنه زال لما أوحى إليه "سيربنت" أن أتاتورك قد ربته حاضنة يهودية.

ألف "أحمد شوقي" قصيدة طويلة ينعي فيها تركيا وينعي سقوط الخلافة ويهاجم أتاتورك قائلًا:

بكت الصلاة وتلك فتنة عابث.. بالشرع عربيد القضاء وقاح

أفدى خزعبلة وقال ضلالة.. وأتى بكُفرٍ في البلاد بواح

لا يمكنك أن تخدع كل الناس كل الوقت.. خرج مفتي فلسطين وكل المفكرين الذين كانوا مؤيدين للاحتلال البريطاني لفلسطين في مظاهرات

حاشدة سلمية عديدة معارضين.. لكن "ماستيم" كان يطير فوق مظاهرة أخرى.. مظاهرة حاشدة قام بها اليهود عند حائط البُراق للمطالبة ببناء الهيكل المزعوم.. منشدين نشيد الأمل.. أو كما يقولون "الهاتيكفا"..

طالما في القلب تكمن

نفس يهودية تتوق

وللأمام نمو الشرق

عين تنظر إلى صهيون

أملنا لم يضع بعد

أمل عمره ألفا سنة

أن نكون أمة حرة في بلادنا

بلاد صهيون وأورشليم القدس

وبعد صلاة الجمعة التي تلت ذلك اليوم.. كان "ماستيم" طائرًا شاهدًا لحدثٍ رهيب أمام المسجد الأقصى.. جمهرة من المسلمين تصارعت من جمهرة مماثلة من اليهود.. وتدخَّل الجيش البريطاني بين الجمهرتين.. وكان تدخُّله إطلاق النار على المسلمين العزل الذين سالت دماؤهم في ساحة المسجد الأقصى.. وتحول قناع "ماستيم" إلى منظر بشع مخيف.. وطار فوق الجميع طيرانا يؤذن بكارثة.

قامت ثورة كبيرة كانت بداية لجميع أحداث العنف التي تلتها.. ثورة البراق.. حطم الفلسطينيون ست مستعمرات يهودية تدميرًا كاملًا.. وامتدت الثورة كالسرطان إلى كافة المدن الفلسطينية بلا استثناء.. كانت الصحف العالمية

كلها تعرض خبر الفلسطينيين الجزارين الإرهابيين الذين ارتكبوا أبشع الجرائم في حق إخوانهم اليهود المسالمين.. تم اعتقال تسعمائة فلسطيني.. أعدم أهم ثلاثة منهم.. واستمرت الثورة عامًا كاملًا.. وبعدها تم تخفيف الهجرة اليهودية.. واعتبار حائط البراق ملكية إسلامية كاملة لا علاقة لليهود بها.

إن حائط البراق هذا هو ما يُدعى هذه الأيام حائط المبكى والذي يعتبر اليوم ملكية يهودية خالصة لا علاقة للمسلمين بها.. وهو الحائط الذي يحد المسجد الأقصى من الجهة الغربية.. وهو الحائط الذي ربط النبي "محمد" فيه فرسه البراق بحلقة قبل أن يدخل إلى المسجد ويصلي بالأنبياء قبل أن يُعرج به إلى السماء.. أما اليهود فيعتبرونه الحائط الوحيد المتبقى من الهيكل.. ويبكون عنده حسرة على خراب الهيكل.

كان يبدو أن الثورة قد هدأت نوعًا ما بعد أعمال القمع الرهيبة التي كان الجيش البريطاني يجيدها ويحبها ويستمتع بها.. وكان "ماستيم" يحلق فوق مكان عجيب.. مسجد من مساجد حيفا.. وكان يمكنك أن تسمع صوت الخطيب عاليًا يدوي في القلوب:

- قال ربكم العظيم.. "ألا تقاتلون قومًا نكثوا إيمانهم وهمّوا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة.. أتخشونهم.. فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين"

و أعاد الجملة الأخيرة ثلاث مرات.. كان صوته متهدجًا دافئًا متحمّسًا حزينًا حقيقيًا.. ثم قال لهم:

- يا أيها الناس، لقد علمتكم أمور دينكم حتى صار كل واحد منكم عالمًا بها.. وعلمتكم أمور وطنكم حتى وجب عليكم الجهاد.. ألا هل بلغت.. اللهم فاشهد.. فإلى الجهاد أيها المسلمون.

ضج المسجد بالبكاء والتأثر.. كان هذا هو "عز الدين القسام".. أزهري من أهل سوريا قاد الناس في بلده سوريا ضد الاحتلال الفرنسي.. ثم سافر إلى فلسطين ليقود الناس ضد الاحتلال البريطاني.. بعد ساعة من تلك الخطبة بدأت السلطة تبحث عنه بحثها عن الإرهابيين.. لكنه في تلك اللحظة كان قد حمل بندقيته وذهب إلى الجبال.. طار "ماستيم" فوق تلك الجبال ليشاهد "عز الدين القسام" ومعه نفر من أصحابه يقاتلون الجنود الإنجليز الذين كشفوا مخبأهم في الجبال.. كان هناك رجال من الشرطة العربية يقفون في جانب الانجليز.. صاح قائدهم :

- أنت محاصر يا "عز الدين".. عليك أن تستسلم فلا قِبَل لك بهم.. لاقبل لك بالإنجليز

رد عليه "عز الدين" :

- بل نحن في مقام لم تعرفه بعد.. نحن في مقام الجهاد.. ومن خرج في هذا المقام لا يصح أن يستسلم إلا لله .

كان "ماستيم" يتابع تبادل إطلاق النار في شغف بين الجانبين في الجبال.. لكنه بدأ يتململ.. طالت المعركة لأكثر من ساعتين.. وفجأة غزت الجو طائرات إنجليزية.. طائرات قصفت جانب المجاهدين بقذائف إنجليزية خرجت لها أرواح المجاهدين كلهم.. وخرجت لها روح "عز الدين القسام".. الرجل الذي أشعل لموته ثورة أكبر من ثورة البراق.. ثورة فلسطين الكبرى.. وبدأ قناع "ماستيم" المرعب يتشقق بطريقة عجيبة.. وتخرج من بين تشققاته أدخنة سوداء.

لم تكن ثورة فقط.. بل كانت ثورة وإضرابًا.. وربما تكون تلك أشد ثورة في تاريخ فلسطين.. ثورة قمعتها القوات الإنجليزية بكل الطرق حتى وصلت إلى

قصف المنازل وتفجيرها لاشتباه وجود ثوار فيها.. استمرت الثورة ثلاث سنوات كاملة نُفذت فيها حوالي عشرة آلاف عملية فدائية.. بمعدل تسع عمليات فدائية في اليوم.. وأصبحت التشققات في قناع "ماستيم" تتزايد.. كان يطير فوق أحد المساجد أثناء صلاة العيد.. وفور انتهائها وخروج الناس إذ هجمت عليهم القوات الإنجليزية واعتقلت نفرًا كثيرًا منهم.. تابعهم "ماستيم" حتى انتهى الإنجليز بهم إلى أماكن مغلقة يسمونها *Concentration Camps*.. وضعوهم بداخلها وأغلقوها عليهم لثلاثة أيام متواصلة.. كان "ماستيم" يشاهدهم وهم يبولون على أنفسهم لعدم وجود مكان يبولون فيه.. ويتلوى بعضهم على الأرض من الجوع والعطش.. ويبكون حالهم وذُلَّهم وقهرهم.. وملامح وجه "ماستيم" تبرز أعتى معاني الشماتة والكراهية.

شعر "ماستيم" بأن أجواء العالم كله تهتز بعنف.. تذكر اهتزازا كهذا منذ مدة ليست بعيدة.. لكن الاهتزاز هذه المرة كان عنيفًا جدًا.. الحرب العالمية الثانية.. لازال الحلفاء حلفاء.. بريطانيا وفرنسا وروسيا.. لكن انضمت لهم أمريكا هذه المرة.. المعسكر الثاني ألمانيا.. وانضمت لها اليابان.. كانت أكبر معركة في تاريخ الأرض.. معركة مات فيها 50 مليون إنسان.. ما أهم "ماستيم" في تلك الحرب هو أنه نزحت من ألمانيا وأوروبا دفعات هائلة جدًا من اليهود.. دفعات توجهت كلها ناحية فلسطين.. دفعات ادعت أنها هاربة من طغيان "هتلر" الذي يقيم المذابح والمحارق لإبادة اليهود عن وجه الأرض كلها.. وتدفقت هذه الدفعات على سفن هائلة الحجم لترسو على موانىء فلسطين.. ودخل هؤلاء متوقعين أن يحظى كل واحد منهم بمسكن ومأكل ومشرب.. وإن توقعاتهم كلها كانت صحيحة.. صحيحة جدًا.

قبل الحرب العالمية الثانية كانت الهيئة التي تجتمع فيها جميع الدول تدعى "عصبة الأمم".. وهي الهيئة التي أعطت إلى بريطانيا صك الانتداب لدخول فلسطين واحتلالها.. وبعد الحرب العالمية الثانية صار اسمها "الأمم المتحدة".. وقررت الأمم المتحدة حتى تحل أزمة ثورة فلسطين هذه أن تكون فلسطين تحت حُكم الأمم المتحدة.. فلا هي لليهود ولا هي للعرب.. ضج اليهود وثاروا في وجه الأمم المتحدة فتراجعت عن قرارها إلى التفكير في قرار آخر.. أن تقسم فلسطين إلى دولتين.. واحدة عربية والأخرى يهودية.. وأن تُعجل بعد تنفيذ هذا القرار بإخراج البريطانيين من فلسطين.

في تلك الأثناء كان اليهود لديهم فرق عسكرية كثيرة.. كان لديهم فرقة الإيرجون.. وفرقة الشتيرن.. وفرقة الهاجانا.. وفرقة البالماخ.. كلها فرق عسكرية مسلحة تسليحًا ثقيلًا جدًا ومدربة تدريبًا عاليًا جدًا.. ورغم أن هذه الفرق كلها كانت تساعد البريطانيين على قمع الثورة الفلسطينية.. إلا أنها وبعد أن خرج قرار التعجيل بإخراج البريطانيين وقرار التمهيد لتقسيم فلسطين.. قررت أن تقوم بعمليات إرهابية ضد البريطانيين.. لتُعجل بإخراجهم من البلاد.. وبالفعل قامت عمليات إرهابية شهيرة ضد أعضاء الجيش البريطاني.. تفجيرات واغتيالات ونسف وقتل.. حتى تم القبض على قائد فرقة الإيرجون الذي يدعى "مناحم بيجن" واعتبروه إرهابيًا.. ما أضحك "ماستيم "هو أن هذا الرجل نفسه الذي دخل السجن الآن باعتباره إرهابيًا.. بعد مرور ثلاثين عامًا حصل الرجل على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع الرئيس المصري "أنور السادات".

أوعزت بريطانيا إلى رئيس وزراء مصر "مصطفى النحاس" بإنشاء هيئة تدعى جامعة الدول العربية.. تضم كل الدول العربية وتعبِّر عن رأيها.. شرط ألا تضم فلسطين إليها.. واجتمع العرب في هيئة جامعة واحدة.. وسلخوا

منهم فلسطين.. كان "ماستيم" يفكر قليلًا.. لقد ضمت تلك الجامعة سبع دول.. ست منها تحت الاحتلال الإنجليزي.. أي أنه لا فائدة حقيقية منها إلا تمرير ما تريده بريطانيا باسم العرب.. وضحك "ماستيم" مجددًا.

طار "ماستيم" ذو القناع المتشقق فجأة إلى مقر الأمم المتحدة.. كان هناك اجتماع في غاية الأهمية.. دخل "ماستيم" إلى الاجتماع والمتحدث اليهودي يقول :

- حين نتكلم عن دولة يهودية.. فليس في مخيلتنا أي دولة عنصرية أو متعصبة لدين.. بل دولة تقوم على أساس المساواة الكاملة في الحقوق لكل سكانها.. دون تمييز في الدين والعرق.. وبدون سيطرة أو إخضاع.

بعد أن كان اليهود يملكون 5 % فقط من أرض فلسطين.. إلا أنهم ملكوا بعد هذا الاجتماع نصف أرض فلسطين.. كان هذا الاجتماع هو الاجتماع الذي أعلن قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين.. النصف للعرب.. والنصف لليهود.. والقدس لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.. بل هي منطقة دولية.. ويجب على كل الفلسطينيين الساكنين في القسم المعطى لليهود أن يغادروا مساكنهم فورًا إلى القسم الفلسطيني.. وقررت اللجنة خروج البريطانيين من البلاد في 15 مايو 1948.. أي بعد ستة أشهر.

وبدأ ترحيل الفلسطينيين من الأراضي المقسومة لليهود حسب القرار.. وبدأ "ماستيم" يطير فوق القرى ليتابع أحداث الترحيل.. دخلت قوات الهاجانا إلى قرية القسطل.. أهم القرى الحامية للقدس.. دخلتها وطردت منها جميع أهلها.. ولفت نظر "ماستيم" فرقة من المجاهدين الفلسطينيين الذين كانوا يبدون منظمين ومسلَّحين.. كانت هذه الفرقة هي جيش الجهاد المقدس.. وقد تكون هذا الجيش بعد أن اجتمع الفلسطينيون في كافة أنحاء البلاد

وقرروا توحيد صفوفهم المقاومة في جيش واحد.. وكان قائد هذا الجيش رجل فلسطيني مجاهد صنديد يدعى "عبد القادر الحسيني".. وقد رآه "ماستيم" يتصدر المجاهدين الداخلين إلى القسطل.

حدث بين هذا الرجل وبين جامعة الدول العربية حوار تاريخي.. كان فيه:

- أنا ذاهب لتحرير القسطل.. وسأقتحمها وأحررها ولو كان في هذا موتي.. ونريد منكم تزويدنا بالسلاح المخزَّن لديكم.
- لقد عهدنا بموضوع فلسطين إلى لجنة عسكرية خاصة ستهتم بالأمر بعد خروج البريطانيين منها في 15 مايو.
- لو أنكم انتظرتم حتى 15 مايو ستحتاجون إلى عشر أضعاف ما ستحتاجونه الآن.
- نحن لا ندعم العمليات الفردية.
- نحن أحق بالسلاح المخزَّن من تلك المزابل التي تخزنونه فيها.. إن التاريخ سيتهمكم بإضاعة فلسطين وتذكروا أن التاريخ لا يرحم أحدًا.. وأنني سأموت في القسطل قبل أن أرى تقصيركم وتواطؤكم.
- كفاك كلامًا سخيفًا.. نحن لدينا العتاد والسلاح لكننا لن نعطيه لك.. وإنما سننتظر 15 مايو.

رمى "عبد القادر الحسيني" في وجوههم دبارة كانت في يده وقال :

- أنتم تخونون فلسطين.. أنتم تريدون قتلنا وذبحنا.

رآه "ماستيم" يدخل إلى القسطل ومعه نفر من جنوده.. وتمت محاصرته من قبل جيش الهاجانا حصارًا شديدًا.. ووجدت في آخر اليوم جثته ملقاة بجانب أحد المنازل في القسطل.. طار "ماستيم" فوق جثته ونظر له نظرة

هازئة.. وسقطت من قناع "ماستيم" قطعة من الذقن.. لتكشف وراءها ظُلمة شيطانية لا تتبين معالمها جيدًا.

في فجر اليوم التالي كان "ماستيم" يطير فوق قرية مجاورة لقرية القسطل.. قرية تدعى دير ياسين.. وفجأة هجمت عليها قوات الإيرجون والشتيرن من ثلاثة جهات.. في البداية استخدموا مكبّرات الصوت والكشافات.. كانوا يطلبون من جميع السكان إخلاء القرية فورًا.. فوجئوا بإطلاق نار من بين مساكن القرية.. طار "ماستيم" إلى حيث مصدر الطلقات فوجد شباب القرية قد اجتمعوا وتسلّحوا ووقفوا أمام مساكنهم يحمونها بأرواحهم.. لكن طلقاتهم هذه استفزت العصابات اليهودية التي تخلت عن الكشافات وتخلت عن الميكروفونات وأمسكت بالمدافع الرشاشة وهجمت على القرية في أعداد كثيرة كأنها النمل.

ارتكب اليهود في دير ياسين أبشع شيء تم ارتكابه منذ أن دخلوا إلى فلسطين أول مرة.. وكان قائدهم هو "مناحم بيجن".. تابعهم "ماستيم" الذي توسعت تشققات "قناعه الأبيض حتى كاد أن يسقط من على وجهه.. رأى "ماستيم" الجنود يطلقون أحزمة النار من مدافعهم الرشاشة فتحصد أجسادًا وراءها أجساد.. تحصد أطفالًا وتحصد نساءً.. ورآهم وهم يرمون القنابل إلى داخل المنازل فتنجر فلتقي حولها أشلاء عائلات كلماة كانت تختبيء وراء ذلك الدولاب أو ذاك.

رأى جنودًا يمسكون برجل وامرأته فيصفعونه حتى يسقط أرضًا ويبطحون زوجته على الأرض فيقعون عليها كما تقع البهائم وطفلتها الصغيرة لا تدري أتنظر إلى أبيها الذي يلفظ نفسه الأخير أم إلى أمها التي تصرخ وكأن أحدهم سوف يسمع صراخها.. سقط جزءٌ آخر من قناع "ماستيم".. الذي كان لا يزال يتابع تلك المجزرة التي تحدث في هذه القرية في كل شعب من شعابها..

وهاهي العصابات اليهودية قد أوقفت عشرين شابًا من شباب القرية إلى جدار يضعون عليه وجوههم وأكفهم.. ثم أفرغت طلقاتها في أجسادهم فتساقطوا متكومين على بعضهم البعض.. وهاهم يحاصرون فرّان القرية الذي كان قبل الفجر قد أشعل الفرن مجهّزًا للخبز.. ولما دخلوا القرية بعد الفجر حاصروه في فرنه.. ثم أمسكوا به وألقوا به إلى داخل فرنه ليحترق بالداخل حيًّا.. وهنا سقط قناع "ماستيم" وانكشفت الظلمة التي تختبىء وراءه.

لم يعد هناك قناع.. كانت رأسه جمجمة شيطانية ذات نظرة ساخرة تميز الجماجم الشيطانية.. وعلى جبينه محفورة نجمة داوود.. وعباءته لازالت تتطاير.. وأصبح له صوت شيطاني صارخ يشبه أكثر ما يشبه أصوات صراخ الديناصورات الكبيرة.. ثم طار إلى مشهدٍ آخر.. رأى فيه مجموعة من اليهود يمسكون بمجموعة من النساء والأطفال فيلقونهم في أحد آبار القرية ويلقون عليهم وقودًا ويشعلون فيه نارًا فتشب النار من فوهة البئر وتلقي بشررها حوله حتى يتراجع الجميع واضعين أذرعهم على وجوههم.. ويبدو "ماستيم" من وراء النار.. شيطان يهودي كما يجب أن تكون الشياطين.

وانتهت مذبحة دير ياسين بعد ثلاثة أيام.. قُتِلَ فيها ثلث سكان القرية.. وهرب الباقين إلى القرى المجاورة.. وهرب سكان القرى المجاورة لما رأوهم إلى القرى المجاورة.. وهرب أولئك بدورهم.. وأصبح الفلسطينيون يهربون من قراهم خوفًا من العصابات اليهودية.. وترددت صرخة "ماستيم" الشيطانية في الأجواء.

كان مشهد الأهالي الفلسطينيين محزنًا جدًّا وهم يغادرون قراهم في طابور طويل بعضهم مشيًا على الأقدام يحملون متاعهم وبعضهم على شاحنات يحملون فوقها أثاثهم وألحفتهم وأمتعتهم.. يسافرون إلى حيث لا يدرون

لأنفسهم مسكنًا ولا مأوى.. والأكثر حزنًا أن ترى "ماستيم" وجمجمته الشيطانية الساخرة تنظر إلى هذا كله.. وأظفاره الطويلة تتحرك بالتتالي تعبيرًا عن السعادة الجمة.. فهؤلاء يتركون ديارهم وأرضهم ليعيش فيها يهود.. يهود قدموا من كافة أنحاء العالم.. يهود طردهم كل العالم.. وحُكم على هؤلاء الفلسطينيين وحدهم أن يدفعوا الثمن.

بدأ اليهود ينظرون إلى يافا.. ويعدون العدة لاقتحامها وطرد أهلها كما فعلوا مع بقية المدن.. وكان من قوّاد جيش الهاجانا رجل يدعى "موشي ديان".. رجل ذو عصابة سوداء على عينه اليسرى.. وكان يستعد لاقتحام يافا بخطة متميزة.. لكن "ماستيم" ترك هذه الاستعدادات وطار ليشاهد أمرًا لفت نظره.. كانت هناك فتاة فاتنة تجاهد لعبور الأسلاك الشائكة التي تفصل بين المنطقتين العربية والصهيونية.. كان "ماستيم" يتابع تلك الفتاة وهي خارجة من بيتها في مستعمرة بيتام جنوبي يافا.. حيث توجهت متسللة بحرص على ألا يراها أحد حتى وصلت إلى الأسلاك الشائكة الموضوعة بطريقة معقَّدة.. وقد تمكنت بعد عناء من اجتياز الأسلاك بعد أن جرحت ساقها جرحًا بليغًا جدًّا.. وجرت نفسها جرًّا داخلة إلى يافا في وقت يسبق أذان الفجر بحوالي ساعة.. الغريب أنها كانت تمشي وهي تعرف تحديدًا إلى أين تذهب.. ولم يمضِ وقتٌ طويل إلا وهي واقفة أمام أحد المنازل تدق بابها وساقها تنزف من تحتها ولم تعد قادرة على حملها.

ما لفت نظر "ماستيم" هو أن هذه الفتاة الفاتنة كانت هي "راشيل ديان" ابنة أخ "موشي ديان".. وبدت ملامح جمجمته الشيطانية متوجسة شرًّا.. فُتح باب المنزل الذي كانت تقف أمامه "راشيل".. لتبدو من داخل المنزل فتاة جميلة أخرى.. ما إن رأت "راشيل" حتى انكبت عليها تحتضنها وتصرخ فيها سائلة عما حلَّ بها.. ثم أدخلتها.. كانت تلك الفتاة الأخرى فتاة فلسطينية تدعى "مهيبة خورشيد".. إحدى الناشطات السياسيات

الفلسطينيات.. وكانت قد انعقدت بينها وبين "راشيل" صداقة عجيبة.. فبرغم أن "راشيل" يهودية إلا أنها ترفض الصهيونية رفضًا قاطعًا وترفض توجهاتها.. ويبدو أن قُرب "راشيل" من "موشي ديان" قد جعلها تطلع على خطة الهاجانا لاقتحام يافا.. ويبدو أنها خاطرت بنفسها وجاءت إلى "مهيبة" لتحذرها من هذا الاقتحام حتى يأخذ أهل يافا حذرهم.

كانت ملامح "ماستيم" تبدو غاضبة جدًّا.. كان يعتبر ما تفعله "راشيل" هو خيانة.. لكن ما فاجأه حقًّا هو ما حدث في اليوم التالي.. أثناء اقتحام العصابات الإسرائيلية ليافا.. نظر "ماستيم" غير مصدق ما يراه بمحجري عينيه العظميتين.. لقد كانت هناك فرقة مسلَّحة.. فرقة مسلَّحة نسائية فلسطينية.. فرقة نسائية ترأسها "مهيبة خورشيد".. التي بدت وكأنها فارسة أسطورية وهي تحمل مدفعًا رشاشًا وتضع على رأسها حجابًا وترتدي ملابس شِبه عسكرية.. ووراءها فرقة نسائية مسلحة.

نسى "ماستيم" ما يحدث في يافا وظل يتابع تلك الفرقة التي كانت تحارب الهاجانا فعليًا بكل قوتها.. لكنه أسقط في يده لما رأى "راشيل ديان" تخرج من المنزل ببندقية في يدها وتنقذ إحدى المسلحات من الفرقة في اللحظة الأخيرة.. وأصبحت "راشيل" ومهيبة في الميدان كتفًا إلى كتف.. إحداهما مسلمة.. والأخرى يهودية.. يحاربان قوات صهيون.. ويبدو أنهما قد أبديا بسالة في هذه الحرب أبقتهما على قيد الحياة حتى بعد أن تم احتلال يافا وطرد أهلها.. كانت "راشيل" تخرج من البلدة إلى جانب صاحبتها "مهيبة" وقد وضعت "راشيل حجابًا على رأسها كنوع من التنكر حتى لا يعرفها قومها.

وجاء اليوم الذي بدأت القوات البريطانية تخرج في طابور عسكري طويل من فلسطين.. يشابه ذلك الطابور الذي دخلوا به إلى فلسطين أول مرة.. كانوا خارجين منها بعد أن وضعوا شعبًا مكان شعب.. وأعزوا شعبًا وأذلوا

شعبًا.. وبعد خروجهم بدقائق فقط كان هناك احتفال صهيوني ما.. وصعد "ديفيد بن غوريون" على المنصة وأخذ يقرأ على الناس بيان قيام دولة إسرائيل.. أو كما يسمونه بيان الاستقلال.. والعجيب أنه لم يكن لهم وجود أصلًا في الدولة حتى يستقلوا عنها.. كان "ماستيم" طائرًا فوق رأس "بن غوريون تمامًا.. وكان يبدو واقفًا في الهواء بشموخ مربعًا يديه في مظهر قوي وعباءته تظلل على كل حاضري الحفل.. وكان يستمع إلى بيان "بن غوريون" وهو يقول:

"لقد نشأ الشعب اليهودي في أرض فلسطين.. وفيها أقام دولة ذات سيادة.. وقد تم إجلاؤه عنها في ذات يوم مشؤوم.. لكن الشعب اليهودي لم ينسَ وهو في مُهاجره أمل العودة إلى بلاده.. ولهذا بدأ الشعب اليهودي في العودة بالآلاف المؤلَّفة إلى أرض الميعاد.. أرضه التي طُرد منها قديمًا.. وها نحن الآن.. تلبية لنداء المرحوم العظيم تيودور هرتزل صاحب فكرة الدولة اليهودية.. نقف هنا ونعلن استقلالنا بدولة قائمة بذاتها ولغتها وجيشها"

"إن محرقة هتلر النازية التي حلَّت باليهود في الفترة الأخيرة والتي راح ضحيتها الملايين من يهود أوروبا قد أثبتت للعالم ضرورة حل مشكلة الشعب اليهودي المحروم من الوطن والاستقلال.. ولقد أعلنت الأمم المتحدة قرار إنشاء دولة مستقلة لليهود على هذه الأرض.. واليوم نحن نعلن انتهاء الانتداب البريطاني وبحكم حقنا الطبيعي والتاريخي فنحن اليوم نعلن عن قيام دولة يهودية في أرض إسرائيل.. وأن هذه الدولة اسمها إسرائيل.. وإننا نناشد الأمم المتحدة قبول دولة إسرائيل في أسرة الأمم المتحدة"

تمَّت

* * *

يجب أن تتعلم يا صديقي أن اليهود شيءٌ والصهاينة شيءٌ آخر.. بل إن اليهود يؤمنون أن دولة إسرائيل هي تعدي على مهمة المسيح المخلص.. أما الصهيونية فهي سبط واحد من أسباط اليهود.. سبط شرير.. وقد بدأوا أول ما بدأوا مع " هرتزل".. الذي استقى أفكاره من "ساباتاي زيفي".. والصهيونية هي أهم نجاح خرج من عباءة الماسونية.. لأن من يصل للدرجة 33 منها يدخل رسميًا في السبط الثالث عشر لبني إسرائيل.. السبط الشرير.. فلا تظن أن اليهود المنتشرين في العالم مؤيدين للصهيونية.. بل إن بعضهم معارض لها وبشدة.. المشكلة ليست في اليهود العاديين لأنهم يعارضون دولة إسرائيل.. إنما المشكلة هي في أتباع المذهب البروتستانتي الذي يدعم احتلال اليهود لفلسطين.. أنا أتحدث على مستوى الشعوب.. لكن على مستوى الحكام طبعًا فحُكَّام كل الدول الكبرى يدعمون إسرائيل ويباركون خطواتها.

الماسونية لما جندت الصهيونية لاحتلال فلسطين كانت في الحقيقة تنفّذ حُلمًا مهمًّا من أحلامها.. بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى.. وقد وعدتك في السابق أن أخبرك بالسبب الذي يريدون من أجله بناء الهيكل بهذه الحماسة ويسعون لذلك عبر التاريخ.

إن كل شيء يعود لوعد في التوراة.. وعد الله اليهود أن ينزل عليهم في آخر الزمان رجلًا من نسلهم.. يخلّصهم من شتاتهم ويحكم العالم كله بالعدل من الأرض المقدسة في فلسطين.. ورغم أن الله حقق وعده لهم وأرسل لهم النبي "عيسى" إلا أنهم كذّبوه.. ولما رأوه يموت على الصليب أمام أعينهم .. أيقنوا أنه ليس هو المسيح المخلص الموعود.. ويهود العالم الآن ينتظرون نهاية الزمان حتى ينزل الله عليهم هذا الرجل المخلص الذي هو ليس عيسى بل واحدًا آخر.. أي أنهم فقط ينتظرون.

لكن بعد أن تحالف الإنس والشياطين.. بعد أن أخرج نفر يهود من الإنس (فرسان الهيكل) كتب السحر والعلوم الشيطانية من أسفل الحرم القدسي.. انقلب كل شيء.. وبدأت فكرتهم تتغير.. ليس صحيحًا أن ننتظر المسيح المخلّص بل يجب أن نسعى بكل جهدنا لينزل إلينا.. وهذا السعي هو باحتلال فلسطين احتلالًا كاملًا.. فخرجت الحروب الصيبية وبدأت الحرب الشعواء للوصول إلى فلسطين.

وبعد أن غيَّر فرسان الهيكل اسمهم إلى الماسونية وانتهت الحروب الصليبية وصارت الدولة العثمانية قوة رهيبة لا يُستهان بها.. كانت مهمة الماسونية شديدة الصعوبة للوصول إلى فلسطين.. فاليهود أيامها كانوا مضطهدين في كافة أنحاء العالم ومطرودين.

كانت الخطوة الأولى أن يعود اليهود إلى البلاد التي طُردوا منها.. ليس فقط يعودوا.. بل أن يتحكّموا بتلك الدول.. عن طريق المال.. وقد نجحوا في ذلك وأشعلوا ثورات متعددة في أوروبا تنتهي كل دولة بأن تكون عبدة لليهود مديونة لهم.

ثم كانت الخطوة الثانية.. إنشاء دولة أمريكا الكبيرة المليئة بالخيرات.. ورغم أن كل رؤساء أمريكا وزعمائها كانوا ماسونيين إلا أنه كان يلزم أيضًا تحويل عقائد الشعوب لتكون متعاطفة مع اليهود.. وهو ما حدث لما أخرجت الماسونية من عباءتها المذهب البروتستانتي الذي يؤمن بضرورة احتلال اليهود لفلسطين.

الخطوة الثالثة كانت إسقاط الدولة العثمانية الكبيرة وإدخال اليهود إلى فلسطين ثم عمل لهم دولة فيها.. وهو ما نجحوا فيه نجاحًا منقطع النظير.. فبعد أن امتلك اليهود نصف فلسطين في 1948.. بدأوا يتوسعون خلال

السنين ويغيرون على الأراضي المقسومة للعرب حتى استولوا على 85 % من فلسطين وتركوا للعرب 15% فقط.. وهذه الـ 15% موزعة على كتلتين متباعدتين كجزيرتين في بحر من اليهود.. إحدى الكتلتين هي كتلة صغيرة تدعى قطاع غزة.. والكتلة الثانية أكبر من الأولى وتدعى الضفة الغربية وفيها القدس.. ولازالت دولة إسرائيل حاليًا تغيِّر على غزة كل حين وتغير على الضفة الغربية لتأكل مزيدًا من الأرض.

لم يعد باقيًا لهم الآن إلا احتلال الجزء المتبقي وهدم المسجد الأقصى.. والذي لا تعرفه أنهم قد حفروا الكثير من الأنفاق تحت أساسات المسجد الأقصى.. ولو حدث زلزال بسيط أو أمطار غزيرة لانهدم جزءٌ كبيرٌ من المسجد.

ربما ستسألني ما الذي يمكن لنا أن نفعل في مواجهة كل هذه الأسماء المخيفة.. الماسونية.. الصهيونية.. وهذا أهم سؤال قد تسأله لي منذ بداية جلساتنا.. إن كل هذه الأسماء ياصديقي هي أسماء من ورق.. وليس أي ورق بل ورق المزابل الذي لا قيمة له.. لما كُنَّا أمة واحدة تحت قيادة مخلصة واحدة لم يكن لأمثال هذه المزابل أن تفعل شيئًا.. ولعلك لمست بنفسك هذا الأمر من حكاية "ماستيم".. بل كانوا يتذللون لنا.. ما الذي تتبعه كل هذه الأسماء التي تبدو مخيفة؟ تتبع "لوسيفر".. وما هو "لوسيفر" هذا.. شيطان.. ولا يخزي من اتبع الشيطان إلا من اتبع من خلق الشيطان.. الله.. وهكذا كنا في السابق.. حتى نجح هؤلاء في تقسيمنا.

قسمونا إلى بضع وعشرين دولة.. كل دولة تكره جارتها.. زرعوا بيننا القومية.. المصري والسعودي والخليجي والمغربي.. كلهم لديه نعرة مزروعة بداخله تجاه دولته.. فلا يتشرف المصري أن يكون سعوديًّا ولا يتشرف السعودي أن يصير مغربيًّا.. غير عالمين أنهم كلهم أصلًا عرب ولم يكن بينهم

في تاريخهم الطويل هذه اللمسات القومية.. فكلها مزروعة حديثًا ولا أصل لها.

ماذا نفعل؟ لن أنادي بأمور مستحيلة.. بل سأنادي بأمور عادية جدًا.. حتى نقيم لأنفسنا وزنًا بين الأمم يجب أن نتجه إلى الاتجاه المعاكس لما يريدوننا أن نتجه إليه.. في البداية وحدوا عملتكم أيها العرب كما وحدت أوروبا عملتها.. ألغوا بينكم وبين بعضكم الحدود.. فليتحرك العرب داخل العالم العربي بلا تأشيرات.. وقد فعلوها أيضًا في أوروبا.. وهم بينهم ما بينهم في التاريخ من حروب ونزاعات.. بل إن الحربين العالميتين كانت أصلًا بين أمم أوروبا.. وبرغم هذا فعلوها.. أما العرب فليست بينهم أي نزاعات تاريخية.. فقط نعرة قومية مزروعة يمكن أن يمسك بها العربي في دقائق ويلقيها خارجه في أقرب قمامة.. ماذا أيضًا؟ ماذا عن توحيد الجيش؟ هل يبدو هذا مستحيلًا؟ ألم يكن موحدًا قبل منة سنة؟ لن أطيل في الأمر.. أنا فقط أفتح عقلك حتى تفهم ما أريد لك أن تفهمه.

نعود إلى سياقنا.. بالنسبة للمحرقة التي يدعي اليهود أن "هتلر" قد أقامها في حقهم وهي ما يسمونه "الهولوكوست" وجعلوا لها عيدًا سنويًا يتذكرونها فيه.. والتي يحاكِمون كل من ينكر حدوثها فها أنا ذا أقولها وبأعلى صوتي.. المحرقة التي تدعون أنها حدثت هي أكذوبة اتخذتموها ذريعة قذرة لتشعروا العالم أنكم شعب مضطهد وأنه لابد لكم من أرض تحتويكم بعد كل هذا الاضطهاد.. ادعيتم أن "هتلر" قتل منكم في الهولوكوست 12 مليونا بينما كان عددكم أصلا في أوروبا كلها ثمانية ملايين.. فقلصتم هذا العدد ليصبح ستة ملايين.. والحقيقة التي تحاولون إخفاءها هي أن من كان في السجون الألمانية من اليهود لا يتجاوز العشرين ألفًا.. نصفهم وجدوا أحياء.

أما ما قام اليهود به في فلسطين وماقام الصليبيون به في الحملة الصليبية الأولى والملايين التي أبادها الأمريكان من الهنود الحمر.. وتدمير هيروشيما وناجازاكي بالقنابل النووية؟ هذا كله لا قيمة له.. لأنهم ببساطة شعوب غير يهودية.. حيوانات أو كما يقول التلمود.. غوييم.. وإني أتعجب حقا.. فيما يخص أمريكا مثلا.. كيف يكون تفجير برجين أمريكيين هو قمة الإرهاب بينما تفجير وإبادة مدينتين كاملتين برجالهما ونسائهما وأطفالهما وشيوخهما ليس إرهابا؟ أتحدث عن هيروشيما وناجازاكي طبعًا.. وأتذكر كيف كان الأمريكان يكتبون إهداءاتهم على القنبلتين قبل إلقائهما.

كل من ذكر اليهود ومحرقتهم بكلمة يحاكمونه بدعوى أنه معاد للسامية.. والسامية هي الانتساب إلى "سام" ابن نوح.. ما يثير الأعصاب في الموضوع هو أن العرب من نسل "سام" أيضًا.. وكثير من الأمم الأخرى.. لكنهم استبعدوا كل الأمم من النسل وأبقوا نسلهم هم فقط.. اليهود.

وإني قد ذكرت اسم الأمم المتحدة في هذه الحكاية.. وإني أقول لك إن هناك شيئًا يدعى "حق الفيتو".. خمس دول هي أمريكا وروسيا وبريطانيا والصين وفرنسا.. من حقهم أن يعترضوا على أي قرار تتخذه الأمم المتحدة.. ولو أن واحدة فقط من هذه الدول اعترضت على القرار.. يوقف تنفيذ القرار فورًا وإن كانت كل دول العالم موافقة.. وأمريكا تستخدم دائمًا هذا الحق لوقف أي قرار يتخذ ضد دولة إسرائيل.. وبالمناسبة كل دول العالم لابد أن تكون عضوًا في الأمم المتحدة وإذا رفضت سيتم اتخاذ إجراءات ضدها.

وهناك كلمة للنبي العظيم "محمد" يقول فيها "تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها".. وكأني لما أرى الطاولة المستديرة للأمم المتحدة وجلوس ممثلي الأمم عليها يفرزون قرارات ضد العرب.. كأني أتذكر هذا الحديث دون غيره.

في النهاية أود أن أحذّرك من كثيرٍ جدًا من المقاطع والأحاديث المنشورة على الإنترنت التي تخص الماسونية.. فمن ينشرونها هم الماسونيون أنفسهم.. في الزمن السابق كان كل هم الماسونية هي ألا تصل المعلومات إلى الناس.. أما الآن في عصرنا هذا لم يعد الكتم أو إخفاء المعلومات مناسبًا أو ممكنًا.. لشيوع وسائل الإعلام والإنترنت واستحالة السيطرة على ما يبث من معلومات فأصبحت وسيلة التضليل الحديثة هي ما يدعى بالغطرسة.. بمعنى إشاعة مقاطع كثيرة وكبيرة وفيوضات من المعلومات كلها معلومات سطحية تستهلك الأذهان ويخرج منها المشاهد شاعرا بسخافة الأمر كله وأن الموضوع وضعه شخص مريض مهووس بنظرية المؤامرة.. لا تقرأ عن الماسونية في أي مكان إلا بعد أن تقرأ كتابي هذا أولا.. عندها ستعرف أين يجب أن تقرأ.. ولا تقلق.. فأي معلومة مذكورة في هذا الكتاب تحاول التحقق منها ستجدها صحيحة.. ولن تجدني أكذب عليك.

وتحضرني كلمة لـ"جورج بوش" يقول فيها "دعونا لا ندع تلك النظريات عن المؤامرة تخدعنا.. لأنها ما وضعت إلا لرفع الملامة عن الإرهابيين الحقيقيين".. وشيء جيد أنه قال هذا فهناك قاعدة مسلّم بها أريدك أن تحفظها كما تحفظ عينيك في محجريهما.. قاعدة تقول "لا تصدق الشيء إلا إذا تم إنكاره رسميًا" فلو لم يكن بوش قالها لم نكن لنصدقها.. أتمنى أن تكون قد فهمتني.. فإن لم تفهم أعد قراءة الجملة مرارًا.

أحيانًا يُخرجون الإشاعات أن فلانا قتله الماسون وعلّانا قتله الماسون رغم أنهم أناس عاديون وماتوا بطريقة عادية مثل حادث سيارة أو خلافه.. لكن إشاعتهم لهذا النمط من الفيديوهات السخيفة يجعل الناس تغض النظر لما يتم إسكات أحد المشاهير من قبل الماسون فعلًا.

وحتى لا يختلط الأمر عليك فبعيدًا عن الزعماء السياسيين.. فالماسون يقتلون شخصيات أخرى ذات تأثير ونفوذ وجمهور.. فقط لأن هذه الشخصيات قررت أن تسبح ضد التيار.. ومن أشهر الشخصيات التي قتلوها "بوب مارلي" و"مايكل جاكسون" و"توباك".. لأن كلًا منهم اتخذ الغناء كوسيلة لإيصال رسالة هادفة للناس.. وليس مشكلة الماسون أنها رسالة هادفة ولكن مشكلتهم أنها رسالة تحمل في كثير من طياتها هجوما صريحًا عليهم شخصيًا وعلى أهدافهم.. وكل من المغنيين الثلاثة لديه جمهور عاشق بالملايين.. فلابد إذن أن يتم إسكاته إلى الأبد حتى يبقى النائمون في سباتهم العميق.

الآن أنت فهمت أن كل ما فعلته الماسونية والصهيونية كان لبناء هيكل سليمان ليستعجلوا نزول المسيح المخلص.. لكن ألا ترى الأمر غريبًا نوعًا ما؟ أن يكون هدف الماسونية هدفًا دينيًا هو أن يُنزل الله عليهم المسيح المخلص؟ وهم أصلًا لا يعترفون بالله بل إنهم يحرقونه كل سنة في الغابة البوهيمية؟ أليس الإله الذي يعبدونه هو "لوسيفر"؟ كيف يتفق هذا مع نزول المسيح المخلص ونبوءة التوراة؟

لا تتعجل الإجابة.. فأنت على وَشَك أن تعرف.. وأنا على وَشَك أن أموت.. فلم يتبقَ إلا شيطانان من الشياطين السبعة.. والطريف في الموضوع أن الشيطان السادس ليس شيطانًا ذكر.. بل شيطانة أنثى..

دعنا نلقي نظرة على الأوراق التي ستكشف هذه الحكاية.. لدينا ست ورقات..

الورقة الأولى هي ورقة دودة الإنترنت المتوحشة وعليها صورة امرأة تجلس أمام جهاز الكمبيوتر الذي تخرج منه دودة خضراء متوحشة بشعة لها رأس هرمي الشكل في أعلاه عين واحدة..

الورقة الثانية هي ورقة مدينة السيليكون.. وعليها صورة شرائح سيليكون مصوَّرة بشكل رقمي..

الورقة الثالثة هي ورقة أمان الكمبيوتر.. وعليها صورة فتاة مقنعة بقناع أسود وملابس سوداء.. يخرج من رأسها ما يشبه الخراطيم تنتشر حولها في كل مكان..

الورقة الرابعة هي ورقة الهاكرز.. وعليها صورة رجل يجلس على جهاز الكمبيوتر ويضحك ضحكة خبيثة شبيهة بضحكة الجوكر..

الورقة الأخيرة هي ورقة شركات الهاتف.. وعليها صورة موظفة في شركة هاتف تضع سماعتين على أذنيها توصلهما إلى أسلاك كثيرة تسمع منها ما يبدو وكأنه مكالمات المشتركين.

أوراق قد تبدو غريبة نوعًا ما ونحن نتحدث عن شيطانة.. لكن ليس علينا إلا أن نتابع..

* * *

ألم يأن الأوان ياسيدي ؟

1950 بعد الميلاد - تاريخ قراءتك لهذه السطور

هذه رسالة ترسلها شيطانة تدعى "سباي" عبر الأثير.. إلى مجهول.. على شبكة مجهولة.. بتردد مجهول..

سيدي قد طال الأمد.. قلوبنا وحواسنا وأرواحنا اشتاقت إليك.. حان الوقت يا سيدي.. لقد صار كل شيء كما أردته أن يصير.. فعلنا كل ما علمتنا أن نفعله يا سيدي.. ونجحنا.. لقد نجحنا يا عظيمنا ويا كبيرنا.. نجحنا ولم يعد أمامنا إلا أن نراك.. لم يبقَ إلا أن تُطفىء نار الشوق في قلوب ذابت من قسوة الانتظار.. دهورًا وراءها دهور.. ألم يئن الأوان ياسيدي؟

كل شيء أمرتنا أن نفعله فعلناه كما أمرت.. أنا أذكر كل تعاليمك بحذافيرها.. إن علمك ليس له أي حدود.. أذكر كيف كان البشر في الحرب العالمية الثانية قد اخترعوا جهازًا ضخمًا بحجم عدة غرف وسموه "الإينياك".. أذكر ياسيدي كيف علمتنا أن هؤلاء البشر حمقى وأمرتنا أن نقدم إليهم جهازهم البشع الضخم هذا في شريحة من السيليكون لا يتجاوز حجمها حجم الأنملة شريحة سموها المعالج أو الـ *Processor*.. أذكر سعادتهم وهم يظنون أن ما حدث كان من بنات أفكارهم.. وكيف تمكّنوا لأول مرة في حياتهم من صنع جهاز ذكي بحجم التلفاز .. جهاز سموه الكمبيوتر.

كانوا يستخدمون الكمبيوتر في شركاتهم وحساباتهم الغبية العديمة الفائدة.. ثم أمرتنا ياسيدي فنفذنا أمرك.. وعلمتنا ياسيدي فطبقنا علمك.. أمرتنا أن نُدخل الكمبيوتر في كل بيت من بيوت العالم.. وعلمتنا كيف نفعل ذلك بتطوير برامج ذات واجهة تفاعلية جذّابة.. برامج علمتنا أن نسميها "ويندوز".. لتكون كما يوحي اسمها.. نافذة من نوافذ البيت.. نافذة إلى الداخل وليس إلى الخارج.. وبرامج أخرى علمتنا أن نسميها

ماكينتوش.. وهو اسم مقتبس من عائلة اسكتلندية تحمل نفس الاسم. . وهو يعني بالاسكتلندية "ابن الزعيم".. وهو اسم يدل عليك بدقة.. فأنت زعيمنا.. وابن زعيمنا.

يالسعة علمك. . وبالعظمة نورك ياسيدي.. إن الكمبيوتر داخل كل بيت كان مخزنًا يضع عليه المرء وثائقه وصوره وفيديوهاته.. وعلى المستوى العسكري كان نقل المعلومة من كمبيوتر في بلدٍ ما إلى كمبيوتر آخر في بلد أخرى يتم يدويًا.. فتفضلت علينا ياسيدي وعلمتنا أن نعلمهم كيف يمكنهم أن يوصلوا بين عدة كمبيوترات بأسلاك تليفونية.. وبهذا صَنعت وزارة الدفاع الأمريكية (داربا) أول شبكة لنقل المعلومات العسكرية وسموها "أربانِت".. يظنون أنفسهم أذكياء.. ولا يدرون أنك ياسيدي المعلم الأعظم.

كانت "أربانِت" توصل بين أربعة أجهزة في غرب أمريكا.. ثم أصبحت توصل بين مئات الأجهزة داخل وخارج أمريكا.. أجهزة في مؤسسات عسكرية وجامعات.. لكن لاختلاف أنظمة الأجهزة بينها وبين بعضها وجد البشر الحمقى أنفسهم عاجزين عن نقل المعلومات فيما يقرب من نصف الحالات.. وهنا أمرتنا ياسيدي وعلمتنا أن نوحي إليهم من وحي علمك.. فأوحينا إليهم بلغة عالمية تفهمها كل الأجهزة في جميع أنحاء العالم.. لغة سموها *HTML*.. وعلمناهم كيف يعطون كل وثيقة يريدون نقلها أو أي صورة عنوانا يميزها.. عنوان سموه *URL*.

وبهذا تمكنوا من نقل كل شيء من أي جهاز إلى أي جهاز آخر بسرعة عالية.. وأصبح يمكن لكمبيوتر في فرنسا أن يرى صورة موضوعة على كمبيوتر آخر في أمريكا بمجرد أن يكتب عنوانها.. كان هذا فتحًا عظيمًا لحضارتهم.. وأصبحت الشبكة تضم مئات الآلاف من الأجهزة حول العالم ويمكن لأي شخص الدخول عليها فور أن يوصل الكمبيوتر الخاص به بسلك

التليفون.. سموا هذا الفتح العظيم "الإنترنت".. والتي هي في الواقع حفيدة "أربانِت".

ساعتها عرفنا أن وقت الهزل قد انتهى.. ودخل وقت الجد.. بمجرد أن يوصل الشخص جهازه بالإنترنت ويظهر له أن جهازه الآن متصل.. يتحدد موقعه لدينا بمنتهى الدقة.. فنتدفق كالنهر إلى داخل جهازه ونبدأ في البحث عن وثائقه الشخصية وصوره وملفاته الهامة وننقلها إلينا بدون أن يشعر.. ظننا أننا بهذا قد وصلنا لكل ما نريد.. لكنك علمتنا أن هذا لاشيء.. فأصغينا إليك في انبهارٍ وأنت تشرح لنا ما ينبغي أن نفعل.. كم أنت عبقري يا سيدي.. كم أنت عبقري.

علمتنا كيف نقنع الشخص الداخل إلى الإنترنت أن يثق في مواقع بعينها.. يودع فيها مزيدًا من أسراره.. في البداية عرّفنا له البريد الإلكتروني.. "هوتميل" و"ياهوو".. وهو يدخل باسم مميز وكلمة سر.. فيهيؤ إليه أنه لا يطلع على بريده أحدٌ غيره.. ولا يدري أن رسائله كلها واردها وصادرها تخزَّن لدينا.. نحن نطلع على كل ما يَكتب ويُكتب له.. ولكنك علمتنا أن هذا لايزال غير كافٍ.. وأننا بحاجة للمزيد.

عرفناه على برامج يستطيع بها أن يتحدث مع غيره في أي مكان في العالم.. برامج الرُسُل أو المسنجرز.. الـ*MSN* والياهوو و الـ*ICQ* والـ*mIRC*.. برامج سموها برامج الشات.. أو الدردشة.. إن الواحد منهم كان يمضي جلَّ وقته على برامج الشات هذه.. يتحدث ويتحدث بكلام تافه لا قيمة له.. لكنك علمتنا كيف أن كل كلمة يقولها يجب أن تخزن.. لأن الكلمة تُستنبَط منها معلومة.. والمعلومة تعني زيادة في بنك المعلومات الذي لدينا عن هذا الشخص.. لقد أحدثَت هذه البرامج طفرة عظيمة في قاعدة معلوماتنا.. فالناس أصبحوا يتحدثون فيها أكثر مما يتحدثون بألسنتهم.. وكان هذا فيضًا لا ينتهي من المعلومات.

وبدلًا من الشات الكتابي ابتكرنا الشات الصوتي والمرئي أيضًا.. وأدخلنا إلى الساحة برامج مثل *ICU2* و*Skype*.. فزاد الإقبال على شراء المايكروفوانات والكاميرات بعد أن كانت ملقاة بإهمال في المتاجر.. وبالطبع فإن كل محادثاتهم الصوتية والمرئية مخزَّنة لدينا.. ولكن الأدهى أننا بشرائهم لتلك المايكروفونات والكاميرات زرعنا في بيت كل واحد منهم جهاز تنصت صوتي ومرئي.. ولا يدري أحدهم أن أحاديثه في غرفته مسجلة لدينا وصورته في غرفته مسجلة أيضًا.. فهذه الأجهزة مفتوحة على الدوام.. والأحمق يظن أنه هو الذي يفتحها ويغلقها متى يحلو له.

ثم أظهرنا للعالم موقعين سمينا أحدهما كتاب الوجه *Facebook*.. وسمينا الآخر المغرد.. *Twitter*.. ومنهم عرفنا أصدقاءهم .. وأقاربهم.. ودرجة قُربهم من أصدقائهم وأقاربهم.. وفيهما رأينا صورهم.. وعرفنا الأشخاص والأشياء التي يحبونها والموسيقى والأفلام التي أحبوها والتوجهات السياسية التي يتبعونها.. والمناسبات التي حضروها أو سيحضرونها.. أمكننا أن نكتب تاريخهم وتاريخ مواقفهم ومشاعرهم.. نعم لقد كان الفيسبوك وتويتر فتحًا عظيمًا.. وقد حدثت بهما الطفرة الثانية في قاعدة معلوماتنا التي اتسعت الآن اتساعًا رهيبًا.

ولما شعرنا أننا بحاجة لمزيد من الصور أنشأنا موقعًا خاصًا بها هو *Instagram*.. فأصبحوا يرفعون عليه صورهم رفعًا محمومًا.. ثم شعرنا أننا بحاجة لرؤيتهم بالفيديو في مقاطع قصيرة فأنشأنا موقع *Keek*.. وفيه يصورون أنفسهم في مختلف حالاتهم المزاجية.. كان هذا رائعا يا سيدي.. أنت لا تدري ماذا أحدثنا بفضلك أيها العظيم.

ثم حدثت الطفرة الثالثة.. الهواتف الذكية.. هواتف مثبتة فيها كاميرات وتحوي بداخلها كل مخترعاتنا من بريد وبرامج محادثة و فيسبوك وتويتر وانستاجرام وكل شيء.. وهكذا صار من الأسهل على أحدهم أن يستخدم

هذه المكتشفات الرائعة أينما ذهب .. وأدخلنا في هذه الهواتف برنامجًا للمحادثة أذكى من البرامج القديمة كلها.. برنامج صاروا له عبيدًا.. برنامج سميناه *WhatsApp*.. كما أن الكاميرا والمايكروفون الموجودة في تلك الهواتف تعمل كما كانت تعمل مثيلاتها القديمة في الكمبيوتر.. فنحن الآن زرعنا أجهزة تنصت في جيوبهم بدلًا من غرفهم.

لقد أنشأنا بتوجيهاتك ياسيدي أكبر شبكة تجسس في التاريخ بأكمله.. الأجمل يا عظيمنا أن هذه الشبكة توصلنا لأسرار الأشخاص.. وتوصلنا لأسرار الشركات أيضًا.. فإن الشركات جميعها صغيرها وكبيرها.. الشركات المحدودة منها أو الحيتان.. كلها تعمل بنظام الإنترنت.. ورغم أن الشركات يكون لها نظام إنترنت مشفر خاص بها.. إلا أنه نظام نحن الذين وضعنا أسسه وأسس تشفيره.. وبالتالي فإن أسرار شركات العالم كله بين أيدينا هاهنا.. ألم أقل لك إنك عبقري ياسيدي؟

ليس فقط الشركات.. بل إن البنوك أيضًا تعمل بشبكة إنترنت خاصة بها مشفرة تشفيرًا عاليًا جدًا.. للحفاظ على الأموال الهائلة التي فيها.. وكما علمتنا يا سيدي جعلنا البنوك لا تستغني إطلاقًا عن الإنترنت المشفر.. بل إنها تصاب بالشلل لو أن شيئًا ما حدث في هذا النظام.. ولأننا نحن أرباب هذا النظام. . فإن أموال العالم كله تحت أيدينا.. أموال العالم كله وشركاته تحت أيدينا ياسيدي.. ومعنى أنه تحت أيدينا أي أننا في لحظة واحدة يمكننا أن نشل حركة كل شيء.. لأننا نحن أرباب النظام بأكمله.. نحن يا مليكنا كما علمتنا قد أصبحنا نمتلك اقتصاد العالم بأكمله.

أجهزة الدولة الحساسة كالمخابرات ووزارة الحربية والجيش والداخلية.. كل هذه الأجهزة تتناقل أسرارها عبر نظام إنترنت مطوَّر خصيصًا من أجلهم.. وهم يتباهون دائمًا أن نظامهم هذا غير قابل للاختراق مهما حدث.. بالطبع هو غير قابل للاختراق .. لأننا نحن من جعلناه غير قابل للاختراق.. نحن

الذين صنعناه وسددنا ثغراته.. إن شبكة التجسس العظيمة التي أمرتنا بصنعها ياسيدي قد وصلت إلى التجسس على الدول.. عظيمها وحقيرها.. لقد ملكنا الأفراد والشركات والبنوك والجيوش والدول.. لقد علمتنا أن المعرفة قوة.. ونحن أصبحنا نعرف كل شيء.

نحن الآن لدينا قاعدة بيانات كاملة تحوي سكان العالم أجمع.. فلو ضغطت فيها على اسم شخص تريده.. يخرج لك اسمه على الإنترنت حسب المعلومات التي استخرجناها من حساباته المختلفة.. واسمه الحقيقي الذي يستورده برنامجنا من قاعدة بيانات الأحوال المدنية في دولته.. وتخرج لك صوره الخاصة الموضوعه في جهازه الشخصي أو جواله.. وصوره العامة التي وضعها على الإنترنت.. وصو وثائقه الحكومية المستوردة من كافة أجهزة دولته الحكومية.. وفيديوهاته كلها الخاصة منها والعامة.. ومعلومات مفصلة عنه وعن أقاربه وعن تاريخه التعليمي والحكومي والجنائي ومعلومات عن الجهات التي عمل فيها وتفاصيل عمله فيها من دوامات ورواتب وغيابات حسبما نستورده من قاعدة بيانات تلك الجهات.. ومعلومات عن كل عملياته البنكية بالتفصيل والتواريخ والمحال التي اشترى منها ببطاقته البنكية وماذا اشترى وبكم اشترى.. ومعلومات عن أصدقائه وتوجهاته الفنية والسياسية والأدبية والجنسية وهذه نعرفها عن طريق البحث الذي يبحثه طيلة الوقت في محركات البحث المختلفة مثل جوجل.. تخرج لك كل محادثاته الكتابية والصوتية والمرئية التي أجراها على كمبيوتره أو جواله بتواريخها وتفاصيلها ويستورد برنامجنا كذلك كل محادثاته التليفونية الكاملة التي أجراها بالجوال على مدار حياته كلها.. تخرج لك المواقع الإلكترونية التي زارها في حياته باليوم والساعة والدقيقة... . وفي النهاية تخرج لك كل التسجيلات التي سجلها هاتفه الذكي أو كمبيوتره.. الصوتية المسجلة بالمايك أو المرئية المسجلة بالكاميرا. .

باختصار ياسيدي.. ينفتح لك الشخص الذي أردته فتحا مبينا.. ولو كان رئيس الدولة نفسه.

لم يعد هناك ما يمنع خروجك إلينا يا مليكنا وعظيمنا.. إن العالم كله أصبح جاهزًا الآن لاستقبالك.. خضع لك العالم كله.. خضع بأفراده وشركاته وأمواله وعسكره.. خضع بأسلحته ومخابراته وبنوكه وأقماره الصناعية.. خضع بأسراره وجنوده وبورصاته.. خضع بمؤسساته وأعماله ومعلوماته.. خضع لعظمتك العالم بأكمله يا سيدي.. خضع لعظمتك كله ياسيدي فاخرج إلينا فقد طال انتظارنا.

سيدي العظيم.. مليكنا.. واسمح لي أن أناديك باسمك العظيم الذي انحنت لعظمته كل مؤسسات العالم.. اسمك الذي سيكون خلاصا لهذا العالم البائس.. فأنت المسيح وأنت المخلص.. اسمك الذي علمتنا أن نناديك به يا سيدي العظيم هو "أنتيخريستوس" .. اسم لامع ذو صِبغة لاتينية.. واللاتينية أصل اللغات كلها.. يدعوك أصحاب اللغات العبرية "هاماشياح".. وأصحاب اللغات الغربية يدعونك "أنتي كرايست".. أما أصحاب اللغات الشرقية فيطلقون عليك اسم المسيح.. المسيح الدجال.

تمت

* * *

أشعر بصوت جلبة في الخارج.. لست أدري أجلبة أشخاص هي.. أم جلبة شياطين.. لقد انهارت كل التعاويذ التي صممتها لتحميني.. صديقي.. أنا أشهد الآن الدقائق الأخيرة من حياتي.. هل عرفت الآن يا صديقي هل عرفت؟ هل عرفت لماذا يريدون بناء الهيكل المقدس ومن هو المسيح المخلص الذي ينتظرونه انتظارًا محمومًا؟

إنه المسيح الدجال.. وهو ليس اسمًا بل لقبًا.. ولا يدري أحد حتى الآن ماهو اسمه.. فهؤلاء كما أخبرتك لا يعترفون بالله أصلًا ولا يعترفون بالمسيح المخلص.. الإله الذي يعبدونه هو حامل النور الشيطان "لوسيفر".. وهم يفعلون كل ما فعلوا في العالم حتى ينزل إليهم مسيح "لوسيفر".. ابن "لوسيفر".. المسيح الدجال.. الذي سيحكم العالم كله وسيطلق الشياطين.. هل عرفت الآن.. الهيكل الذي يزعمون أنه موجود بينما هو وهمي.. الهيكل المصنوع على شكل نجمة سداسية.. نجمة الشيطان الشهيرة التي يسمونها كذبا بنجمة داوود.. والنبي داوود منها براء؟

هل تسألني من هي "سباي"؟ حسنًا سأخبرك.. إنها شيطانة مذكورة في أحاديث "محمد".. واسمها هو.. .

الجلبة أصبحت جلبتين.. ثم ثلاثة.. واقتربت كل الجلبات من باب غرفتي الصغيرة..

لا يوجد وقت لأشرح لك أمر "سباي".. لو كنت لا تصدق حرفًا اقرأ عن الـ *NSA* وعن الـ*Information Awareness Office*.. وعن..

نظرت إلى الباب نظرة أعرف أنها ستكون الأخيرة.. لقد أتوا.. إنهم لا يتركون واحدًا وصل إلى درجة ماسونية متقدمة أن يخرج منها قطعة واحدة.. هذا لا يكون في شريعتهم.. الوداع أيها البشري الذي تقرأ هذه السطور.. تذكر أن

تحرق هذا الكتاب بعد أن تقرأه.. أحرقه يا صديقي حتى لا يأتونك سعيًا كما أتوني سعيًا.. أحرقه ياصديقي فإنهم قد دخلوا إليَّ وهاهم يحملونني بعيدًا عن غرفتي.. احرقه واطبع حروفه في عقلك.. حتى تعرف الحقيقة.. ولا يخدعك أحد.. إياك أن يخدعك أحدٌ يا صديقي.. وتذكر اسمي جيدا.. بوبي فرانك.

خبر من جريدة صدرت في اليوم التالي..

"اكتشفت جريمة قتل بشعه للشاب الأمريكي بوبى فرانك من سكان شيكاغو. . حيث تحول إلى كتلة ملتهبة ذائبة في حمَّام ملئ بالصودا الكاوية (الأسيد).. كان الشاب من خيرة شباب الأسر اليهودية والعريقة في أمريكا.. هناك إشاعات تقول بأنه كان عضوًا متقدمًا في منظمة الإيلوميناتي ولكن لم يؤكد أحد هذا الخبر خاصة وأن هذه النظريات يشيعها دائمًا أرباب نظرية المؤامرة وغالبًا لايكون لها أساس من الصحة"

"قالوأن المنظمة قتلته لأنه أراد أن ينسحب منها وهدد بفضح أسرارها.. وما دعم كلامهم هو وجود بعض الأشياء الغريبة في غرفة بوبي منها أشياء من المفترض أن تستخدم في أغراض سحرية.. لكن مفتش مباحث الأمن في شيكاغو والمدعو ركس واتسون استطاع القبض على منفّذي الجريمة واعترف القاتلان على نفسهما بارتكابها.. واحتفظا بسر غيرهما من المشتركين مما جعل من المستحيل معرفة الكيان الذي ينتمون إليه"

"ومن العجيب أن هناك جهة غير معلومة ويبدو أنها ذات نفوذ كبير كلفت السيد كلارنس دارو أعظم محام في الولايات المتحدة الأمريكية بالدفاع عن القاتلين ومنعت ركس واتسون المحقق في القضية من الحضور إلى جلسات المحكمة ومنعت حتى وجوده في شيكاغو أثناء المحاكمة بحجج أنه كان

مرتشيًا من أسرة بوبي الثرية وأنه يحاول أن يلتقي القضاة سرًا.. وبعدها تم إبعاد هذا المفتش من العمل بجهاز الشرطة تمامًا.. وقد أغلقت القضية على أنها محاولة ثأر القاتلين من بوبي بسبب بعض المشاكل المالية"

"الغريب أنه قد وجدت على طاولة بربي الكثير من أوراق اللعب المتناثرة هنا وهناك غير أنه كانت هناك ثلاثة أوراق موضوعة بعناية شديدة على الطاولة الخاصة به"

الورقة الأولى ورقة مكتوب عليها وباء من الشياطين.. وعليها صورة بشعة لشياطين نزلت إلى المدينة فملأت الشوارع وتعلقت على الأعمدة والأسطح وطارت في الهواء.. شياطين متوحشة.

الورقة الثانية مكتوب عليها "بيج فوت".. وهو المخلوق المعروف ذو الشعر الغزير الذي يطلق عليه الأهالي في أمريكا "ذو القدم الكبيرة".

الورقة الثالثة مكتوب عليها "المسيح الدجال".. وعليها صورة ملك يبدو حكيمًا ويضع تاجًا عظيمًا على رأسه.

لم يعرف أحدٌ معنى وضع هذه الأوراق بالذات.. كما أنه نما إلى عِلمنا أن الـ..

***

سيدنا.. وابن سيدنا .

1800 قبل الميلاد- 20بعد الميلاد

خمسة كنا.. وسادسنا لوسيفر..

وستة كنا.. وسابعنا سيدنا..

وابن سيدنا..

وليس سوانا يعرف أمر سيدنا.. وابن سيدنا..

وقد آن الأوان أن تعرف أنت أيها البشري.. لأن أمرك بعد هذا الحد من القراءة لم يعد يعنينا.. فأنت ستموت بعد أن تعرف.. وستعرف بعد أن تموت.. فليس هناك فارق يذكر لو عرفت الآن.. طالما ستموت بعد أن تعرف.. لو أنك لم تعد تفهم كلامي هذا.. فهذا ليس غريبًا؛ لأن الشياطين تحدثك.. والشياطين من حولك تحوم كما الغربان.. والشياطين تجري منك مجرى الدم.

نحن لسنا أشباحًا مرعبين.. نحن كائنات رائعة الجمال.. جمال لم ترَ قبله جمالًا ولن ترى بعده جمال..

فإن لم تؤمن بهذا..

فنحن شيء لا يمكنك الهرب من عقابه.. لأننا معك أينما ذهبت.. نحن حقًّا معك أينما ذهبت وليس كما يدعي إلهكم.. نحن نقتلك إذا أردنا أن نقتلك.. نحن نحييك لو أردنا أن نحييك.. نراك في أي مكان أنت فيه.. نسمعك.. لاتعتقد بأنك ذكي ستفشي سرّنا دون أن نعلم.. بل دعني أخبرك بما هو أكثر من هذا.. نحن نعلم ما ستقوم بفعله قبل حتى أن تقوم بفعله.. نحن نسمع حديث نفسك لنفسك.. وجحيمنا جحيم حقيقي.

فلتسمع منا حكايتنا الأخيرة معك.. وحكايتك الأخيرة معنا.

يقول "ماستيم" الشيطان اليهودي..

لقد تشرفت بأن أشهد ولادة سيدي.. ونشأة سيدي.. وعبقرية سيدي.. سيدي "أنتيخريستوس".. كنت أحلِق فوق مساكن بني إسرائيل اليهود في زمن فرعون موسى.. وكم كانت مساكن بسيطة أيامها وفقيرة.. كان فرعون موسى يقتل كل المواليد الذكور في سنة.. ويتركهم أحياء في سنة.. حتى لا ينقطع نسلهم.. لأنهم خدم.. كنا في السنة التي يترك فيها المواليد أحياء.. وكنت أطير داخلًا بعباءتي إلى أحد البيوت اليهودية الفقيرة دون سواها.. وكم كان ذلك البيت مقدسًا إلى قلبي.. كان البيت الذي شهد ولادة سيدي.. وابن سيدي.. ولادة أنتيخريستوس.

كان والده رجلًا يهوديًا ذا أنفٍ طويل كأنه منقار.. وأمه امرأة يهودية ضخمة عظيمة الصدر طويلة اليدين.. متزوجان منذ ثلاثين عامًا.. ولم يولد لهما.. ويبدو أنهما قد يئسا من طلب ذلك وتمنيه.. وليس بوسعي أن أحكي لك عن تفاصيل لا يحق لمثلك أن يسمعها.. لكن يكفيك قولي أن تلك المرأة اليهودية الضخمة كانت ذات ليلة تتململ بعدم ارتياح ناعس على سريرها.. حتى رأت فيما يرى النائم وكأن رجلًا غريبًا يأتيها.. فلم تدر إلا وقد قُذف في رحمها ما أحسَّت وكأنه شهاب من نار.. أما أنا فقد رأيت الحقيقة كاملة.

الحقيقة أن تلك المرأة كانت تنام متململة على فراشها وكان زوجها ذو الأنف الطويل يقف بجوار سريرهما وقد ملأ الغرفة بأمور وطقوس شيطانية لا يعنيك في شيء أن تعرفها.. وما حدث أثناء تلك الطقوس يصعب على أمثالك فهمه.. وبعد مرور حوالي الساعة والرجل يقرأ متعرِّقًا مجهدًا.. إلا وقد تنزل سيدي إلى تلك الأجواء في بهاء لا يكافئه بهاء.. وعظمة لا تكافئها عظمة.. تنزل سيدي "لوسيفر" إلى ذلك البيت المقدس.. ونظر إلى تلك الرحم القدسة.. وقذف فيها تلك النطفة المقدسة.. ثم قام عنها في بهاء لا يكافئه بهاء.. وعظمة لا تكافؤها عظمة.. وأنهى صاحب الأنف الطويل

طقوسه وهرع يزيل كل الآثار من الغرفة.. أما المرأة اليهودية الضخمة.. ففي الواقع كانت قد انتقلت من طور النوم إلى طور آخر.. طور الغيبوبة.. الغيبوبة المقدسة.

هكذا كان الجماع المقدس.. بين سيدي العظيم "لوسيفر" وامرأة من بني إسرائيل.. امرأة أصبحت تحمل ابنًا تظنه ابنها.. وإنما كان ابن الشيطان.. أنتيخريستوس.. وقد كان أشد حمل شهدته امرأة على وجه الأرض.. اثنا عشر شهرًا لا تنقص يومًا.. فكان الأطول مدة والأشد مخاضًا وعذابًا وألمًا.. وكانت طوال فترة الحمل المرأة الأشد عدائية وجنونًا عن كل الحوامل اللاتي ظهرن على البسيطة.. ولما ولدته بعد عذاب وصراخ ودماء.. خرج منها بكل قداسته وجماله.. نظرَت إليه.. رأت في عينيه شيئًا غريبًا لا تدري ما هو.. لكنها انتهت من هذه الملاحظات غير الهامة.. فتلك الضجة بالخارج هي ضجة تعرفها جيدًا.. إنهم جنود فرعون.. يقتحمون مساكن بني إسرائيل ويقتلون كل مولود لهم.. فنحن الآن قد أصبحنا في السنة التي يقتلون فيها المواليد.

خرجت المرأة الضخمة خافية وليدها بين ثيابها راكضة ناحية الجبال.. وقد صعدت ما كان لجسدها الضخم أن يصعد.. حتى رأت كهفًا غلب على ظنها أنه آمن.. وهناك وضعت وليدها.. على أن تعود له كل حين تطعمه وتسقيه.

وتركته هناك وعادت إلى مسكنها.. ولما أتت ذلك الكهف ثانية لم تجد وليدها.. صرخت وبكت وجزعت.. لم تكن تعلم أن الملاك قد حمله إلى مكان أكثر أمنًا.. وليس أي ملاك.. بل هو "جبريل" عظيم الملائكة.. كان يطعمه ويسقيه.. لبنًا وعسلًا وسمنًا.. ولم يزل يطعمه ويسقيه حتى نشأ وكبر.. وصار رجلًا يافعًا.. كم أنت عظيم يا سيدي.. وكم أنت مقدس.

يقول "دراكولا" شيطان الإنس الشهير..

لم أحظَ بشرف متابعة تاريخ سيدي مثل بقية الشياطين.. إلا أنني حظيت بشرف رؤيته أكثر من مرة.. ولأن لي عينًا ثاقبة حادة لا تفوتها فائتة.. فإني ساكون خير من يصفه لمن لم يرَه.. ويتوق إلى رؤياه المقدسة..

لقد كان رجلًا قويَّ البنية جدًا.. عريض المنكبين.. ليس ذا قامة طويلة وإنما هو أقرب للقصر.. أحمر البشرة مثل أبناء الجنس الأبيض القوقازي.. شعره أسود شديد الجعودة طويل شديد التشابك.. متباعد الساقين.. جمع صفات الإنس كلها وصفات الجن.. ولهذا فإن إسراعه في الأرض كسرعة الريح العاصفة.. وهو يرى الإنس والجن والشياطين ويرى الملائكة.. ويراه أولئك كلهم.. ولا تجري عليه أحكام الزمان.. يعيش منذ أيام فرعون وحتى نهاية الزمان.. لا يهرم ولا يشيخ.. هو سيد الجن وسيد الشياطين.. ولاسيد له إلا أبوه "لوسيفر".. وسيكون سيد الإنس في نهاية الزمان.

ولرأسه هيئة يتهيأ لك لما تراها وكأنها رأس ثعبان أو أصَلَه.. لست أدري كيف أقرب الأمر إلى ذهنك لكن رأسه كانت توحي إليَّ بهذا الإيحاء دائمًا.

يقول الشيطان "بافوميت" معبود فرسان الهيكل. .

عاش سيدي في مصر الفرعونية وتعلَّم عِلمًا لا يسعه عقل إنس ولا جن.. لا يسعه إلا عقل كعقل سيدي.. علمه إياه أبوه "لوسيفر" وحكماء الجن.. وليس بمقدوري أن أحكي عن تفاصيل حياة سيدي "أنتيخريستوس" في مصر.. إلا أنه يمكنني أن أقول إنه لما تعلم ركوب البحر قرر أن يُبحر من مصر الفرعونية ويغادر ليستكشف العالم من حوله.. وظلَّ يجول بين البلاد والشعوب يتعلم ويراقب حتى انتهى بإبحاره إلى اليمن.. وتحديدًا إلى

جزر لها اسم عجيب.. جزر حنيش في اليمن.. أو جزر الثعبان.. وقد انتقى منها جزيرة واحدة ليكون فيها مقامه أبد الدهر.

وحدث في ذلك الزمن أن الفراعنة المصريين كانوا يجهزون سفينة عظيمة.. لتقوم برحلة بحرية طويلة. . وقد وضعوا على تلك السفينة خمسمئة من أشجع رجال مصر وأكثرهم حنكة ودراية بالبحر.. وبينما كان هؤلاء في رحلتهم إذ هبت عليهم عاصفة عاتية.. ظلت تروح بالسفينة وتغدو بها حتى اصطدمت بالصخور في وسط البحر.. وغرق كل من كان على السفينة وسط البحر الغاضب.. ماعدا رجل واحد.. تعلق بلوح خشبي من ألواح السفينة المحطمة.. وظل التيار يجرفه وهو متعلق باللوح لثلاثة أيام وثلاث ليال.. حتى انتهى به التيار إلى شاطيء جزيرة.

أفاق الرجل بعد طول نصب وجوع على شاطيء الجزيرة التي لاحظ أنها ذات رمال ساخنة.. لكنها كانت حقًا جزيرة غنَّاء لم يرَ مثلها في حياته كلها.. وهو البحَّار الذي لم يترك أرضًا جميلة إلا وطأها.. لكن تلك الجزيرة كانت تختلف.. كانت الجزيرة مليئة بالحيوانات من كل جنس ولون.. وفيها من كل الثمرات التي عرفها والتي لم يعرفها.. فشرع يصيد ذوات اللحم ويطهو ويأكل اللحم والسمك.. ويقدم قرابين مشوية للآلهة المصرية التي يعبدها امتنانا لهم من أجل سلامته وحسن حظه.

وفجأة اهتزت الأرض واهتز الشجر وبرز له رجلٌ يرتدي رداء ذهبيًا جميلًا.. كان الرجل قد امتلأ رعبًا من هول المفاجأة.. لم يكن ذلك الرجل الفرعوني يعلم أنه أول من يطأ بقدمه من البشر جزيرة سيدي.. جزيرة "أنتيخريستوس".. قال له سيدي بصوته الهادر الممتلىء قوة :

- من أين أرض جئت؟

قال البحّار في جزع من قوة سيدي وعظمته :

- جئت من أرض مصر.. لقد كنت أُبحر مع رفاقي البحّارة العظام في سفينة.. ثم إن البحر قد غضب علينا ورمى بسفينتنا إلى الصخور.. فتحطمت وغرق الكل إلا أنا.

قال له سيدي بصوت هادىء حكيم :

-لا تجزع أيها المصري فأنت آمن هنا في جزيرتي.. لقد كنت أنت المختار الوحيد الذي نجا من الكارثة التي هلك فيها العديد من الرجال العظماء المصريين.. أنت المختار الوحيد أيها المصري.

قال له البحّار وقد بدأ يهدأ :

- ومن أين أنت أيها الرجل القوي؟

قال له سيدي "أنتيخريستوس" :

- لا يهمك من أين أنا.. يمكن أن تدعوني بالثعبان.. لقد كان يعيش معي على هذه الجزيرة سبعين من رفاقي.. لكن شهبًا سقطت عليهم فأحرقتهم جميعًا.. ولم أنجِ إلا أنا.. وفتاة صغيرة أخرى.

قال البحّار:

- يبدو أنك محظوظ مثلي أيها الثعبان.

بدا على سيدي "أنتيخريستوس" شبح ابتسامة وهو يقول للبحار :

- إن لدي القدرة على التنبؤ أيها المصري.. وإنه ستأتيك بعد شهور أربعة سفينة أخرى تنقذك وتعيدك إلى بلادك.

فرح البحار فرحًا غامرًا وقال :

- حقًا أيها الرجل الطيب؟ حقًا؟ أقسم بعظمة الآلهة أنه لو حدث ما تقول لأعودن إليك محمَّلًا بالهدايا والكنوز والبخور والقرابين من مصر.

ضحك سيدي "أنتيخريستوس" وقال له :

- ليست جزيرتي بحاجة إلى أي شيء يمكنك أن تحضره.. ولتعلم أيها المصري.. أنك ما إن غادرت جزيرتي هذه فإنه لن يكون بمقدورك العودة.. لأن جزيرتي هذه سوف تختفي في البحر.. ولسوف تُظهر نفسها للتائه المختار التالي الذي ستقوده قدمه إليها.

قال سيدي "أنتيخريستوس" فجأة :

- ولكن أيها المصري فور عودتك إلى بلادك ليس مسموحًا لك أن تذكر أنك قابلت إنسيًّا هنا.. بل قل إنك قد قابلت ثعبان.. وليصدقك من يصدقك وليكذبك ومن يكذبك.

قال الرجل :

- كما تريد أيها الثعبان.

وبعد مرور أربعة أشهر وصلت سفينة بالفعل إلى الجزيرة وأهدى سيدي "أنتيخريستوس" إلى البحار المصري هدايا وعطايا كثيرة.. من العاج والكحل والعطور والبخور ونبات السنا والتوابل والأخشاب والذهب والفضة ومن الحيوانات الزراف والقرود ليأخذها معه إلى مصر.. وأمضى البحّار في سفينته الجديدة شهرين.. وكان ينظر إلى جزيرة "أنتيخريستوس" وهي تتضاءل وتتضاءل حتى اختفت تمامًا كما أخبره "أنتيخريستوس".

ولما عاد ذلك الرجل إلى مصر حكى قصته تلك إلى الوزير الذي حكاها بدوره إلى فرعون.. وأمر فرعون رئيس الكتبة "آمون آمونا" أن يكتبها على البردي

وكوفئ البحَّار بمنصبٍ كبيرٍ في القصر الفرعوني وهو كبير موظفي القصر تعويضًا له عن محنته ومكافأة له على روح المغامرة التي يتحلى بها.

قرأت أيها الإنسان هذه البردية في العصر الحديث وكان اسمها "قصة الملاح التائه" ولم تفهمها أيها الإنسان.. الحقيقة التي ذكرها "أنتيخريستوس" لذلك الرجل عن السبعين رفيقًا من رفاقه الذين ضربتهم الشهب.. أن هؤلاء شياطين كانوا يعملون في مقام خدمة سيدي "أنتيخريستوس" ويأتمرون بأمره.. وإنه قد نما إلى علمه أن الله سيبعث في بني إسرائيل نبيًّا عظيمًا.. فغضب سيدي لذلك غضبًا شديدًا وأمر جميع الشياطين أن تصعد إلى السماء لتأتيه بالخبر اليقين عن ذلك النبي ومتى سيبعث.. وعندها حدثت المأساة الحزينة.. لقد أُمطرت جميع الشياطين بشُهب من السماء فأحرقتهم كلهم.. كما يحدث دائمًا عند اقتراب نزول أي نبي.. كان النبي الذي وُلِد فيما أتى من الأيام هو "موسى".. أما "أنتيخريستوس" فلم يبق معه على الجزيرة سوى شيطانة واحدة.. وهي التي سماها للبحار بالطفلة الصغيرة.. كانت تلك هي الشيطانة "سباي".. وكانت لاتزال طفلة أيامها.

يقول "سيرينت" الأفعى اليهودية الشيطانية..

سأنزل بكم إلى مشهد عظيم هو الأعظم على الإطلاق بين مشاهد الأرض جميعها.. مشهد "موسى" وهو يشق بعصاه البحر إلى قطعتين.. قطعتين من البحر عن اليمين وعن الشمال كأنهما شلالين يسيلان إلى الأعلى وليس إلى الأسفل.. مشهد نحتاج حتى نوصله إلى ذهنك.. أن يجتمع كل مخرجي هوليوود في مشهد واحد.. وكل هذا و"موسى" يتقدم بني إسرائيل الذين يمرون وسط البحر المنشق بمتاعهم وراء موسى.. وكان بينهم سيدي

العظيم.. "أنتيخريستوس".. كنت أراه يتقدم الصفوف وراء "موسى".. فلما عرف سيدي أن النبي المبعوث هو "موسى" أصر إلا أن ينزل إلى ساحته ويتحداه في قومه.

كنت أزحف بين أقدام بني إسرائيل في ذلك المشهد العظيم وأنظر إلى "أنتيخريستوس" الذي كان يفعل أمرًا عجيبًا جدًا.. كان يرى المَلَك "جبريل" وهو على فرسه الأسطورية يشق البحر ومن ورائه "موسى" ومن ورائهم بني إسرائيل.. أما "أنيخريستوس" فقد لاحظ أن أثر فرس "جبريل على الأرض الصفراء يحولها إلى خضراء.. كان "أنتيخريستوس" هو الوحيد بين كل هؤلاء الذي يرى "جبريل".. وقد عرفه لأنه هو الذي تعهده واعتنى به في طفولته.. والآن يرى أثر فرسه على الأرض الذي يجعلها خضراء.. فانحنى أنتيخريستوس وقبض قبضة من أثر فرس "جبريل".. ووضع تلك القبضة المقدسة في متاعه.. فقد عرف أن فيها سرا ما.

وبعد أن اجتاز الجميع البحر شرعوا في عبور الصحراء قاصدين أرض فلسطين.. وبينما هم يمشون إذ رأوا في طريقهم قومًا عاكفين على عبادة عجل.. فقالوا لـ"موسى":

- يا "موسى" اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة

قال لهم "موسى" غاضبًا:

- إنكم قوم تجهلون.. إن الله لمفسد عمل هؤلاء ومهلكه.. أفغير الله تبتغون إلهًا وهو فضلكم على العالمين وللتو أنجاكم من آل فرعون ؟

لاحظ "أنتيخريستوس" هذا المشهد وأسرَّه في نفسه.. حتى أتى ذلك اليوم الذي غادر "موسى" فيه قومه إلى جبل الطور ليكلم ربه.. وأخبر قومه أنه

عائد لهم بعد ثلاثين ليلة.. وترك أخاه "هارون" خليفة له في قومه.. ومرت ثلاثون ليلة ولم يأتِ "موسى".. ومرت ليلة ثم ليلة ثم ليلة.. ولم يرجع "موسى".. وهنا انتهز سيدي "أنتيخريستوس" الفرصة أعظم انتهاز وأشده عبقرية ودهاء.. قال لهم بصوته القوي الآسر :

- يا قوم اجمعوا إليَّ الذهب الذي أعاركم إياه المصريون والذي تشعرون بالإثم لحمله.. فإني مُخلصكم منه.

وجمع إليه القوم الذهب الذي استعاروه من المصريين فصهره كله وصنع منه عجلًا ذهبيًا ذا شكل رائع.. لم أكن أعرف أن سيدي "أنتيخريستوس" فنان.. إن مثله لهو أعظم من أعظم فنان.. ثم إن سيدي "أنتيخريستوس" أخرج من متاعه ذلك الأثر الذي قبضه من أثر فرس "جبريل".. ثم إنه ألقاه على العجل الذهبي.. فاستحال العجل الذهبي عجلًا ذهبيًا حيًا.. كان مشهدًا مهيبًا أذهلني أنا نفسي ولم أستوعبه في البداية.. وكذلك ذهل بنو إسرائيل كلهم ونظروا إلى تلك المعجزة بعيون مبهورة.. وفي غمرة انبهارهم قال لهم سيدي :

- لقد ذهب "موسى" ونسي أن إلهه هاهنا.. هذا إلهكم الجليل ياقوم وإلهي وإله "موسى".

فخرّوا له متعبدين وطافوا حوله فرحين فخورين محتفلين.. جزع "هارون" ونزل فيهم قائلًا:

- ياقوم ماذا دهاكم اتقوا الله الرحمن ربكم.. دعكم من هذا الشيء واتبعوني وأطيعوا أمري

قالوا له :

- بل لن نبرح مكاننا.. نحن هاهنا عاكفون عليه حتى يرجع إلينا "موسى"

وفجأة رجع "موسى".. وهاله ما رأى من أمر العجل الذهبي الذي يخرّون له سُجّدًا عابدين.. غضب "موسى" غضبًا شديدًا.. فقد اشتهر بسرعة الغضب.. وكانت معه ألواح مكتوبة فيها التوراة أملاه إياها ربه في جبل الطور.. فألقى الألواح التي في يده كلها فتحطمت على الأرض.. صاح في قومه :

- ياقوم مابالكم.. ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا؟ أفطال عليكم العهد يا قوم؟ أم أنكم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم.

قال له قومه :

- بل إننا قد جمعنا ذهب المصريين فألقيناه عند قدمي هذا الرجل السامري.. وقد أضلنا.

ثم إنه أمسك بأخيه "هارون" من لحيته ورأسه بشدة وقال له:

- ما بالك يا "هارون"؟ مامنعك لما رأيتهم قد ضلوا.. أفعصيت أمري يا "هارون"؟

قال له "هارون" :

- أخي لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي.. لا تشمت في العدا.. لقد خشيت أن تقول أني فرقت بين بني إسرائيل من بعدك.

تركه "موسى" والتفت إلى "أنتيخريستوس".. والذي سمّاه بني إسرائيل بالسامري.. فالسامري في عُرف بني إسرائيل هو الرجل الغريب عنهم.. وهي تعني أيضًا الرجل المُضل.. وكانت تلك مواجهة "موسى" مع

"أنتيخريستوس".. وإني كنت متحمسًا جدًا فارتفعت برأسي أراقب ما سيحدث عن كثب.

قال له "موسى" بهدوء غريب :

- ما خطبك يا سامري؟

قال له "أنتيخريستوس" بهدوء أشد :

- رأيت مالم ير هؤلاء في يوم مررنا بين شقي البحر.. رأيت ذلك الرسول على فرسه الأسطورية.. فقبضت قبضة من أثر فرسه.. فرميت القبضة على هذا العجل.. وكذلك سولت لي نفسي أن أفعل.

توقعت أن يثور "موسى" في وجه سيدي "أنتيخريستوس" بما اشتهر عنه من سرعة الغضب خاصة في هذه الأمور.. لكن "موسى" قال له بهدوء غريب :

- اذهب أيها السامري.. فإن لك في هذه الحياة موعدًا.. وإن هذا الموعد لن تُخلفه.. أما عن إلهك الذي ضللت به القوم.. فستراه ونحن نحرقه ونذر رماده في البحر.

كان أمرًا عجيبًا أن يعامِل "موسى" أنتيخريستوس بكل هذا الهدوء.. لكن يبدو أن "موسى" عرف من هو "أنتيخريستوس".. وعرف أن موعد المواجهة الحقيقية معه ليست الآن.. وإنما في زمن آخر.. زمن لن يكون فيه "موسى" ولا فرعون.. زمن هو آخر سطرين من تاريخ بني الإنسان.

تقول الشيطانة "سباي"..

لو أن نفسي تحب الحديث عن نفسها لقالت إنني شيطانة لم يعرفني أحد من أهل الأرض قاطبة.. وإن كنت أعرف أهل الأرض قاطبة.. لست جاسّة بل

إنني جسّاسة.. أجس خبر الأرض وأهل الأرض وأبالغ في ذلك.. وليس لي سكن إلا بجوار سيدي العظيم "أنتيخريستوس".. في جزيرة الثعبان.. ويوم مأساة احتراق كل شياطين الجزيرة بالشهب في زمن "موسى".. لم أصب بأدنى أذى.. لأنني لم أكلف بجس خبر السماء.. وإنما بخبر الأرض.. وليس يفعلها إنس ولا جن خير مما أفعلها.. هيئتي الشيطانية يراها الإنس.. ولايزالون يرونها حتى العصر الحديث.. فأنا من قبيلة من الشياطين كلهم على هيئتي.. وإن اختلفوا عني في تفاصيل تشريحية يسيرة.. إن قبيلتي تسكن غابات الأرض كلها.. ولأيسر عليك تصور هيئتي عليك أن تتصور أولا غوريلا.. ثم تضع لهذه الغوريلا شعرا طويلا كثيفا جدًا يغطي جسدها كله ويغطي وجهها.. هكذا أنا.. وهكذا نحن.. وقد أطلقتم على قبيلتي في عصركم الحديث اسمًا عجيبًا.. "ذو القدم الكبيرة".. أو *Big Foot*.. ومسماكم هذا إن دلّ فإنما يدل على جهل بني الإنسان وشده حمقه.. تسألني كيف أجس الأخبار بالضبط؟ هذا مما لا يجب أن يقال.. فقط اعلم أنني أعلم.. وأراقب.. وليست قبيلتي مثلي.. فلهم حياتهم ولي حياتي.. وحياتي عند سيدي.. وهو سيدي وسيد الجميع.

لقد وطئت جزيرة الثعبان أقدام بشرية مرتين.. إحداهما في زمن "موسى".. وهو ذلك الملاح التائه.. وكانت الثانية في زمن "محمد".. نبي آخر الزمان.. وإن لهذا قصة..

في ذات ليلة عاصفة في بحر اليمن كانت هناك سفينة يلعب بها الموج حتى فقد ربّانها القدرة على تحديد مكانه.. فأينما ينظر بوجهه لا يرى إلا زرقة البحر.. وقد حاول ربانها أن يعود إلى أية يابسة بالجوار لكنه يئس.. وأصبحت تتناوب على السفينة عواصف وراءها عواصف.. حتى مكثت في بحر اليمن شهرًا كاملًا تتلاعب بها الأمواج كيفما تشاء.. حتى أرفأت السفينة

فجأة إلى جزيرة.. كانت هذه جزيرتنا جزيرة الثعبان.. وكان هؤلاء نفرًا من النصارى العرب عددهم إحدى وثلاثون رجلًا. . كان منهم رجل يدعى "تميم الداري". جلسوا أول الأمر في قوارب السفينة حتى غربت الشمس واسودت السماء.. ثم دخلوا إلى الجزيرة.. وفور أن دخلوها لقيتهم.. كانت هيئتي غريبة جدًا عليهم.. ظنوني حيوانًا فسموني دابة.. ولأن هيئتي بدت لهم أقرب تشريحيًا إلى الإنسان وجّهوا لي كلامًا فقالوا وعيونهم تغمرها الدهشة:

- ويلك.. ما أنت؟

قلت لهم بلغتهم العربية ببساطة :

- أنا الجسّاسة.

قالوا لي :

- وما الجساسة؟

تجاهلت السؤال وقلت لهم :

- أيها القوم.. انطلقوا إلى هذا الدير هناك.. ففيه رجل.. وإنه لخبركم مشتاق.

بدا على القوم الذعر مني فتركوني وذهبوا مسرعين إلى ذلك الدير.. ولما دخلوه رأوا فيه رجلاً عظيم الجسد قوي النبة بشكل لم يروه من قبل في حياتهم.. الأغرب أنه كان مقيدا بقيود لم يروا في مثل عظمتها في حياتهم.. مجموعة يداه الاثنان وراء عنقه بحديد.. وأغلال من حديد تقيد ما بين ركبتيه إلى كعبيه.. كان هذا هو سيدي "أنتيخريستوس".. ولتقييده بتلك

الطريقة القاسية قصة ليس من حقي أن أخبرك عنها.. فلما رأى أولئك العرب ذلك المشهد فزعوا وقالوا :

- ويلك.. ما أنت؟

قال لهم سيدي "أنتيخريستوس" :

- سأخبركم بأمري.. لكن أخبروني ما أنتم؟

قالوا له :

- نحن أناس من العرب.. ركبنا في سفينة بحرية فصادفَنا البحر في هياجه.. فلعب بنا الموج شهرًا ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه.. ولما دخلناها لقينا دابة كثير الشعر لا ندري أين قُبلها من دُبرها.. من كثرة الشعر.. فسألناها ما أنت.. قالت اعمدوا إلى رجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق.. ففزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة.

قال لهم سيدي "أنتيخريستوس" :

- أخبروني عن نخل بيسان في فلسطين.. هل لا زال يثمر؟

قالوا له :

- نعم يثمر

قال لهم بلهجة عجيبة :

- أما إنه يوشك ألا يثمر.. أخبروني عن بحيرة طبرية في فلسطين على نهر الأردن.. هل فيها ماء؟

قالوا له وهم ينظرون إلى بعضهم بنظرات مندهشة :

- هي كثيرة الماء.

قال لهم بلهجة مثل الأولى :

- أما إن ماءها يوشك أن يذهب.. فأخبروني عن عين زغر في غور الأردن في فلسطين أيضًا.. هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟

قالوا وقد بدأت كل تلك الأسئلة تريبهم :

- نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها.

قال لهم سيدي "أنتيخريستوس" بلهجة بطيئة :

- أخبروني عن نبي الأميين.. ما فعل؟

قالوا له :

- قد خرج من مكة ونزل يثرب.

قال لهم مضيقًا عينيه:

- وهل قاتله العرب؟
- نعم قاتلوه .
- وكيف صنع بهم؟
- لقد انتصر على من قاتله من العرب وأطاعوه.
- أحقًّا كان ذلك؟
- نعم
- أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه .

ثم قال بصوتٍ قوي:

- إني مخبركم عن أمري الآن.. إني أنا المسيح.. وإنه يوشك أن يؤذن لي في الخروج إلى الأرض.. فأخرج فأسير فيها فلا أدع فيها قرية إلا مكثت فيها أربعين ليلة.. غير مكة والمدينة.. فهما محرمتان علي كلتاهما.. كلما أردت أن أدخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف يصدني عنها.. وإن على كل نقب من أنقابها ملائكة يحرسونها.

فزع منه القوم وأسرعوا وغادروا الجزيرة.. وقد ذهب واحد منهم إلى نبي الأميين "محمد" فأسلم وحكى له كل ما حدث معه من أمر جزيرتنا.. فما كان من "محمد" إلا وفرح بقوله فرحا شديدا وروى حديثه لأصحابه.

يقول "لوسيفر" عظيم الشياطين وحامل النور الأعظم..

ابن الشيطان أنت يا "أنتيخريستوس".. ابن "لوسيفر".. ابن "إبليس".. وحامل نطفة النور.. لأجلك حدثت كل فتنة في الأرض إلى يوم يبعثون.. إنسي وجني أنت.. صرت فخرا للجن.. وفخر للإنس.. وفخرا لأبيك.. خلقت بين النار والطين.. في رحم يهودية.. الأرض بإنسها وجنها لا تساوي مثقال ذرة فيك.. يوشك أن يؤذن لك فيَفك قيدك فتعود وتسيح في الأرض كما كنت تسيح.. تأتيها من قبل المشرق.. من مدينة أصفهان في إيران.. وسيتبعك أول من يتبعك سبعون ألف يهودي يرتدي كل واحد منهم شالا على كتفيه يقال له طيلسان.. الشال الذي عُرف بارتدائه كبار الماسون.. من هم في الدرجة الثالثة والثلاثين.. من كوّنوا السبط اليهودي الثالث عشر.. سبط بني صهيون.. جنودك الذين جهزوا الأرض كلها لخروجك الأعظم.. رؤساء دول وحكومات ومن فوقهم ملوك المال.. وحراس السحر.. يظهرون العجائب

للناس بعد أن كانوا يبطنوها.. فلن يبقى على ظهر الأرض إنسان إلا اتبعك.. إلا قليل.

من قبل المشرق ستنزل إلى الأرض ومن أمامك شياطين.. ومن خلفك شياطين.. وعن يمينك وعن شمالك شياطين.. وهم جنود لمقامك السامي من الجن.. يكلمون الناس بأمرك.. ومن ورائك يزحف "سيربنت".. ومن أعلاك ترفرف عباءة "ماستيم".. تأمر السماء فتمطر.. وتأمر الأرض فتنبت.. وتأمر الضروع فتسمن.. تُميت من تشاء وتحيي من تشاء بقبضة فرس الرسول.. وتأمر الجن الراصدين حراس الكنوز في باطن الأرض أن يُخرجوها فتخرج لك كما تخرج يعاسيب النحل.. سيرى فيك الجن والإنس إلههم.. فسيسجدون لك.. ستعلمهم أن كلام أديانهم كله أساطير.. تتحدث عن أمور مشكوك في وجودها.. جنة خضراء ذات أنهار وجحيم أسود ساخن.. ستريهم الجنة أمام أعينهم.. وتريهم النار.. ستريهم كيف أن من يؤمن في عهدك فإنه سينال النعيم الفوري.. وليس النعيم الآجل المشكوك في أمره.

لا تجزع.. ففور أن تقول أنك الرب.. فسيحاربك من يعبده الناس على أنه الرب.. بقدرته سيمسح إحدى عينيك فتكون ممسوحة في وجهك غير بارزة ولا غائرة.. وسيجعل عينك الأخرى عليها ظفرة خضراء تخفي بؤبؤها.. فتكون كأنها عين زجاجية خضراء.. كأنها عنبة طافية.. حينها سيعرفك عباد الرب.. ولن يتبعوك أبدا.. لكنهم قليل ولن يؤخروك قيد أنملة.

أنت المسيح وأنت إله الإنس والجن.. وأنت ابني.. ومن عبد ابني فقد عبدني.. ومن وقر ابني فقد وقرني.. ومن وقرني أنزلت عليه عطايا لم يك حتى يتمنى أن يدركها.. انزل أيها المسيح فإن لك في كل خطوة تخطوها مني بركة.. انزل

فامسح عقائد الناس التالفة وضع عقيدة واحدة.. نظاما عالميا واحدا أنت حاكمه.. انزل أيها المسيح وحقق وعدي الذي وعدته للرب قبل أكثر من عشرة آلاف سنة يوم نبذني لما أردت الخير لبني الإنسان.. وعدته أنني بما أغواني لأقعدن لابن آدم على صراطه المستقيم.. ولآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم.. ولن يجد أكثرهم على دينه.. بل إن أكثرهم سيلحقون بي إلى حيث ما نبذني.. إلى أرض السعير.. فانزل أيها المسيح.. فمن لا يقدر عملك خلال كل هذه السنين الطويلة لا يستحق الحياة.

تمّت

* * *